

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق كاسر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تَهْتَدِي

جَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْخَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرِفَةِ ٢
نَسَبًا ، وَبَيْنَ الصَّدَقِ مَبْأً ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنْصَافَ ، وَأَذَاقَكَ حَلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْعَرَ قَلْبَكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرَكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذُّلَّةِ ،
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أَصُوبَ في أَمْرِكَ ، وَأَدْلَى عَلَى
مَقْدَارِ وَزْنِكَ ، وَعَلَى الْحَالِ الَّتِي وَضَعْتَ نَفْسَكَ فِيهَا ، وَوَسَّمتَ عَرْضَكَ
بِهَا ، وَرَضِيَتْهَا لِدِينِكَ حِطًّا (٢) ، وَلَمَرَوْعَتِكَ شِكْلًا ؛ [فَقَدْ انْتَهَى إِلَى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَحَمَلُكَ عَلَيْهِ ، وَطَعْنُكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنْقِصُكَ
لَهُ فِي الَّذِي كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِّيكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ
الْكَلْبِ وَمُضَارَّهِ ، وَالَّذِي خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجْمَعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبِعِهِ
وَنَظْمِهِ ، وَمَنْ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمَ فِيهِمَا . ثُمَّ عَبْتَنِي بِكِتَابِ حِيلِ
الْأَصْوَصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ الْمُلُحِّ وَالطَّرْفِ ،
وَمَا حَرَّ مِنَ النُّوَادِرِ وَبَرْدُ ، وَمَا عَادَ بَارِدُهُ (٣) حَارًّا لِفَرْطِ بَرْدِهِ حَتَّى

(١) فِي ط : « الْبَرُّ وَالْيَقِينُ » . وَمَا أَثْبَتَهُ فِي ل ، ١٠ س وَهُوَ الصَّوَابُ .

(٢) كَذَا فِي ل ، ١٠ س وَهُوَ تَصْحِيحُ مَا فِي ط « وَرَضِيَتْهَا لِعَرْضِكَ حِطًّا » .

(٣) فِي ل : « وَعَادَ بَارِدُهَا » وَمَا هُنَا عَنْ م .

أمتعَ بأكثرَ من إمتاعِ الحارِّ ، وعبّنى بكتابِ احتجاجاتِ البخلاء ،
ومناقضتِهِم للسُّمحاء ، والقولِ في الفرقِ بين الصدقِ ^(١) [إذا كان ضارًّا
في العاجل ، والكذبِ إذا كان نافعاً في الآجل ، ولمْ جُعِلَ الصدقُ أبداً
محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرقِ بين الغيرةِ وإضاعةِ الحرمةِ ،
وبين الإفراطِ في الحميّةِ والأنفَةِ ، وبين التقصيرِ في حفظِ حقِّ الحرمةِ ، وقلةِ
الاكتراثِ لِسوءِ ^(٢) القالةِ ؛ وهل الغيرةِ اكتسابٌ وعادةٌ ، أم بعضٌ مايعرض
من جهةِ الديانةِ ، ولبعضِ التزيُّدِ فيه والتحسُّنِ به ، أو يكونُ ذلكِ في طباعِ
الحريةِ ، وحقيقةِ الجوهريةِ ، ما كانتِ العقولُ سليمةً ، والآفاتُ منفيّةً ^(٣)
والأخلاقُ معتدلةً .

وعبّنى بكتابِ الصُّرَحَاءِ والمُهَجَّنَاءِ ، ومفاخرةِ السُّودانِ والحرمانِ ،
وموازنةِ ما بين حقِّ الخنولةِ والعمومةِ ؛ وعبّنى بكتابِ الزرعِ والنخلِ
والزيتونِ والأعنابِ ، وأقسامِ فضولِ الصناعاتِ ، ومراتبِ التجاراتِ ؛
وبكتابِ فضلِ ما بين الرجالِ والنساءِ ، وفرقِ ما بين الذكورِ والإناثِ ،
وفى أىِّ موضعٍ يَغْلِبُن ويَفْضُلُن ، وفى أىِّ موضعٍ يَكُنُّ المغلوباتِ والمفضولاتِ ،
ونصيبِ أيِّهما فى الولدِ أوفرُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ حقُّهنَّ أوجبَ ، وأىَّ
عملٍ هو بهنَّ أليقُ ، وأىَّ صناعةٍ هنَّ فيها أبلغُ .

وعبّنى بكتابِ القحطانيّةِ و [كتابِ] العدنانيّةِ فى الردِّ على

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضاً ماعدا ل و م .

(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكثرَ له :
مأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى التثنية وشذ ، استعماله
فى الإثبات .

(٣) هذا ما فى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

الفحطانية ، وزعمت أني تجاوزت فيه حدَّ الحمية إلى حدَّ العصية ،
وأني لم أصل^(١) إلى تفضيل العدنانية إلا بتنقص^(٢) الفحطانية . وعبني^٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بخست الموالى حقوقهم ، كما أني أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبني بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القولَ
في فرقِ ما بين العرب والعجم ، هو القولُ في فرقِ ما بين الموالى والعرب ،
ونسبني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجهل بما في المعاد من
الخطأ ، وحمل الناسَ المؤن .

وعبني بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إياها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبادة البددة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديانين إلفالما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبّدوا له^(٦) ،
وأظهرهم جدّاً ، وأشدّهم على من خالفهم ضيغنا ، وبما دانوا ضيناً^(٧) ،
وما الفرق بين البُدِّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

-
- (١) في ل : « أصر » ومؤداهما واحد .
(٢) في ط : « بتنقيص » والمثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتنقصه :
يقع فيه ويذمه » .
(٣) في ط : « العلة » وتصحيحه من ل .
(٤) في ط : « عبادة البدة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبدة : جمع بد
- بضم الباء - وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .
(٥) في ل : « أشد الناس إلفالما دانوا به » .
(٦) في ط : « وشغفا لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشئ إذا
علق قلبه به .
(٧) في ل : « صباية وعجبا » .

الدُّمِيَّة والجَنَّة ، وَلَمْ صَوَّرُوا فِي مَحَارِبِهِمْ وَبُيُوتِ عِبَادَتِهِمْ ، صَوَّرَ
عِظَامَهُمْ وَرِجَالَ دَعْوَتِهِمْ ، وَلَمْ تَأْنَقُوا فِي التَّصْوِيرِ ، وَتَجَوَّدُوا^(١) فِي إِقَامَةِ
التَّرَكِيبِ ، وَبَالَغُوا فِي التَّحْسِينِ وَالتَّفْخِيمِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ أَوْلِيَّةُ تِلْكَ
الْعِبَادَاتِ ، وَكَيْفَ اقْتَرَفْتَ تِلْكَ النُّحْلَ ، وَمِنْ أَىِّ شَكْلِ كَانَتْ خُدَعُ تِلْكَ
السَّدَنَةِ ، وَكَيْفَ لَمْ يَزَالُوا أَكْثَرَ الْأَصْنَافِ عِدْدَاً ، وَكَيْفَ شَمِلَ ذَلِكَ الْمَذْهَبُ
الْأَجْنَاسَ الْمُخْتَلِفَةَ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ الْمَعَادِنِ ، وَالْقَوْلِ فِي جَوَاهِرِ الْأَرْضِ ، وَفِي اخْتِلَافِ
أَجْنَاسِ الْفِلِيزِّ وَالْإِخْبَارِ عَنْ ذَاتِهَا وَجَامِدِهَا ، وَمَخْلُوقِهَا وَمَصْنُوعِهَا ، وَكَيْفَ
يَسْرِعُ الْإِنْقِلَابُ إِلَى بَعْضِهَا ، وَيُبْطِئُ عَنْ بَعْضِهَا ؛ وَكَيْفَ صَارَ بَعْضُ
الْأَلْوَانِ يَصْبُغُ وَلَا يَنْصَبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَنْصَبُغُ وَلَا يَصْبُغُ ، وَبَعْضُهَا يَصْبُغُ
وَيَنْصَبُغُ ، وَمَا الْقَوْلُ فِي الْإِكْسِيرِ وَالتَّلْطِيفِ .

وَعَبْتَنِي بِكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ هَاشِمٍ وَعَبْدِ شَمْسٍ ، وَكِتَابِ فَرْقِ مَا بَيْنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ ، وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَعْرِفَةِ
الْمُهْدَدِ وَاسْتَطَاعَةِ الْعَفْرِيتِ^(٢) ، وَفِي الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ السِّكِّتَابِ ،
وَمَا ذَلِكَ الْعِلْمُ^(٣) ، وَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِمْ : كَانَ [عِنْدَهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ]

(١) فِي ط : « تَجَرَّدُوا » بِالرَّاءِ . وَصَوَابُهُ مَا فِي ل . وَتَجَوَّدُ : فَعَلَ الْجَيِّدَ .

(٢) فِي ط : « وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي اسْتِيلَاءِ الْعَفْرِيتِ عَلَى سَلِيمَانَ وَفِي الْمُهْدَدِ » ، وَهُوَ
كَلَامٌ مَشْهُوَ مُحَرَّفٌ وَضَعَتْ بَدْلَهُ مَا فِي ل . وَمَعْرِفَةُ الْمُهْدَدِ هِيَ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِآيَةِ « وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيًّا يَقِينٌ » . وَأَمَّا اسْتَطَاعَةُ الْعَفْرِيتِ فَهِيَ
مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « قَالَ عَفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ » .
يَعْنِي عَرْشَ بَلْقَيْسَ .

(٣) فِي ط : « وَمَا الَّذِي هُوَ ذَلِكَ الْعِلْمُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل .

وعبّنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإنفاقات
 [وكيف أسباب التثمير والترقيح ^(١)] ، وكيف يَحْتَلِبُ ^(٢) التجار الحِرَفَاءَ ،
 وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّبُ إلى الوصايا ، وما الذى يوجب
 لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذُكِرْنَا غَشٌّ
 الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّبُ إلى تعرف ما قد مستروا وكشف
 ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّنى برسائلى [
 وبكل ما كتبت] به [إلى إخوانى وخلطائى ، من مَزَحٍ وجِدٍّ ، ومن إفصاح
 وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسمه باقياً ، ومديح
 لا يزال أثره نامياً ؛ ومن مُلَحٍ تُضحِكُ ، ومواعظ تُبكي .

٤

وعبّنى برسائلى الهاشميات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيها ،
 وتصويرى لها فى أحسن صورة ، وإظهارى لها فى أتم حلية . وزعمت أنّى
 قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال فى
 التشييع والاقتصاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمت أنّ مقالة
 الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
 وزعمت أنّ فى أصل القضية والذى جرّت عليه العادة ، أن كلَّ كبير فأوَّله
 صغير ، وأنَّ كلَّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول
 الراجز ^(٥) :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) فى ط : « تجرد » وصوابه فى ل .

(٣) فى ط : « خطبة مقالة الرافضة » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما فى ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى المحاسن والأصداق ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرْمُ مِنَ الْأَفِيلِ

وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنْ الْفَسِيلِ

وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ (١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تَغْرَقُ الْبُحُورُ

وَقُلْتَ : وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (٢) :

فَاعْلَمْ بُنَى فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعِلْمُ

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ

وَقُلْتَ : وَقَالَ الْآخَرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتَ بِهِ رَبِّ جِدِّ سَاقِهِ اللَّعْبُ

وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الْآخَرِ (٣) :

مَا تَنْظُرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ تُقْضَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غَيْبٌ (٤)

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبٌ

وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مَعْدٍ يَكْرَبُ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) في ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل . مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد النصيب ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلّموا أمه . . ماتنظرون : أي تنتظرون .

جَدَعَمُ بَعْدَ اللَّهِ آتَفَ^(١) قَوْمِهِ بَنِي مَازَنَ أَنَّ سَبَّ رَاعِيِ الْمُحَرَّمِ^(٢)
وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) :

آيَةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ
وَتَقُولُ [الْعَرَبُ] : « الْعَصَا مِنَ الْعُصْبَةِ ، وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً^(٤) » .

وَعَبَتَ كِتَابِي فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَشَبِّهَةِ
وَعَبَتَ [كِتَابِي] فِي الْقَوْلِ فِي أَصُولِ الْفِتْيَا وَالْأَحْكَامِ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي هـ
فِي الْإِحْتِجَاجِ لِنَظْمِ الْقُرْآنِ وَغَرِيبِ تَأْلِيفِهِ وَبَدِيعِ تَرْكِيبِهِ . وَعَبَتَ مُعَارَضَتِي
لِلزَيْدِيَّةِ وَتَفْضِيلِي^(٥) . الْإِعْتِزَالَ عَلَى كُلِّ نَحْلَةٍ ، كَمَا عَبَتَ كِتَابِي فِي الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ ، وَكِتَابِي عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ^(٦) ثُمَّ عَبَتَ جَمْلَةً كِتَابِي فِي الْمَعْرِفَةِ
وَالْتَمَسْتُ تَهْجِينَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ، وَصَغَّرْتُ مِنْ شَأْنِهَا ، وَحَطَّطْتُ مِنْ قَدْرِهَا ،
وَاعْتَرَضْتُ عَلَى نَاسِخِهَا وَالْمُنْتَفِعِينَ بِهَا ، فَعَبَتَ كِتَابُ الْجَوَابَاتِ ، وَكِتَابُ
الْمَسَائِلِ ، وَكِتَابُ أَصْحَابِ الْإِلَهَامِ ، وَكِتَابُ الْحِجَّةِ فِي تَثْبِيتِ النُّبُوَّةِ ،
وَكِتَابُ الْأَخْبَارِ ، ثُمَّ عَبَتَ إِنْكَارِي بِصِيرَةِ غَنَامِ الْمُرْتَدِّ ، وَبَصِيرَةِ كُلِّ
جَاهِدٍ وَمُلْحِدٍ ، وَتَفْرِيقِي بَيْنَ اعْتِرَاضِ الْغُمَرِ^(٧) ، وَبَيْنَ اسْتِبْصَارِ الْحَقِّ ، وَعَبَتَ

(١) فِي ط : « آتَفَ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَأُنْفَ يَجْمَعُ عَلَى أَنْوَفَ
وَأُنْفَ وَأَنْوَفَ .

(٢) فِي ط ، ل ، س ، ١٠ س : « الْمُحَرَّمِ » بِالْخَاءِ ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْخُرَازْمِيِّ
بِفِطْرِ الْبَغْدَادِيِّ ٣ : ٧٧ . وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ سِتَّةِ رَوَاهَا الْبَغْدَادِيُّ وَذَكَرَ لَهَا قِصَّةَ
طَوِيلَةَ طَرِيفَةٍ .

(٣) هُوَ أَبُو نَوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَاشِمٍ كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ ٣ : ١٩٨ .

(٤) فِي ط : « حَيَّةٌ » وَيَغْلِبُ أَنْ يَكُونَ تَصْحِيفُ طَبْعٍ .

(٥) فِي ط : « تَفْضِيلٌ » وَالْوَجْهُ مَا فِي ل .

(٦) فِي ط : « النَّصْرَانِيَّ وَالْيَهُودِيَّ » وَأُثْبِتَ مَا فِي ل .

(٧) هَذَا مَا فِي ل ، س ، ١٠ س . وَفِي ط : « الْقَمَرُ » وَهُوَ تَحْرِيفُ . وَالْغُمَرُ :
الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ .

كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهالات ^(١) ، وكتاب الفرق ما بين النّبى والمننبى ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق ^(٢) ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة ^(٣) . ثمّ قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض ^(٤) على لفظه ، والتحقيق لمعانيه ، فزريت على نحتيه وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في الغرض الذى إليه نزعنا ، والغاية التى إليها قصدنا ^(٥) . على أنه كتابٌ معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسّط العالمى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى ^(٦) ، ويحتاجُ إليه الرّيّض كما يحتاجُ إليه الحاذق : أما الرّيّض فللتعلّم والتّربية ، وللتّرتيب والرياضة ، وللتّمرين وتمكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبةً وطبقاتٌ معانيه منزلة . وأما الحاذقُ فلكفاية المؤنة ؛ لأن كلَّ من التقط كتاباً جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرّمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرّضه لمطاعن البُعَاة ، ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضِه عقله المسكودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهايزة ، وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفّر بمثله صاحبُ علم ، أو هجمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعُ رافِه ، ونشيطُ جامٍ ،

(١) ماعدال : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « البصرة » وصوابها ماقى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغتاض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا ماقى ل . وفى ط : « كما يحتاجُ إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُنِيَ مؤوَنَةً جمعه وخزَنِه ، وطلبِه وتَبِعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلَّ الحَدَّ ، وأدركَ أَقْصَى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أَنَّ له عند ذلك أن يجعلَ هُجُومَه عليه من التوفيق ، وظفرَه به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمَم ، وتشابهه فيه العُربُ والعجمُ ، لأنه وإن كانَ عَرَبِيًّا أَعْرَابِيًّا ، وإسلاميًّا جَمَاعِيًّا ، فقد أَخَذَ من طُرْفِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعِلْمِ التجربة ، وأشركَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وَجْدانِ الحاسَّة ، وإحساسِ الغريزة . ويشتهيهِ الفَتَيَانُ كما تشتهيهِ الشُّيوخُ ، ويشتهيهِ الفاتِكُ كما يشتهيهِ الناسِكُ ، ويشتهيهِ اللاعِبُ ذُو اللُّهُو كما يشتهيهِ المَجْدُ (١) ذُو الحَزْم ، ويشتهيهِ العُفْلُ كما يشتهيهِ الأَرِيب ، ويشتهيهِ الغَبِيُّ كما يشتهيهِ الفُطْن .

وعبَتَنِي بحكاية قولِ العُثمانيَّة (٢) والضَّرَّارية ، وأنتَ تسمَعُنِي (٣) أقولُ في أوَّل كتابي : وقالتِ العُثمانيَّة والضَّرَّاريَّة ، كما سمَعَتَنِي أقولُ : قالتِ الرافضة والزَّيْدية ، فحكمتَ عَلَيَّ بالنَّصْبِ لحكايتي [قولِ العُثمانيَّة] ، فهَلَّا حكمتَ عَلَيَّ بالتَّشْيِيعِ لحكايتي [قولِ الرافضة] !! وهلا كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ الغالِيَةِ لحكايتي حججِ الغالية ، كما كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ النَّاصِبَةِ لحكايتي قولِ النَّاصِبَةِ !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفْريَّة ، كما حكينا قولَ الأزارقة والزَّيْدية . وعلى

(١) في ل : « الجلى » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) في ط : « بحكاية سر قول العُثمانيَّة » ، وكلمة « سر » هذه لوجود لها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « كما سمعني » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَتِ الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . والأكتنا عندك من الخارجية ، كما صرنا عندك من الضَّرَّارِيَّةِ والناصِبَةِ . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرعَ من الشيعة ، أسرعَ إلى أعراضِ الناسِ من الخارجية^(١) ، اللهم إلا أن تكون وجدتَ حكايتي عن العُمانيَّةِ والضَّرَّارِيَّةِ أشيعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم] ، وأجود [صنعةً ، وأبعدَ غايةً . ورأيتني قد وهَّنتُ حقَّ أوليائك ، بقدر ما قُوِّتُ باطلُ أعدائك ؛ ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ما ادعيت واضحاً] .

وعبَتَنِي بكتابِ العباسية ، فهلاً عبَتَنِي بحكايةِ مقالةٍ من أبي وجوبِ الإمامة ، ومن يرى الامتناعَ من طاعةِ الأئمةِ الذين زعموا أن تَرَكَ النَّاسُ سُدًى بلا قيمٍ أرَدُّ عليهم ، وهملًا بلا راعٍ أربحُ لهم ، وأجدرُ أن يجمعَ لهم ذلك بين سلامةِ العاجل ، وغنيمةِ الآجل ، وأن تَرَكَهُمْ نَشْراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المفسادِ ، وأجمعُ لهم على المرشدِ !! بل ليس ذلك بك ، ولسكنه بهرك ما سمعتَ ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعلك وأبطرك ، فلم تتَّجه للحجةِ وهي لك معرضة ، ولم تعرفِ المقاتل وهي لك بادية^(٢) ، ولم تعرفِ بابَ المخرجِ إذ جهلتَ بابَ المدخلِ ، ولم تعرفِ المصادرِ إذ جهلتَ المواردِ .

رأيتَ أن سبَّ الأولياءِ أشنى لدائك ، وأبلغُ في شفاءِ سقمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسانِ أحضرُ لذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَبِ ، ومن إطالةِ الفسكرة ، ومن الاختلافِ إلى أربابِ هذه الصناعة .

(١) في ل : « فكيف رضيتَ بأن تكون الشيعة إلى أعراضِ الناسِ أسرعَ من المارقة » .

(٢) في ط : « وهي لك معوضة ، ولم تعرفِ المقابل وهي لا بادية » .

ولو كنت فطنت لعجزك ، [و^(١)] وصلت نقصك بتمام غيرك ،
واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحيس على تقويم أشباهك ٧
كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالثوبة في الآجل ، وكنت إن
أخطأتك الغنمة لم تُخطك السلامة ، وقد سلم عليك المخالف بقدر ما ابتلى
[به] منك الموافق . وعلى أنه لم يُبتل منك إلا بقدر ما ألزمته من مؤنة
تنقيفك ، والتشاغل بتقويمك . وهل كنت في ذلك إلا كما قال العربي :
« هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الْكَلَابِ » .

والأ كما قال الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)

وهل حالنا في ذلك إلا كما قال الشاعر^(٣) :

مَاضِرٌ تَغْلِبَ وَائِلٌ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ

وكما قال حسان بن ثابت^(٤) :

مَا أَبَالِي أَنْبً بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَايَ بظَهْرِ غَيْبٍ لَشِيمٌ

وما أشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجهت حلمنا

عنك إلى الخوف منك ، وقد قال زُفَر بن الحارث لبعض من لم يرحق

الصفح ، فجعل العفو سبباً إلى سوء القول :

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فَإِنْ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مَسْنُونٌ^(١) الْغِرَارِ بْنِ أَرْزَقَا
فَإِنْ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلَى وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَغْرَقَا^(٢)

وقال الأول :

وَضَعَانٍ دَاوَيْتُهَا بِضَغَائِنٍ حَتَّى شَفَيْتُ وَبِالْحُقُودِ حُقُودَا

وقال الآخر :

وَمَا نَنَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ وَفَكَ جُهَالًا بِجُهَالٍ^(٣)
فَاقْعَسْ إِذَا أَحْدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنْ الشَّرَّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضَةُ هَوْلَاءَ الشَّرِّ
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ ، وَالْحَقْدُ بِالْحَقْدِ ، فَإِنْ عِنْدِي مَا قَالَ الْمَسْعُودِيُّ^(٤) :
فَمُسَا تَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا وَفِيهِ الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلِمَا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ^(٥)

(١) في ط : « مصقول » . و غرار السيف أى حده لا يوصف بالصلقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكا في البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا
هكذا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان الجاحظ . والطلّى :
الأعناق أو أصولها ، جمع ظلية أو طلاة ، بضم الطاء في كل منهما . والعريض كسكيت :
الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :

وَمَا نَنَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمِثْلِ رَقْمِكَ جُهَالًا بِجُهَالٍ
وصححه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ وبجالس
ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى
في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) في الأمالي : « فا حشى الأقوام » وفي جمع الجواهر : « فا حشى الإنسان » . وفي ل ، س
« ولا تمعجا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ،
كما في المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدلى^(١) فيكما غير واحد
فإن أنا لم أَمْز ولم أنه عنكما
وقال النمر بن تولب :

جزى الله عني بجمرة ابنة نوفل
بما خبرت عني الوشاة ليكذبوا
يقول : أخرجت خبرها ، فخرج [إلى^(٢)] من أحب أن يعاب عندها .

ولو شئت أن نعارضك لعارضناك في القول بما هو أقبح أثراً وأبقى
وسماً ، وأصدق قيلاً ، وأعدل شاهداً . وليس كل من ترك المعارضة فقد
صفح ، كما أنه ليس من عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن
فهمته فقد كفيئتنا مئونة المعارضة ، وكفيت نفسك لزوم العار ، وهو قوله^(٣) :

إن كنت لا ترهب ذئباً لما
فأخش سكوتي إذ أنا منصت
فالسامع الذم شريك له
تعرف من صفحي عن الجاهل
فيك لمسمع خناً القائل^(٤)
ومطعم المأكول كالآكل

(١) في ط : «أولى» ، وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س والأمال . وفسرها المرتضى بقوله : معناه
لو شئت اغتابكما عندي غير واحد .

(٢) في ط «يلج» بالخاء ، وأثبت ما هو في أمالي المرتضى ول ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا في ل ، ١٠ س وغل وأغل بمعنى خان . . . وفي ط «مقل» وتحريفه ظاهر .

وفي س : «مخل» . وجمرة بالجمع اسم زوجته ، كما في الأغاني ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة
الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتاب في الأغاني ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل ما بين العداوة
والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير في الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا في الخزانة وجميع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشرطي ٢ : ١٥٠ . وفي ل ، س
« فأخش سكوتي آذنا منصتا » . وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلها أَسْرَعُ من مُنَحَدِرِ سائلٍ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهْجُ إِن كُنْتَ ذا إِرْبَةٍ حَرْبَ أَخِي التَّجَرِبَةِ العاقلِ
فإِنَّ ذا العَقْلِ إِذَا هَجَّتْهُ هَجَّتْ بِهِ ذَا خَبَلٍ خابِلِ
تُبْصِرُ في عاجِلِ شِدَّاتِهِ عَلَيْكَ غِبُّ الضَّرَرِ الآجِلِ

وقد يقال : إِنَّ العَفْوَ يُفْسِدُ مِنَ التَّيْمِ بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد
قال الشاعر :

والعَفْوَ عِنْدَ لَيْبِ القَوْمِ مَوْعِظَةٌ وَبَعْضُهُ لِسْفِيهِ القَوْمِ تَدْرِيبُ
فإِنْ كُنَّا ^(١) أَسَانَا فِي هَذَا التَّقْرِيعِ وَالتَّوْقِيفِ ، فالَّذِي لَمْ يَأْخُذْ فِينَا بِمُحْكَمِ
الْقُرْآنِ وَلَا بِأَدَبِ الرِّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَمْ يَفْزَعْ إِلَى مَا فِي الْفِطَنِ
الصَّحِيحَةِ ، وَإِلَى مَا تَوَجَّهَ الْمُقَايِسُ الْمَطْرُودُ ، وَالْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ ، وَالْأَشْعَارُ
السَّائِرَةُ ، أَوْلَى بِالْإِسَاءَةِ وَأَحَقُّ بِاللَّائِمَةِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَنْزُرُ
وَاِزْرَةَ وَرَزْرَ أُخْرَى ﴾ . وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَجْنِ
بِمَيْنِكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذي أنزلَ به الكتابُ ودلَّ
عليه من حُجَجِ العقول .

فَأَمَّا مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ [« رَمَتْنِي بِدَأْمِهَا وَأَنْسَلَّتْ » ، وَأَمَّا]
قَوْلُ الشُّعْرَاءِ ، وَذَمُّ الْخَطْبَاءِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ ، وَمَا ضَرَبُوا فِي ذَلِكَ
مِنَ الْأَمْثَالِ ، كَقَوْلِ النَّابِغَةِ حَيْثُ يَقُولُ فِي شِعْرِهِ :

وَكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذَى الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العَرَّ كَوَّوا السليمَ ليدفعه عن السقيم ، فأسقموا
الصحيحَ من غير أن يُبرِّثوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرَت إبلُ أحدهم قبلَغتِ الألف ، فقثُّوا عَيْنَ الفحل ،
فإن زادت الإبلُ على الألف فقثُّوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقأ والمعمى اللذان
سمعتُ في أشعارِهِم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقأ والمعنى وبيتِ المحتبى والخافقات^(١)
[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف^(٢) والغارة ،
فقال الأول :

فقاتُ لها عَيْنَ الفَحِيلِ عِيَافَةً^(٣) وفيهِنَّ رَعْلَاءُ المِسامِعِ والحامى^(٤)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به
في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقأ » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجيا لجرير :

ولست وإن فقات عينك واجدا أبالك إن عد المساعي كدارم
وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى يا جرير المكلف
و « بيت المحتبى » إشارة إلى قوله :

بيتاً زارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « الخافقات » يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْضَى المَالِكانَ أُمُورُها بِحَقِّ وَأَيْنَ الخافقاتِ اللوامعُ
انظر ابن سلام ٣٢٩ - ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عني) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتك (بالمفقأ والمعنى) وبيت (المحتبى) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعلاء : التي تشقُّ أذنها وتترك مدلّاة ، لسكرمها [.

وكانوا يقولون في موضع الكفّارة والأمنيّة ، كقول الرجل : إذا بلغتْ
إبلى كذا وكذا وكذلك غنمى ، ذبحتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة .
والعتيرة من نُسك الرّجبيّة والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغتْ
إبلٌ أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنّما قلتُ إننى
أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربانَ
شاءً كلّهُ ممّا يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حلّزة الشكرى :
عنتاً باطلاً وظلماً كما تُعْـتِرُ عَنْ حَجَرَةِ الرَّبِيسِ الظُّبَاءُ
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَغْـنَمَ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
وكانوا إذا أوردوا البقرَ فلم تشربْ ، إمّا لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ،
ضربوا الثورَ ليقْتَحِمَ الماء ، لأنّ البقرَ تتبّعه كما تتبّع الشّولُ الفحل ، وكما
تتبع أنثى الوحش الحمار . فقال في ذلك عَوْفُ بْنُ الْحَرِجِ (١) :
تَمَنَّتْ طَيِّئٌ جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَائِي (٢)
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سَلَمَى كَضَرْبِ الثَّوْرِ لِلْبَقْرِ الظَّمَاءِ
وقال في ذلك أَنَسُ بْنُ مُذَرِّكٍ في قتله سُلَيْكَ بْنِ السُّلَسَكَةِ :

إِنِّى وَقَتْلَى سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلَهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقْرُ (٣)
١٠ أَنْفَتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نَبِكَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى وَجَعَائِهَا الثَّقَرُ (٤)

(١) في ط : « عوض بن اجزع » ، وهو على الصواب الذى أثبتّه ، في ل ، س
١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب الماء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثغر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهيثبان الفهمي^(١) :

كَمَا ضُرِبَ الْيَعْسُوبُ أَنَّ عَافَ بَاقِرٌ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرٌ
ولما كان الثور أمير البقر ، وهى تطيعه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمّاه
باسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أن الجنّ هى التى تصدّ الثيران عن الماء حتى تُمسك البقر
عن الشرب حتى تهلك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإِنِّى وَمَا كُلَّفْتُمُونِى - وَرَبِّكُمْ - لَأَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا^(٢)
لِكَالثَّوْرِ وَالْجَنَى يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ مَشْرَبَا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءَ بَاقِرٌ وَمَا إِنْ تَعَافَ الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٣)
كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يُضْرَبُ أَبَدًا لِأَنَّهُ عَافَتْ الْمَاءَ ، فَكَأَنَّهُمَا إِنَّمَا عَافَتْ الْمَاءَ لِيُضْرَبَ .

وقال يحيى بن منصور الذّهلى فى ذلك :

لِكَالثَّوْرِ وَالْجَنَى يَضْرِبُ وَجْهَهُ وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ كَانَتْ الْجَنُّ ظَالِمَةً
وقال نهشل بن حرّى^(٤) :

أَتُتْرَكُ عَارِضٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَتَغْرَمَ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاءُ
كَدَابِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوَى إِذَا مَا عَافَتْ الْبَقَرُ الظَّمَاءَ^(٥)
وَكَيْفَ تَكْلَفُ الشَّعْرَى سُهَيْلًا وَبَيْنَهُمَا الْكَوَاكِبُ وَالسَّمَاءُ

(١) فى الأصل : « الهيثبان » . وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » . وفى ط ، س :
« الفقى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . . وما أثبتته عن ل .. يقال حاب بكذا :
أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقر وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزنة للبهادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حاسة البحرى ٣٥٣ .

وقال أبو نُؤيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العطرَق^(١) :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعْلَمُ طاعَتِي ونُصْحِي إِذْنُ ما بَعْتَنِي بِالْمَحْلَقِ^(٢)

ولا ساقَ سَرَّاقِ العِرافَةِ صالِحٍ^(٣) بَنِي ولا كَلَّفْتُ ذَنْبَ العَطْرِ^(٤)

وقال خِداش^(٥) بن زُهَير حين أَخَذَ بِدِماءِ بني مَحارِبٍ^(٦) :

أَكَلَفُ قَتَلِي مَعْشَرَ لَسْتُ مِنْهُمْ ولادارُهُمْ دارِي ولا نَصْرُهُمْ نَصْرِي

أَكَلَفُ قَتَلِي العِيسِ عِيسِ شِواحِطٍ وذلك أَمْرٌ لم تُثَفِّ لَهُ قِدرِي^(٧)

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكَتْ عِجْلُ بنا ذَنْبَ طِيٍّ عَرَكَنا بِتِمْ اللاتِ ذَنْبَ بَنِي عِجْلٍ

ولما وَجَدَ اليهودِيُّ أَخا حَنْبُضَ^(٨) الضَّبائِيَّ في مَنزِلِهِ فَخَصَّاهُ فَمَاتَ ، وَأَخَذَ

حَنْبُضُ بَنِي عَبْسٍ بِجَنائَةِ اليودِيِّ ، قال قيسُ بن زُهَيرٍ : أَتَأْخُذُنا بِذَنْبِ

غَيْرِنا ، وَتَسْأَلُنا العَقْلَ والقائِلُ يهوديٌّ من أَهلِ تِمْاءَ ؟ فقال : وَاللَّهِ أَن لو

قَتَلْتَهُ الرِّيحَ ، لَوَدِيتُ مُوَه ! فقال قيسُ لبني عَبْسٍ : المَوْتُ في بَنِي ذُبْيَانَ

خَيْرٌ من الحِياةِ في بَنِي عامرٍ ! ثم أَنشأ يَقول :

أَكَلَفُ ذا الخَصِيِّينَ إِنْ كانَ ظالِماً

وَإِنْ كُنْتُ مَظْلوماً وَإِنْ كُنْتُ شاطِئاً^(٩)

(١) في ط « العطرَف » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إِذْنُ هاديتي » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفي

الخزانة : « والمحلق الضبى ولاء الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) في ط : « سراف العرافة » ونصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

(٤) في ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلي ، من أشراف بني عامر

(٥) في ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) في ط : « عيس شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك

« لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س . وثني القدر : وضع لها الأثافي

وانظر معجم البكري ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنبض » ، صوابه في ل والميداني ٢ : ٥٩

(٨) شاطئا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤ من آل تيماء طائر
ولا يَعدُّ الإنسى والجنُّ كائنا^(١)
فَهَلَّا بنى ذبيان - أُمك هَابلُ -
رَهَنْتَ بَقِيفِ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا^(٢)
إِذَا قُلْتَ قَدْ أَفْلُتُ مِنْ شَرِّ حَنْبُضٍ
أَتَانِي بِأُخْرَى شَرَّهُ مُتَبَاطِنًا
فَقَدْ جَعَلْتَ أَكْبَادُنَا تَجْتَوِيكُمْ
كَمَا تَجْتَوِي سُوقَ الْعِضَاهِ الْكَرَازِنَا^(٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَلَ لُقْمَانُ بَنُ عَادِ ابْنَتَهُ - وهى صُخْرَأُخْتُ لُقَيْمٍ - قال حين قَتَلَهَا :
أَلَسْتُ امْرَأَةً ! وذلك أَنَّهُ قد كان تزوج عِدَّةَ نساء ، كُلُّهُنَّ خُتَنَهُ فى أَنْفُسِهِنَّ ،
فَلَمَّا قَتَلَ أَخْرَاهُنَّ وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ ، كان أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُخْرُ ابْنَتِهِ ، فَوَثَبَ
عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا وقال : وَأَنْتِ أَيْضًا امْرَأَةٌ ! وكان قد ابْتُلِيَ بِأَنَّ أَخْتَهُ كانت
مُحَمِّقَةً^(٤) وكذلك كان زَوْجُهَا ، فقالت لِإِحْدَى نِسَاءِ لُقْمَانَ : هذه لَيْلَةُ
طُهْرِي وهى لَيْلَتُكَ ، فدَعَيْنِي أَنَامُ فى مَضْجَعِكَ ، فَإِنَّ لُقْمَانَ رَجُلٌ مُنْجِبٌ ،

-
- (١) فى ل : « من آل تيماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .
(٢) فى الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح فى الأغاني ١٥ : ٧٠
وأمثال الميديات ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .
(٣) الكرزن وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .
(٤) المحمقة والمحمق أيضا : المرأة تلهى الحمق . قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧ :
وكانت تحت رجل أحق .

فَعَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَى فَأَنْجِبَ . فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَحَمَلَتْ بِلُقَيْمٍ . فهو قولُ
النَّمِرِ بنِ تَوَلَّبٍ ^(١) :

لُقَيْمُ بْنُ لُقَيْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنًا
لِإِلَى حَقٍّ فَاسْتَحْصَنَتْ عَلَيْهِ فَغَرَّ بِهَا مُظْلِمًا ^(٢)
فَأَجْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا ^(٣)
فَضْرِبَتِ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلِ بِقَتْلِ لُقَيْمَانَ ابْنَتَهُ صُحْرًا ، فَقَالَ خُفَافٌ
ابْنُ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَّاشٌ يُدَبُّ لِي الْمَنَايَا وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ صُحْرٍ ^(٤)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أُذَيْنَةَ ^(٥) :

أَتَجْمَعُ تَهِيَامًا بَلِيلِي إِذَا نَأَتْ وَهَجَرَا نَظْمًا كَمَا ظَلِمَتْ صُحْرُ ١٢
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ :

قَرَّبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبًا وَائِلٍ عَنْ حِيَالٍ ^(٦)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ هُوَ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأَظْنُهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ :

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحنن إسلامه ، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .
(٢) في ط « فغريه » . وغريها : خلع بها . ومظلمًا : في الظلام .
(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكيمًا ، ويقابله المحقق : الذي يلد الحق .
(٤) في ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهّد لي المنايا » وفي ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها :
جعلها تدب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة
ويعد في الفقهاء والمحدثين أيضًا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة في الأغاني
٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أي بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد
جد الجلد .

فلا تَلُمُ المرءَ في شأنِهِ فربَّ مَلُومٍ وَلَمْ يُذْنِبِ
وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَأُثْمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ^(١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض الملوك^(٢) لِسِنَّارِ الرومي ؛ فإنه لما
علا الخورنق ورأى بُنياناً لم ير مثله ، ورأى في ذلك المستشف ، وخاف
إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثل ذلك البنيانَ لرجلٍ آخرَ من الملوك ،
رمى به من فوق القصر ، فقال في ذلك الكلبي^(٣) في شيء كان بينه وبين
بعض الملوك :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَّارٍ وما كان ذا ذنبٍ
سِوَى رَصِّهِ البنيانَ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلَّى عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٤)
فلما رأى البُنيانَ تَمَّ سُحُوقَهُ

وَأَصَرَ كَمِثْلِ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ^(٥)
وظَنَّ سِنَّارٌ بِهِ كُلَّ حَبِوةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمُودَّةِ وَالْقُرْبِ^(٦)

(١) كذا ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره كما في الميداني ٢ : ١٢٦ :

تَان وَلَا تَعَجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبَا

(٢) قال الهيثم بن علي : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن علي . وقال ابن الكلبي :
هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) في ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبي . وفي أمالي ابن الشجري ١ : ١٠٢
أنه عبد العزى بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفردة قرمد كجعفر وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، ويحرك .
وفي ثمار القلوب « عشرين حجة » وفي معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) في معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) في ل : « حبرة » بمعنى السرور .

فقال اَقْدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فذاك لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْخُطْبِ
وجاء المسلمون ، يروى خَلْفٌ عَنْ سَلَفٍ ، وَتَابِعٌ عَنْ سَابِقٍ ، وَآخِرٌ عَنْ
أَوَّلٍ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي عَيْبِ قَوْلِ زِيَادٍ^(١) : « لَا تُخَذَنَ الْوَلِيُّ بِالْوَلِيٍّ ،
وَالسَّمِيُّ بِالسَّمِيِّ ، وَالْجَارُ بِالْجَارِ » ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي لَعْنِ شَاعِرِهِمْ حَيْثُ يَقُولُ :
إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
قال : وَقِيلَ لِعَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ : إِنَّ فَلَانًا لَمَّا قَدَّمَ رَجُلًا لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قال :
فقال عَمْرٍو : مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

١٣

وَلَمَّا قَالَتِ التَّغْلِييَةُ لِلْجَحَافِ ، فِي وَقْعَةِ الْبِشْرِ^(٢) : فَضَّ اللَّهُ فَاكَ
وَأَعْمَاكَ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ إِلَّا نِسَاءَ أَعَالِيهِنَّ
ثُدِيٍّ ، وَأَسَافِلُهُنَّ دُمِيٍّ ! فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ
سَبِيلَهَا ! فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ فَقَالَ : أَمَّا الْجَحَافُ فَجَذْوَةٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
قال : وَذَمَّ رَجُلٌ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ السَّكَمَاءَ بِالسَّمَنِ ، فَقَالَ
عِنْدَ ذَلِكَ الْأَحْنَفِ : « رَبِّ مَذْمُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٣) » .

فَسَيِّئَةُ السَّيْرِ سَرَتْ فِينَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) :

وَلِنْ أَمْرًا أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه . والكلام في خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) في ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر
المعجم والأغاني ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والعبر، وأرباب النحل، والعلماء وأهل البصر بمخارج الملل، وورثة الأنبياء، وأعوان الخلفاء، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء، وكتب الفراغ والخلعاء، وكتب الملاحى والفكاهات، وكتب أصحاب الخصومات، وكتب أصحاب المراء، وكتب أصحاب العصبية وحمية الجاهلية!! ألا أنهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفح العلماء، ولا لأئمة الأرباء^(١)، وشنف الأكفاء، ومشة^(٢) الجلساء؟! فهلاً أمسكت - يرحمك الله - عن عيبها والطعن عليها، وعن المشورة والموعظة، وعن تخويف مافى^(٣) سوء العاقبة، إلى أن تبلغ حال العلماء، ومراتب الأكفاء؟!

فأما كتابنا هذا، فسنذكر جُملة المذاهب^(٤) فيه، وسنأتى [بعد ذلك] على التفسير، ولعل رأيك عند ذلك أن يتحوّل، وقولك أن يتبدل، فتثبت أو تكون قد أخذت من التوقّف بنصيب، [إن شاء الله] .

(١) كذا فى ل . وفى ط « ولأئمة الأدباء » .

(٢) فى ط : « شنة » وصوابه شناة، وأثبت مافى ١٠ س وأما فى ل فهى « مساء » . والشنف .

بالتحريك وكذا المشنة بمعنى، هو البغض .

(٣) فى ل : « مافيه » .

(٤) فى ط : « المذاهب » والوجه ما أثبتته من ل، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها في جملة القول بجُهادٍ ونامٍ . وكان حقيقة القول في الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماء وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنَّامى اسماً ، لاتبَّعنا أثرَهُمْ ؛ وإِنَّمَا ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أَكْثَرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ بجُهادٍ ، كدلالةِ قولِهِمْ مَوَاتٍ . وقد يَفْتَرِقَانِ في مواضعَ بعضِ الافتراقِ . وإذا أُخرجت (١)

من العالمِ الأفلاكُ والبروجُ والنجومُ والشمسُ والقمرُ ، وجدتها غيرَ نامية ، ولم تجدهم يسمُّون شيئاً منها بجُهادٍ ولا مَوَاتٍ ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تلقاءِ أنفسِها لم تُسمَّ مَوَاتاً ولا جُهاداً .

وناسٌ يجعلونها مدبَّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخرة غير مسخرة (٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إِنَّمَا يَحْيَا بإحيائها له ، وبما تُعطيه وتُعيرُه . وإِنَّمَا هذا منهم رأى ، والأُمُّ في هذا كله على خلافِهِمْ ، ونحنُ في هذا الموضعِ إِنَّمَا نعبِّرُ عن لُغتنا ، وليس في لُغتنا إلا ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جُهاداً ، ورَبَّما يجعلونها مَوَاتاً إذا كانت لم

(١) في ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل وس : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تَنْبِتُ قَدِيمًا ، وهى مَوَاتِ الأَرْضِ ، وذلك كَقَوْلِهِمْ : مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا فَهِيَ لَهُ .

وهم لا يجعلون الماء والنار والهواء ، جماداً ولا مَوَاتًا ، ولا يسمونها حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لا تضاف إلى النماء والحس .

والأَرْضُ هِيَ أَحَدُ الأَرْكَانِ الأَرْبَعَةِ ، التى هِيَ الماء والأَرْضُ والهواء والنار ، والاسمان لا يتعاوَرَانِ عندهم إلَّا الأَرْضُ .

(تقسيم النامي)

ثمَّ النَّامِي عَلَى قَسَمَيْنِ : حيوان ونبات ، والحيوانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : شَيْءٌ يَمْشِي ، وشَيْءٌ يَطِيرُ ، وشَيْءٌ يَسْبَحُ ، وشَيْءٌ يَنْسَاحُ ^(١) . إلَّا أَنَّ كُلَّ طَائِرٍ يَمْشِي ، وليس الذى يَمْشِي ولا يَطِيرُ يسمَّى طَائِرًا . والنوعُ الذى يَمْشِي عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : نَاسٌ ، وبَهَائِمٌ ، وَسَبَاعٌ ، وَحَشَرَاتٌ . عَلَى أَنَّ الْحَشَرَاتِ رَاجِعَةٌ فِي الْمَعْنَى إِلَى مَشَاكِلِ طَبَاعِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ . إلَّا أَنَّنَا فِي هَذَا كُلِّهِ نَتَّبِعُ الْأَسْمَاءَ الْقَائِمَةَ ^(٢) الْمَعْرُوفَةَ ، الْبَائِنَاتِ بِأَنْفُسِهَا ، الْمَتَمِيزَاتِ عِنْدَ سَامِعِهَا ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ اللَّغَةِ وَأَصْحَابِ هَذَا اللِّسَانِ ، وَإِنَّمَا نُفَرِّدُ مَا أَفْرَدُوا ، وَنَجْمَعُ مَا جَمَعُوا ^(٣) .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ما أفردوا ويجمع ما جمعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وَبَهِيْمَةٍ وَهَمَجٍ . والسباعُ من الطيرِ على ضَرَبَتَيْنِ :
فمنها العِتَاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البِغَاثُ ^(١) وهو كلُّ ماعظمٍ من
الطيرِ : سَبْعاً كان أو بهيْمَةً ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ
المعقَّفةِ ، كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغُرَبانِ ، وما أشبهها مِنْ لثامِ السباعِ .
ثم الخشاشُ ، وهو ما لُطِفَ جِرْمُهُ وصَغُرَ شَخْصُهُ ، وكان عديمَ السلاحِ
[ولا يكون ^(٢)] كالزَّرَقِ ^(٣) واليُؤْيُؤِ ^(٤) والبادنجارِ ^(٥) .

فأما الهَمَجُ فليس من الطيرِ ، ولِسَكْنُهُ مِمَّا يطيرُ . والهَمَجُ فيما يطيرُ ،
كالخشراتِ فيما يمشى .

والحياتُ من الحشراتِ ، وأىُّ سَبْعٍ أَدخَلَ في معنى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأفاعيِ والثعابينِ ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذواتِ
الأنيابِ وأكالةِ اللحومِ وأعداءِ الإنسِ وَجَمِيعِ البهائمِ ، ولذلك تَأْكُلُهَا
الأوعالُ ^(٦) والخنَازيرُ والقَتَاغِذُ والعِقبانُ ^(٧) والشَاهُْمُرُكُ ^(٨) والسنانيرُ ، وغيرِ
ذلك من البهائمِ والسباعِ . فَمَنْ جَعَلَ الحَيَاتِ سِبَاعاً ، وَسَمَّاهَا بِذلكَ عِنْدَ
بَعْضِ القُولِ والسببِ فَقَدْ أَصَابَ ، وَمَنْ جَعَلَ ذلكَ لها كَالاسْمِ الَّذِي هُوَ العِلَامَةُ

(١) في القاموس ، البِغَاثُ مثلثة : طائرٌ أغبرُ جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفترض إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط وس و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » . انظر

الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) في ط « الغريان » .

(٨) الشاهمرك : الفقى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه

ملك الطير . الديميرى .

كالكَلْبِ والذئبِ والأسدِ فقد أخطأ :

ومن سباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سلاحُه المخالبُ كالْعُقَابِ وما أشبهها ، ١٥
وشئٌ يكون سلاحُه المناقيرَ كالذُّسُورِ والرَّخَمِ والغُرْبَانِ ، وإنما جعلناها سباعاً
لأنها أكلةٌ لحوم .

ومن بهائمِ الطيرِ ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها ، ومنه
ما يكون سلاحُه الأسنانَ كالْبُومِ والوَطُوطِ وما أشبهها ، ومنه ما يكون
سلاحُه الصياصى كالذَّيْبَكَةِ ، ومنه ما يكون سلاحه السِّلَحُ (١) كالحبارى (٢)
والثعلبِ أيضاً كذلك .

والسَّبعُ من الطيرِ : ما أكل اللحمَ خالصاً ، والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ
خالصاً . وفي الفنِّ الذى يجمعها من الخلقِ المركَّبِ والطبعِ المشتركِ ، كلامٌ
سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترَكُ عندهم كالعصفورِ ؛ فإنه ليس بذى مَخْلَبٍ معقَّفٍ ولا مَنَسَرٍ (٣)
وهو يلقط الحبَّ ، وهو مع هذا يصيد النَّمْلَ (٤) إذا طار ، ويصيد الجرادَ ،
ويأكل اللحمَ ، ولا يَزُقُّ فراخه كما تزقُّ الحمامُ ، بل يُلْقِمُها كما تُلْقِمُ
السباعُ من الطيرِ فراخها . وأشباهُ العصافيرِ من المشتركِ كثيرٌ ، وسندُكُ
ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) السِّلَحُ والسلاح كغراب : النجو .

(٢) فى ط « كالحبارى » والصواب « كالحبارى » كما فى ل . وهى من الطيور التى
سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كجلس ومنبر : منقار الطير الجارح .

(٤) فى ط « النحل » والصواب « النمل » كما فى ل فإن النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض
له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجعلانُ والجحُلُ
واليعاسيبُ والدُّبابُ والزَّناييرُ والجُرَّادُ والنَّمْلُ والفَرَّاشُ والبَعُوضُ والأَرْضَةُ
والنحلُّ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذَّكرِ
والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجرَّاد ، والجُرَّادُ
أَطِيرٌ ^(١) ، والمثلُّ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستُ
من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يَطِيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء ،
وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح . وليس
بالريش والقوادِمِ ^(٢) والأباهرِ ^(٣) والحوافِ ^(٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعده
يسقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الحفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمرطينِ
ليس لهما ريشٌ ولا زَعَبٌ ولا شَكِيرٌ ولا قَصَبٌ ^(٥) وهما مشهورانِ بالحملِ
والولادة ، وبالرِّضاع ، وبظهور حَجْمِ الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامةُ
ذاتُ ريشٍ ومنقارٍ وبَيضٍ وجناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكةً ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من
معانيه . ألا ترى أنَّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعُزْرَ الماء ، وخِزيرَ الماء ؛
وفيه الرُّقُّ ^(٦) والسَّلْحَفَةُ ، وفيه الضَّفْدَعُ وفيه السرطان ، والبَيِّنْبُ ^(٧) ،

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرنا .

(٢) القوادِم والقُدَامى - كجبارى - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الحوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من
صغار الريش .

(٦) قال الدميرى : بكسر الراء وبالْقاف : ضرب من دواب المساء يشبه التمساح . والرَّق
أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهو في ط « التبتل » وفي ل « البنبيل » وفي س « التبتل »

وصوابه في الدميرى قال : « على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » .

وانظر معجم المملوف ٢٥١ .

والتَّمَسَّاحُ والدُّخْسُ والدُّلْفَيْنُ واللَّحْمُ والبَنَبِكُ^(١) ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوْسَجُ والدُّ اللُّحْمُ ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَفُ . وعامةُ ذَا يَعِيشُ في الماء ، ١٦
وبييت خارجاً من الماء ، وَيَبْيِضُ في الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بيضاً له صُفْرَةٌ ، وَقَيْضُ
وَعِرْقُ ، وهو مع ذلك ممَّا يكون في الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يصنع صمماً قطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يتكلَّم قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، وَيَتَغَو ، وَيَهَقُ ،
وَيَصْهَلُ ، وَيَشْحَجُ ، وَيُخْجَرُ ، وَيَبْغَمُ ، وَيَعْوِي ، وَيَبْجَحُ ، وَيَزْقُو ،
وَيَضْغُو ، وَيَهْدِرُ ، وَيَصْفِرُ ، وَيُصَوِّصِي ، وَيُقَوِّقِي ، وَيَنْعَبُ ، وَيَزْأَرُ ،
وَيَنْزَبُ^(٢) ، وَيَكْشُ ، وَيَعِجُ^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهُ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالغير التي تسمى لطيمة ،

(١) في الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المعلوف
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبنيك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدفين ، أو سمك يقطع
الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) في ط « يترب » وفي ل « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاء ، والبهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحيج
للبغال ، والخواار لثيران ، والبهام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقواء للديكة ، والضغاء للسنائير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ،
والصوصأة للجرأ ، والتقوأة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ،
والزئيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدته بجلودها .
والمعجج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفتح » والفتح صوت الأفاعى
تحدته بأنفواها .

وكالظُّنن ؛ فَإِنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضها إلى بعض ، أو أَخَذَ بعضها من بعض ، سُمِّيَتْ بِأَنبَهِ النُّوعَيْنِ ذِكْرًا ، وبأَقْوَاهِمَا . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهمُ إرادته إلا ما كان من جنسه . ولعمري إنا نفهم^(١) عَنِ الفَرَسِ والحمارِ والكلبِ والسَّوَرِ والبَعِيرِ ، كثيرًا من إرادته وحوادثه وقصوده^(٢) ، كما نفهمُ إرادةَ الصَّبِيِّ في مَهْدِهِ ونعلم^(٣) - وهو من جليل العلم - أَنَّ بكاءه يدلُّ على خلافٍ ما يدلُّ عليه ضحكُه . وحمَمَةُ الفَرَسِ عند رؤيةِ المخلاة^(٤) ، على خلافٍ ما يدلُّ عليه حمَمَتُهُ عند رؤيةِ الحَجَرِ ، ودُعَاءُ المِهْرَةِ المِهْرَ خلافُ دُعَائِهَا لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيحٌ ، وإنْ عَبَّرَ عن نفسه بالفارسيَّةِ أو بالهنديَّةِ أو بالروميَّةِ ، وليس العربيُّ أسوأَ فهمًا لِطَمَطَمَةِ الرومِيِّ [من الرومى] لبيانِ لسانِ العربيِّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيحٌ ، فإذا قالوا : فصيحٌ وأعجمٌ ، فهذا هو التأويلُ في قولهم أعجمٌ ، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيحٍ وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بالعربيَّةِ ، وَأَنَّ العربَ لَا تفهمُ عنه . وقال كُثِيرٌ :

فَبُورِكَ مَا أُعْطِيَ ابْنُ لَيْلَى بِنِيَّةٍ وَصَامَتْ مَا أُعْطِيَ ابْنُ لَيْلَى وَنَاطِقُهُ

(١) كذا على الصواب في ل . . وفي ط « إن التعميم » .

(٢) في الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه ، فكُتِبَتْ مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) في ط : « ونفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) في ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه ما في ل ، وورد في ط زيادة

« من » قبل « حممة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صأى ^(١) وصمت ». فالصامت مثل الذهب والفضة ، وقوله صأى ^(١) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شئ سوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذلك الشئ العاقل وغير العاقل ١٧ فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدل ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجماد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال ^(٢) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً .

ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد ^(٣) ، وإشارة ،

(١) فى ط « ضأى » بالضاد ، وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لامعنى لها .

(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسمين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمْكِينُهُ الْمُسْتَدِلُّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيَادَهُ كُلَّ مَنْ^(١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا اسْتُخْزِنَ مِنَ الْبَرَهَانِ ، وَحُشِيَ^(٢) مِنَ الدَّلَالَةِ ، وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْحُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ ، وَمُعْرِبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحِكْمَةِ ، نَحْبَرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْهَزَالَ وَكُسُوفَ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّضْرَةِ ، عَنْ حَسَنِ الْحَالِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيب] :

فَعَاجُؤًا فَاتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَتَى تَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ مُتَحَبِّرًا الْعَيُونَ عَنِ الْقُلُوبِ

وَقَدْ قَالَ الْعُكْلِيُّ^(٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الذُّبِّ وَفِي شِدَّةِ حَسِّهِ وَاسْتِرْوَاخِهِ :

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ مَقْرَاعِ الصَّفَا الْمَوْقِعِ^(٤)

وَقَالَ عَنَتَرَةُ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :

حَرَقُ الْجَنَاحِ كَانَ لَحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانٍ بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ^(٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادَهُ فَعْلٌ » وَأَصْلُهَا الْعِبَارَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ ظَاهِرٌ تَوْجِيهٌ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدِينِيِّ الْعُكْلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ . وَانْظُرِ اللِّسَانَ (خُر) .

(٤) قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : الْمَقْرَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْمَوْقِعُ : الْمَحَدُّ .

(٥) فِي ط « خُرَقٌ » بِالْخَاءِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَاهِظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٨٢ : « الْخُرَقُ : الْأَسْوَدُ » ، شَبَّهَ لَحْيَيْهِ بِالْجَلَمَيْنِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَخْبِرُ

بِالْغُرْبَةِ وَالْفَرْقَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلَمَانِ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْعَمْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَقْمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ بَعْدَهُمْ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه^(١) : سَلَ الْأَرْضَ ، فَقُلْ : مَنْ شَقَّ
 أَنهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ يُجِبْكَ حِوَاراً ،
 أَجَابَتْكَ عَتَابَاراً .
 فموضوعُ الجسم ونصَبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة^(٢) عليه .
 فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارك في البيان الإنسان الحيُّ
 الناطق . فَبَنْ جَعَلَ أَقْسَامَ الْبَيَانِ خَمْسَةً ، فَقَدْ ذَهَبَ أَيْضاً مَذْهَباً لَهُ جَوَازٌ فِي اللُّغَةِ ،
 وشاهدٌ في العقل . فهذا أَحَدُ قِسْمَي الْحِكْمَةِ ، وَأَحَدُ مَعْنَيَيْ^(٣) مَا اسْتَخْزَنَهَا^(٤) ١٨
 اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْوُدِيعَةِ .

(ما يمجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان ، مِنْ ضُرُوبِ^(٥)
 المعارف ، وفَطَرَهَا عليه من غريب^(٦) الهداياتِ ، وسَخَّرَ حَتَايَها لَهُ مِنْ
 ضُرُوبِ النَّغَمِ الْموزونة ، والأَصْوَاتِ الْمَلْحَنَةِ ، والخَارِجِ الشَّجِيئَةِ ،
 والأَغَانِي الْمَطْرِبَةِ ؛ فَقَدْ يَقَالُ إِنَّ جَمِيعَ أَصْوَاتِهَا مَعْدَلَةٌ ، وموزونة مَوْقَعَةٌ ،
 ثُمَّ أَلْذَى سَهْلَ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ الْعَجِيبِ فِي الصَّنْعَةِ ، مِمَّا ذَلَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 لِمُنَاقِيرِهَا وَأَكْفُفِهَا ، وَكَيْفَ فَتَحَ لَهَا مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى قَدَرِ مَا هَيَّأَ لَهَا
 مِنَ الْآلَةِ ، وَكَيْفَ أَعْطَى كَثِيراً مِنْهَا مِنَ الْحَسَنِ اللَّطِيفِ ، وَالصَّنْعَةِ
 الْبَدِيعَةِ ، مِنْ غَيْرِ تَأْدِيبٍ وَتَثْقِيفٍ ، وَمِنْ غَيْرِ تَقْوِيمٍ وَتَلْقِينٍ ، وَمِنْ غَيْرِ
 تَلْرِيجٍ وَتَمْرِينٍ ، فَبَلَغَتْ بِعَفْوِهَا وَبِمَقْدَارِ قُوَى فِطَرَتِهَا ، مِنَ الْبَدِيعَةِ

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) في ط « ومهيمنة » والوجه ما في ل .

(٣) في الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) في الأصل « استخزنهما » والضمير راجع إلى « الحكمة » .

(٥) في ط « ضرب » وصوابه في ل .

(٦) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدَرُ عليه حُذَّاقُ رجالِ
الرأى ، وفلاسفة علماء البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ
أَكْمَلُهُمْ خصالاً وَأَتَمَّهُمْ خِلالاً ، لا مِنْ جِهَةِ الاقتضاب والارتجال ، ولا من
جِهَةِ التعسّف والاقتدار ، ولا من جِهَةِ التقدّم فيه ، والتأثّي فيه ، والتأثّي له .
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المَعِينَةِ عليه . فصار جهد^(١) الإنسان
الثاقبِ الحسّ ، الجامعِ القوى ، المتصرّفِ في الوجوه ، المقدّم في الأمور ،
يَعْجِزُ عن عَفْوِ كثيرٍ منها ؛ وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجيء منها ، كما
أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطيت السُرْفَةُ ، وكما علّم النحل ، بل^(٢)
وعرّف التنوّطُ من بدیع المعرفة ، ومن غريب الصنعة ، في غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم^(٣) العجزَ في أنفُسِهِمْ في أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الهمجُ والخشاشُ وصِغارُ الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين^(٤) ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأثّي والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة^(٥) ، والمتبصّر شأن العاقبة ،
متى أحسنَ شيئاً كان كلُّ شَيْءٍ دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل
سائرَ الحيوان ، وإن كان يحسنُ أحدها ما لا يحسنُ أحذقُ الناس متى
أحسنَ شيئاً عجيباً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظنّ ، وأسهل
منه في الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسان جعلَ

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .

(٢) هذا الحرف ليس في ل .

(٣) في ط ، ل « يوجد لهم » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » وجهه ما في ل لتم المقارنة بقوله بعد :

« وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ
بلا تعلم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩
لا يطعم فيه ، ولا يحسُّها ؛ إذ لا يؤمل اللِّحاقَ بها . ثمَّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيُونِ الناظرين ، ومُجَاهِ أَسْمَاعِ الْمُتَعَبِّرِينَ ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتِّعَاضَ والازْدِجَارَ ، وعلى التَّعَرُّفَ والتَّيْبِينَ ،
وعلى التَّوَقُّفَ والتَّذَكُّرَ ، فَجَعَلَهَا مَذَكَّرَةً مُنَبِّهَةً ، وَجَعَلَ الْفِطْرَ تَنْشِئَةً (١)
الْحَوَاطِرَ ، وَتَجَوَّلَ بِأَهْلِهَا فِي الْمَذَاهِبِ . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقهٍ وتنبيه . وأراك قد عبته قبل أن
تقفَ على حُدُودِهِ ، وتنفكَّرَ في فصوله ، وتعتبرَ (٢) آخرَه بأوله ، ومَصَادِرَه
بموارده ، وقد غلَطَك فيه بعضُ ما رأيتَ [في أثنائه] من مزج لم تعرف
معناه ، ومن بَطَالَةٍ لم تَطَّلِعْ على غورها ؛ ولم تدبِّرْ لم اجتَلِبْتَ ، ولا لَأَيَّ
عِلَّةٍ تُسَكِّلُفْتَ ، وَأَيَّ شَيْءٍ أُرِيغَ بها ، ولَأَيَّ جِدٍّ احْتُمِلَ ذلك الهزل ،
ولَأَيَّ رِيَاضَةٍ تُجَشِّمَتْ تلك البطالة ؛ ولم تدبِّرْ أَنَّ المَزَاحَ جِدٌّ إِذَا اجْتَلِبَ
ليكون عِلَّةً لِلْجِدِّ ، وَأَنَّ الْبَطَالََةَ وَقَارُ وَرَزَانَةٌ ، إِذَا تُسَكِّلُفْتَ لتلك العاقبة .
ولمَّا قَالَ الخليلُ بنُ أحمدَ : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما في ل . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تنفكر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ
مِثْلُ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ
عَلَى مُرِّ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمُتُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ
مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مِنْ تَجَرُّدٍ لِلْعِلْمِ ، وَفَهْمٍ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبُهُ
مِنْ عِزِّهِ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطَّوْلُ مِنَ الْكَدِّ ، وَالْكَثْرَةُ
مِنَ السَّامَةِ . وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادَ إِلَى حَظِّهِ بِالسَّوَاجِيرِ ^(١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ،
وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نَعْتُ الْكِتَابِ)

ثُمَّ لَمْ أَرَكَ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَعِينُهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ
إِلَى أَنْ عَبْتَ وَضَعْتَ الْكُتُبَ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفْتَ ^(٢) بِهَا
الْوُجُوهَ . وَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِمَا عَلِمَ ، حَتَّى عَبْتَ الْكُلَّ
بِمَا عَلِمَ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى نَصَبِ الْحَرْبِ
فَعَبْتَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعِمَ الذَّخِرُ وَالْعَقْدَةُ ^(٣) هُوَ ، وَنَعِمَ الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعِمَ
النَّشْرَةُ وَالنَّزْهَةُ ، وَنَعِمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعِمَ الْأُنَيْسُ لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعِمَ
الْمَعْرِفَةُ بِبِلَادِ الْغَرْبَةِ ، وَنَعِمَ الْقَرِينُ وَالْدَخِيلُ ، وَنَعِمَ الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ .
٢٠ وَالْكِتَابُ وَعَاءٌ مُلِيٌّ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِي ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ شُحِنَ مُزَاحًا وَجِدًّا ؛

(١) السَّاجُورُ : خَشْبَةٌ تَعْلَقُ فِي عُنُقِ الْكَلْبِ . وَسَجَرُهُ : شَدَهُ بِهِ كَسُجْرِهِ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٣ : ٥٠ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصَرَّفَ » .

(٣) الْعَقْدَةُ ، بَضْمُ الْعَيْنِ : مَا فِيهِ بَلَاغُ الرَّجُلِ وَكِفَايَتُهُ .

إِنْ شَتَّ كَانَ أَبْيَنَ مِنْ سَحْبَانٍ وَائِلٍ ، وَإِنْ شَتَّ كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَإِنْ
شَتَّ ضَحِيكَتَ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَإِنْ شَتَّ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِنْ
شَتَّ أَهْلُكَ طَرَائِفُهُ ، وَإِنْ شَتَّ أَشْجَنَكَ مَوَاعِظُهُ . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهِ ،
وَبَزَاجِرٍ مُغْرِ ، وَبِنَاسِكٍ فَاتِكٍ ، وَبِنَاطِقٍ أَخْرَسَ ، وَبِبَارِدٍ حَارٍّ . وَفِي الْبَارِدِ
الْحَارُّ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ (١) :

قُلْ لَزُهُيرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِيلٌ أَوْ أَكْثَرُ فَانْتَ مِهْدَارُ (٢)
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَ - سَيَّ صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ (٣)
لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُّ (٤)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبٍ (٥) أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارَسِيٍّ (٦)
يُونَانِيٍّ ، وَبِقَدِيمٍ مُوَلَّدٍ ، وَبِمَيْتٍ مَمْتَعٍ (٧) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَّ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالْغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالرَّضِيعَ ، وَالْغَثَّ وَالسَّمِينِ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضَدَّهُ .
وَبَعْدَ : فَقِي رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذُنٍ (٨) ، وَرَوْضَةً تُقَلُّ (٩)

- (١) الأبيات في الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفي ط
« مهذار » بالدال .
(٣) في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شيء أخذه أبو نواس من مذاهب حكماء
الهند ، فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حاراً . وقالوا :
إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .
(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) في ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٧) في ط « ممتنع » وفي المحاسن : « ونجيب ممتنع » .
(٨) الرذن : أصل الكم . . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في الكم نفسه .
(٩) في ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلاهم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفي
المحاسن « تنقل » .

في حِجْرٍ ، وناطقاً ينطق عن الموتى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لَكَ
بمؤنس لا ينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمَنْ مِنْ الأرض ،
وأَكْتَمُ للسِّرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،
وأحفظُ لما استُحْفِظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المعربين ^(١) ، بل مِنْ
الصَّيَّانِ قَبْلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بتمييز الأشخاص ،
حينَ العنايةِ تامةً لم تَنْقُصْ ، والأذهانُ فارغةٌ لم تَنْقَسِمْ ، والإرادةُ وافرةٌ
لم تَتَشَعَّبْ ، والطَّيْنَةُ لَيْتَنَ ، فهي أَقْبَلُ ما تكون للطبائعِ ، والقَضِيبُ
رَطْبٌ ، فهو أَقْرَبُ ما يكون من العلوقِ ، حينَ هذه الحِصَالُ لم يَخْلُقْ
جديدها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وكانت كما قال الشاعر ^(٢) :
أَنَا فِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
وقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ ^(٣) :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيَّهُمْ بَيْنَ الْقَوَابِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ ^(٤)
ومن كلامهم : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وقد قال جِرَّانُ الْعَوْدِ ^(٥) :
[تُرْكَنَ بِرَجْلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى تَنْكَرَتِ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ]
كَوْحِي فِي الْحِجَارَةِ أَوْ وَشُومٍ بِأَيْدِي الرُّومِ بِأَقْيَةِ النَّشُورِ ٢١
وقال آخر ، وهو صالحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :
وإِنْ مَنْ أَدْبَتَهُ فِي الصَّبِيِّ كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

(١) في ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) هو مجنون بنى عاصر كما في بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .

(٣) البيت ساقط من ل . . وفي ط « نيرة بن الطيب » والتصحيح من س .

(٤) نشع الصبي وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .

(٥) شاعر نمري اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأته :

خذوا حذرا يا جارقى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي يُبْسِهِ (١)
وقال آخر :

يَقُومُ مِنْ مِيلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدَّبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّادِيبُ وَالرَّأْسُ أُشِيبُ
وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّة (٢) لعيسى بن عمر (٣) : أَكْتُبْ شِعْرِي ، فَالْكِتَابُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنَ الْخَفْظِ . لَأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسَى الْكَلِمَةَ وَقَدْ سَهَرَ فِي طَلَبِهَا لَيْلَتَهُ ،
فَيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا ، ثُمَّ يُنْشِدُهَا النَّاسَ ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسَى
وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ .

وَعَبَتِ الْكِتَابَ ، وَلَا أَعْلَمُ جَارًا أَبْرَّ ، وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ ، وَلَا رَفِيقًا
أَطْوَعَ ، وَلَا مَعْلَمًا أَخْضَعَ ، وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كَفَايَةً ، وَلَا أَقْلَ جِنَايَةً ، وَلَا
أَقْلَ إِمْلَالًا وَإِبْرَامًا ، وَلَا أَحْفَلَ أَخْلَاقًا ، وَلَا أَقْلَ خِلَافًا وَإِجْرَامًا ، وَلَا
أَقْلَ غِيبةً ، وَلَا أَبْعَدَ مِنْ عَضِيهَةٍ (٤) ، وَلَا أَكْثَرَ أَعْجُوبَةً وَتَصَرُّفًا ، وَلَا أَقْلَ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم ،
إمام في النحو والعربية ، أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن
البصري والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفًا
ذهبت كلها ، وكان يتقعر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،
أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مال أراكم تكأكم على
كتأكتكم على ذئب جنة ؟ ! افرنقموا عني » . واهمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه
نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضه
عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضية : الكذب والإفك والبهتان .

تصليفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مرأى ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد في جدال ،
ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريباً أحسن موافاةً ، ولا أعجل
مكافاةً ، ولا أحضر معونةً ، ولا أخف مثونةً ، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا
أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مجتنى ، ولا أسرع إدراكاً ، ولا
أوجد في كل إبانٍ ، من كتاب . ولا أعلم نتائجاً في حدائق سنه وقرب
ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التدابير العجيبة
والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ،
ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة ^(١) ، والتجارب الحكيمة ، ومن
الإخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتنازحة ، والأمثال السائرة ، والأهم
البائدة ، ما يجمع لك الكتاب . قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة
والسلام ﴿ إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم ﴾ فوصف نفسه ،
تبارك وتعالى ، بأن علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتد بذلك
٢٢ في نعمة العظام ، وفي آياديه الجسام . وقد قالوا : القلم أحد اللسانين ، وقالوا :
كل من عرف النعمة في بيان اللسان ، كان بفضل النعمة في بيان القلم
أعرف . ثم جعل هذا الأمر قرآناً ، ثم جعله في أول التنزيل
ومستفتح الكتاب .

(كون الاجتماع ضرورياً)

ثم أعلم ، رحك الله تعالى ، أن حاجة بعض الناس إلى بعض ، صفة
لازمة في طبائعهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزألهم ، ومحيطة
بمجامعتهم ، ومشتملة على أديانهم وأقاصمهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم -

(١) في الأصل « القديمة » بالدال .

مَّا يُعِيشُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ ، وَيُسْكِنُهُمْ بَازْمًا قِيَمَهُمْ ، وَيُصْلِحُهُمْ بِالْهَمِّ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَإِلَى التَّعَاوُنِ فِي دَرْكِ ذَلِكَ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَيْهِ - كَحَاجَتِهِمْ إِلَى التَّعَاوُنِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَالتَّوَازُرِ عَلَى مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الِارْتِفَاقِ بِأُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تَغِبْ عَنْهُمْ ، فَحَاجَةُ الْغَائِبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجَةِ الشَّاهِدِ ، لِحَاجَتِهِمُ الْأَدْنَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَقْصَى ، وَاحْتِيَاجِ الْأَقْصَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدْنَى ، مَعَانٍ مُتَضَمِّنَةٌ ، وَأَسْبَابُ مُتَّصِلَةٌ ، وَحِبَالٌ مُنْعَقِدَةٌ . وَجَعَلَ حَاجَتَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، كَحَاجَةِ [مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَى أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، وَحَاجَةِ [مَنْ يَكُونُ بَعْدَنَا إِلَى أَخْبَارِنَا ، وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْبَشَارَاتُ بِالرُّسُلِ ، وَلَمْ يَسْخَرْ لَهُمْ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، إِلَّا وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الِارْتِفَاقِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَجَعَلَ الْحَاجَةَ حَاجَتَيْنِ : لِإِحْدَاهُمَا قِيَامُ وَقُوتِ ، وَالْأُخْرَى لَذَّةُ وَإِمْتَاعُ وَازْدِيَادُ فِي آلَاءِ ، وَفِي كُلِّ مَا أَجْدَلُ النَّفُوسِ ، وَجَمَعَ لَهُمُ الْعَتَادَ ^(١) . وَذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنْ جَمِيعِ الصَّنَفَيْنِ وَفَقْ لِسُكْرَةِ حَاجَاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَعَلَى قَدَرِ اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ وَبُعْدِ غَوْرِهِمْ ، وَعَلَى قَدَرِ احْتِمَالِ ^(٢) طَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . ثُمَّ لَمْ يَقْطَعْ الزِّيَادَةَ إِلَّا لِعَجْزِ خَلْقِهِمْ عَنْ احْتِمَالِهَا ، وَلَمْ يَجْزِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْزِ ، إِلَّا بَعْدَمِ الْأَعْيَانِ ، إِذْ كَانَ ^(٣) الْعَجْزُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَنَعْتًا مِنْ نَعُوتِ الْعَبِيدِ .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ حَاجَتِهِ بِنَفْسِهِ ^(٤) دُونَ الْإِسْتِعَانَةِ

(١) فِي ط : « الْمُعْتَاد » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) فِي ط : « اِعْتَار » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ يَقَعُ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ تُشَبِّهُ هَذَا .

(٤) فِي ط : « بِنَفْسِهِ » وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ عَنْ ل .

ببعض من سَخَّرَ له ، فأدناهم مسَخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلَّهم ميسرٌ لأدقَّهم .
وعلى ذلك أحوَجَ الملوك إلى السُّوقَةِ في بابٍ ، وأحوَجَ السُّوقَةُ إلى الملوك
في بابٍ ، وكذلك الغنىُّ والفقيرُ ، والعبْدُ وسيِّدُهُ . ثُمَّ جَعَلَ اللهُ تعالى كُلَّ
شيءٍ للإنسانِ حَوَلاً ، وفي يَدِهِ مُذَلَّلاً مُيسِراً^(١) . إمَّا بالاحتِمالِ له والتلطُّفِ
في إِرَاغَتِهِ واستِمَالَتِهِ ، وإمَّا بالصَّوْلَةِ عليه ، والفتكِ به ، وإمَّا أَنْ يَأْتِيَهُ
سهواً ورهواً . على أَنَّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صالَ
عليها . إلَّا أَنَّ الحاجةَ تَفْتَرِقُ في الجنسِ والجهةِ والجِبِلَّةِ ، وفي الحِظِّ والتقديرِ . ٢٣
ثُمَّ تَعَبَّدَ الإنسانُ بالتفكيرِ فيها ، والنظرِ في أُمُورِها ، والاعتبارِ
بما يَرى ، ووَصَلَ بينَ عَقُولِهِمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ تلكَ الحُكْمِ الشريفةِ ، وتلكَ
الحاجاتِ اللازمةِ ، بالنظرِ والتفكيرِ ، وبالتنقيبِ^(٢) والتنقيرِ ، والتثبِتِ^(٣)
والتوقُّفِ ؛ ووَصَلَ معارفَهُم بِمَوَاقِعِ حاجاتهمِ إليها ، وتشاعُرِهِم بِمَوَاضِعِ
الحُكْمِ فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيانُ الذي جعله اللهُ تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائقِ
حاجاتهم ، ومعرفاً لمَوَاضِعِ سُدِّ الخَلَّةِ ورفعِ الشبهةِ ، ومداواةِ الحيرةِ ، ولأنَّ
أَكْثَرَ الناسِ عن الناسِ أَفْهَمُ منهم عن الأشباحِ الماثلةِ ، والأجسامِ
الجامدةِ ، والأجرامِ الساكنةِ ، التي لا يُتَعَرَّفُ ما فيها من دَقَائِقِ الحِكمةِ

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقيب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : « والتثبت » .

وكنوز الآداب ، وينابيع العلم ، إلا بالعقل الثاقب اللطيف ، وبالنظر الثام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الوافرة ، والصبر على مكروه الفكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفّظ من دواعي الهوى ؛ ولأنّ الشكّل أفهم عن شكله ، وأسكن إليه وأصبّ به . وذلك موجود في أجناس البهائم ، وضروب السباع . والصبي عن الصبي أفهم له ، وله آلف ولإليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لأنّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه بطباعه آنس ؛ وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه .

ثم لم يرض لهم من البنين بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرّق ، وكثر ولم يقلل ، وأظهر ولم يخف ، وجعل آلة البيان التي بها يتعارفون معانيهم ، والتّرجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ؛ في أربعة أشياء ؛ وفي خصلة خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد تبدّل بجنسها الذي وُضعت له وصُرفت إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ، والخط ، والإشارة ، والعقد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجد من صحّة الدلالة ، وصدق الشهادة ووضوح البرهان ، في الأجرام الجامدة والصامته ، والساكنة التي لا تتبيّن^(١) ولا تحسّ ، ولا تفهم ولا تتحرّك إلا بداخل يدخل عليها ، أو عند ممسك خلى عنها ، بعد [أن] كان تقييده لها .

ثم قسم الأقسام ورتّب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل الإشارة للناظر ، وأشرك الناظر واللامس في معرفة

(١) في ل : « لاتنبس » ، أى تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إِلَّا بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ نَصِيبَ النَّازِرِ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ نَصِيبِ
الْأَمْس . وَجَعَلَ الْخَطَّ دَلِيلًا عَلَى مَا غَابَ مِنْ حَوَائِجِهِ عَنْهُ ، وَسَبَبًا مَوْصُولًا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ أَعْوَانِهِ ؛ وَجَعَلَهُ خَازِنًا لِمَا لَا يَأْمَنُ نَسْيَانُهُ ، مِمَّا قَدْ أَحْصَاهُ وَحَفِظَهُ ،
وَأَتَقَنَهُ وَجَمَعَهُ ، وَتَسَكَّلَ الْإِحَاطَةَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلشَّامِّ وَالذَّائِقِ نَصِيبًا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير والبسيط ، ولبطلت ^(١)
معرفة التضاعيف ، ولعديموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات ^(٢) ،
ولو أدركوا ذلك لما أذركوه ^(٣) إِلَّا بَعْدَ [أَنْ] تَغْلُظَ الْمُثُونَةُ ، وَتَنْتَقِصَ
الْمُنَّةُ ، وَلِصَارُوا فِي حَالٍ مَعْجَزَةٍ وَحُسُورٍ ، وَإِلَى حَالٍ مَضِيعَةٍ وَكَلَالٍ
حَدٍّ ، مَعَ التَّشَاغُلِ بِأُمُورٍ لَوْلَا فَقْدُ هَذِهِ الدَّلَالَةِ لِسَكَانِ أَرْبَحَ لَهُمْ ، وَأُرْدَّ
عَلَيْهِمْ ، أَنْ يُصَرَّفَ ذَلِكَ الشَّغْلُ فِي أَبْوَابِ مَنَافِعِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم ، وَالْخَلَّةُ فِي مَوْضِعِ فَقْدِهِ مَعْرُوفَةٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وَبِالْبَيَانِ عَرَفَ النَّاسُ الْقُرْآنَ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

(١) في ط : « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها في ط : ورسمت في ل بجذفها .

(٣) في ط : « ولو أدكروا ذلك لما أدكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فَأَجْرِي الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ ^(١) ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تَلِكِ الْمَرَاتِبُ وَتَلِكِ الْأَقْدَارِ .

(فصل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوّنة والأخبارُ المخلّدة ، والحكمُ المخطوطة التي تُحَصِّنُ الْحِسَابَ وَغَيْرَ الْحِسَابِ ، لَبْطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ ، وَلَغَلَبَ سُلْطَانُ النَّسْيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْزَعٌ إِلَى مَوْضِعِ اسْتِذْكَارٍ . وَلَوْ تَمَّ ذَلِكَ لَحَرِمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْدَارَ حِفْظِ النَّاسِ لِعَوَاجِلِ حَاجَاتِهِمْ وَأَوَائِلِهَا ، لَا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا مَذْكُورًا وَلَا يُغْنِي فِيهِ غَنَاءُ ^(٢) مَحْمُودًا . وَلَوْ كُلَّفَ عَامَّةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَصْطَنِعُ الْكِتَابَ ، أَلَّا يَزَالَ حَافِظًا لِفَهْرَسْتِ كِتَابِهِ لِأَعْجَازِهِ ذَلِكَ ، وَالْكَلْفُ شَطَطًا ، وَلَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ . وَفَهْمُكَ لِمَعَانِي كَلَامِ النَّاسِ ، يَنْقَطِعُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فَهْمِ عَيْنِ الصَّوْتِ مُجَرَّدًا ، وَأَبْعَدُ فَهْمِكَ لَصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامَلِكَ وَالْمَعَاوِينَ لَكَ ، مَا كَانَ صِيَاحًا صَرَفًا ، وَصَوْتًا مَصْمُوتًا وَنِدَاءً خَالصًا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفَاهِمَةِ ، وَعُظْلٌ مِنَ الدَّلَالَةِ . فَجَعَلَ اللَّفْظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وضواجه المد كما في ل .

لأَقْرَبِ الحاجاتِ ، والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلاً ، والكتابُ للنازحِ
 ٢٥ من الحاجاتِ . فأما الإشارةُ فأقربُ المفهومِ منها : رَفَعُ الحَوَاجِبِ ، وكسَرُ
 الأَجْفَانِ ، وَلِىُّ الشَّفَاهِ وتحريكِ الأعْناقِ ، وقَبْضُ جِلْدَةِ الوجهِ ؛ وأبْعَدُهَا
 أنْ تَلَوَى بثوبٍ على مقطعِ جبلٍ ، مُجَاهَةً عَيْنِ الناظرِ ، ثُمَّ يَنْقَطِعُ عملُهَا ويدْرُسُ
 أثرُهَا ، ويموتُ ذِكْرُهَا ، ويصيرُ بعدُ كُلُّ شَيْءٍ فَضْلاً عن انتهاءِ مَدَى الصوتِ
 ومنتهى الطرفِ ، إلى الحاجةِ وإلى التفاهمِ بالخطوطِ والكتبِ . فأَيُّ نَفْعٍ أعْظَمُ ،
 وأَيُّ مِرْقَاقٍ أعْوَنُ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا !! وليس للعقدِ حظُّ
 الإشارةِ في بُعدِ الغايةِ .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزَّ وجلَّ القلمَ في المكانَ الرفيعَ ، ونَوَّهَ بِذِكْرِهِ
 فِي الْمُنْصِبِ الشَّرِيفِ حينَ قَالَ ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
 كما أَقْسَمَ بِمَا يُنْخَطُّ بِالْقَلَمِ ؛ إِذْ كَانَ اللِّسَانُ لَا يَتَعَاطَى شَأْوَهُ ، وَلَا يَشْقُ
 غِبَارَهُ وَلَا يَجْرَى فِي حَلْبَتِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّفُ [بُعْدَ] غَايَتِهِ . لَكِنْ لَمَّا أَنَّ
 كَانَتْ حَاجَاتِ النَّاسِ بِالْحَضْرَةِ (١) أَكْثَرَ مِنْ حَاجَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَمَاكِنِ ،
 وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى بَيَانِ اللِّسَانِ حَاجَةً دَائِمَةً وَآكِدَةً ، وَرَاهِنَةً ثَابِتَةً ،
 وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى بَيَانِ الْقَلَمِ أَمْرًا يَكُونُ فِي الْغَيْبَةِ وَعِنْدَ النَّائِبَةِ ، إِلَّا
 مَا خُصِّصَتْ بِهِ الدَّوَاوِينُ ؛ فَإِنَّ لِسَانَ الْقَلَمِ هُنَاكَ أَبْسَطُ ، وَأَثَرُهُ أَعَمُّ ، فَلِذَلِكَ

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدّموا اللسان على القلم . فاللسان الآن إنما هو في منافع اليد^(١) والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم ، ثم حظها^(٢) في التصوير ، ثم حظها في الصناعات ، ثم حظها في العقد ، ثم حظها في الدّفع عن النفس ، ثم حظها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضؤ والامتناسح^(٣) ، ثم انتقاد الدنانير والدراهم ولُبس الثياب ، وفي الدّفع عن النفس ، وأصناف الرّمي ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم النّقر بالعود وتحريك الوتر ؛ ولولا ذلك لبطل الضرب كله أو عامته . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضربُ الطبل والدّف ، وتحريك الصفاقتين^(٤) ، وتحريك مخارق خروق المزامير ، وما في ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزّمام والخطام ، لكان من أعظم الحظوظ .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقد والإشارة ، ولولا أن مغزانا في هذا الكتاب سوى هذا الباب ، لقد كان هذا ممّا أحب أن يعرفه إخواننا

(١) في ل « إنما يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .

(٣) في ط : « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعد
٢٦ الفراغ مما هو أولى بنا منه ، إذ كنت لم تنازعني ، ولم تعب كتي ، من طريق
فضل^(١) ما بين العقد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنما
قصدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتاب هو الذي يؤدي إلى الناس كتب الدين^(٢) ، وحساب الدواوين
مع خفة نقله ، وصغر حجمه ؛ صامت ما أسكتته ، وبلغ ما استنطقته . ومن
لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ،
ولا يحوجك إلى التجمل له والتذم منه . ومن لك بزائر إن شئت جعل
زيارته غيباً ، ووروده خمساً ، وإن شئت لزوم ظلك ، وكان منك
مكان بعضيك .

والقلم مكتف بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولا بدّ لبيان اللسان
من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارة لما فهموا عنك^(٣) خاص الخاص
إذا كان أخص الخاص قد يدخل في باب العام ، إلا أنه أدنى طبقاته ؛ وليس
يكتفي خاص [الخاص] باللفظ عما أذاه ، كما اكتفى عام العام والطبقات
التي بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو المجلس الذي لا يطريك ، والصديق الذي لا يغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل : « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيق الذى لا يملك ، والمستريح الذى لا يشتريك^(١) ، والجار الذى لا يستبطنك ، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ، ولا يحتال لك بالكذب . والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطلت إمتاعك ، وشحذ طباعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بنانك ، وفحّم ألفاظك ، وبيّح^(٢) نفسك ، وعمّر صدرك ، ومنحك تعظيم العوامّ وصدّاقة الملوك ، وعرفت به فى شهر ، ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر ، مع السلامة من الغرم ، ومن كدّ الطلب ، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ، ومن الجلوس بين يديّ من أنت أفضل منه خلقاً ، وأكرم منه عرقاً ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارئة الأغبياء . والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يعتلّ بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر . وهو المعلم الذى إن افتقرت إليه لم يُخفرك ، وإن قطعت عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عزّلت لم يدغ طاعتك ، وإن هبت ريح أعاديك لم يتقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلّقاً بسبب أو معتصماً بأذى حبل ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تضطرك [معه] وحشة الوحدة إلى جليس سوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلّا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى المارة بك ، مع ما فى ذلك من التعرّض للحقوق التى تلزم ، ومن فُضول

(١) المستريح : طالب العرف . واستراثة : استبطاه . وفى ط : « يشتريك » . وفى ل :

« يشتريك » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) البيح محرّكة : الفرح ، وبيح به كفرح ، وبيحته تبجيحاً فتبيح : أى أفرحته ففرح .

النظر ، ومن عادة الخوض فيما لا يعينك ^(١) ، ومن ملابس صغار الناس ، وحضور ألقاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ، وجهالاتهم المذمومة ، لكان في ذلك السلامة ، ثم الغنيمة ، وإحراز الأصل ، مع استفادة الفرع . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخْفِ الْمُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان على صاحبه أَسْبَغَ النعمة وأعظمَ المِنَّة .

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم ، وأصحاب الفسakahات ساعات ليلهم ، الكتاب . وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولا مروعة ، ولا في صون عرض ، ولا في إصلاح دين ، ولا في تمييز مال ، ولا في ربّ صديعة ^(٢) ولا في ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلب لبنيه في وصيته : يَا بَنِي لَا تَقُومُوا فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَاقٍ ^(٣) .

وحدثني صديق لي قال : قرأتُ على شيخٍ شامٍ كتاباً فيه من مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلا من السكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤي ^(٤) يقول : غَبَرَتْ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قِلْتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدا .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصي بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته . واخسن هذا هو ابن =

ولا بُت [ولا اتسكأت] إلا والكتابُ موضوعٌ على صدرى ^(١) .

وقال ابن الجهم : إذا غشيَنى النعاسُ في غير وقتِ نوم - وبئسَ الشيءُ
النومُ الفاضِلُ ^(٢) - عن الحاجة - قال : فإذا اعتراَنى ذلك تناولتُ كتاباً من
كُتبِ الحِكم ، فأجدُ اهتزازى للفوائد ، والأريحية ^(٣) التى تعزِينى عند
الظفرِ ببعضِ الحاجة ، والذى يغشى قلبى من سرورِ الاستبانة وعزِّ التبيين ^(٤)
أشدَّ إيقاظاً من نهيقِ الحميرِ وهذه الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنْتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه
الفائدة ورأيتُ ذلك فيه - فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُكم بقى من ورقهِ
مخافةً استنفاده ، وانقطاعِ المادَّة من قلبهِ ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم
كثيرَ الورق ، كثيرَ العدد - فقد تمَّ عيشى وكُمِّلَ سرورى .

وذكر العتبي ^(٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفى ، قاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً
بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب في الفقه . عن معجم الأعلام للزركلى . . وقد روى
الجاحظ في البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان في بعض الليالى
بالرقعة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعى المأمون ، فقال له اللؤلؤى :
نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ! خذ يا غلام بيده ! !
(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت .
وقال يقييل : نام وقت الظهيرة .

(٢) فى ط : « الفاصل » والصواب ما فى ل .

(٣) فى الأصل « الأريحة » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التين » .

(٥) فى ل : « القتيى » وهو تصحيف ما فى ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة
رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموى القرطبى الأندلسى وكان قاضياً وتوفى
سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبي أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب
الشعراء ، أصله من الرى ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة
الإنشاء في خراسان والعراق وتوفى سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذى يعنيه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : اسكني ما رغبتني فيه إلا الذي زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلاقني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتي ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! ! نظر في كتاب الإقليدس مع جارية سلمويه^(١) في يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حرٌّ مخير ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلمويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شيئاً واحداً ، وأراك زعم أنه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال^(٢)] : إنما رغبتني^(٣) في العلم أتى ظننت أنني أنفق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أنفق الكثير ، وليس في يدي إلا المواعيد ، فأني لا أريد العلم بشيء !!

= وهو محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن التميمي ١٧٦ : « كان العتي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتمد واختص به حتى إن المعتمد لما مات سلمويه قال « سألق به ، لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأي والنظر في العواقب لنفسه ولغيره من يستنصحه ، وتوفي سنة ٢٢٥ انظر القفطي ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركل ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) في الأصل « رغبتني »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلم حتى يكثُر سماعه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبه أكثر من سماعه ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَف [إليه] ^(١) ، حتى يكون الإنفاق عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوه . ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهزين بالبيان ^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيّاً . وليس ينتفع بإنفاقه ، حتى يؤثر اتِّخاذ الكتب إيثاراً الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندی مرة : ودُّتُ أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة ^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تخير ^(٤) الحبر الأسود المشرق البراق ، وعلى استجادة الخط والإرغاب لمن يخط ، فإنِّي لم أركورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمتُ مالاً عظيماً - مع حبِّي للمال وبُغضِ الغُرم - كان سخاء النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهزئ : المولع بالشئ المنهك فيه . وفي ط : « ألدَّ عنده من عشق القيان وإنفاق

المستهزئين بالبيان » ، وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل لتصح .

(٣) في ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما في ل . وحريص إنما يجمع على حرص - كزمان ،

وحراص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنَّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على
البيع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ
وُسُننٍ [و] تبيينٍ وتبيين^(١) ، أو لو كانت كتبُهم كتباً تُعرِّفُ الناسَ أبوابَ الصناعاتِ ،
أو سُبلَ التكسُّبِ والتجاراتِ ، أو كتبَ ارتفاعاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعضَ
ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنَّ كان ذلك لا يقربُ من غنى
ولا يُبعدُ من مأثم — لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ
٢٩ في التبيين^(٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الديانة ، [و] على طريقِ تعظيمِ
المِلَّةِ ، فإنَّما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ
النصارى على صُلبان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سَدَنَةِ البِدَّةِ . ولو كانوا
أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمةِ لهم مبدولةً ، والطرقُ إليها سهلةً
معروفةً . فما بالُهم لا يصنعون ذلك إلَّا بكتبِ دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى
بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون
أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلغوا في ذلك بعفْوهم ،
ما لا تبلغه النصارى بغاية الجهد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشقَ ، حين استجاز هذا السبيل ملكٌ من
ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنَّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخو أنفُسُهم

(١) في الأصل « نبيين وتبيين » وصحته بما ترى .

(٢) في ط : « التبيين » .

به ، فلمّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّه بالجلال ، وعَطَّاه بالسكرابيس (١) ، وطَبَّخَ سلاسلَ القناديلِ حتّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريقُ ؛ وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانبٌ لسنة الإسلام ، وأنّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحسنَ الدِّقَّاقَ ، مَذْهَلَةٌ للقلوب ، وَمَشْغَلَةٌ دُونَ الخشوع ، وأنّ البالَ لا يكون مجتمِعاً وهناك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس في كتبهم مثلُ سائر ، ولا خبرٌ طريف ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميّة ، ولا تعريفٌ صناعة ، ولا استخراجُ آلة ، ولا تعليمٌ فِلاحَةٍ ، ولا تدبيرٌ (٢) حرب ، ولا مقارعة (٣) عن دين ، ولا مناضلة عن نَحْلَةٍ ، وجُلُّ ما فيها ذِكرُ النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافدُ العفاريت ، وذكرُ الصنديد ، والتهويلُ بعمود السنخ (٤) ، والإخبار عن شقْلون ، وعن الهامة [والهامة] . و [كلُّه] هَذَرٌ وعِىٌّ وخُرَافَةٌ ، وسُخْرِيَةٌ وتسكُذُبٌ ، لا ترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مُؤنِّفاً ، ولا تدبيرَ معاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصّة (٥) . فأىُّ كتابٍ أَجْهَلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أَفسدُ من كتابٍ

(١) السكراباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزّة فعلال . والنسبة كرايبسى ، كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) فى ط : « تدبر » والوجه ما فى ل .

(٣) ما عدل : « منازعة » .

(٤) فى ط « الصبح » .

(٥) فى ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصية » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل ..

يوجب على الناس الإطاعة ، والبخوع^(١) بالديانة ، [لا^(٢)] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دينٍ ! ؟ والناسُ لا يحبون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فإقامةٌ سوقها [وإحضارٌ نفعها . وأما الدين فأقلُّ ما يُطعم في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يصوّر في صورةٍ مغلطة ، ويموّه تمويه الديّار البهّرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلط فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل^(٣) . فليس إنفاقهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [اختلافاً وأكثر] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانيّة أشدّ انتشاراً من اليهوديّة تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيّدُهم في توكيده ، واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتب كلَّ ما تسمعُ ، فإن أحسنَّ ما تسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض^(٦) .

(١) في ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيا الكلام .

(٣) في ط : « ويموّه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجه العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) في ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليظ » بالطاء المهملة .

(٦) هذا ما في ل . ويطابقه ما في المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفي

سائر النسخ « فإن مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن في ط : « من مكان » .

وقال الحليل بن أحمد : تسكَّثُ من العلم لتعرف ، وتقلَّلُ منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر .

وأنشد قول ابن يسير^(١) :

أما لو أعي كلَّ ما أسمعُ وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفدْ غيرَ ما قد جمعتُ لقليلِ هو العالمُ المصقعُ^(٢)
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نو عٍ من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ
وأحصرَ بالعِيِّ في مجلسي وعلمي في الكتبِ مستودعُ
فمن يكُ في علمه هكذا يكنْ دهره القهقري يرجعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعك للكتبِ لا ينفعُ

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّفَ ابنُ يسيرٍ الكتبَ ما ليس عليها . إن

الكتبَ لا تحي الموتى ، ولا تحوِّلُ الأحمقَ عاقلاً ، ولا البليدَ ذكياً ،

ولكنَّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قبُول ، فالكتبُ تشعّدُ وتفتقِرُ ،

وترهِّفُ وتشفِي . ومن أرادَ أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغي لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي

الأخباري الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقلداً ، لم يفارق البصرة ،

ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً ،

وكان من بخلاء الناس . . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبة الجاحظ

في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد - بتعقيبه للشعر - أنه لابن يسير . وهو

بدون نسبة في المحاسن والمساوي ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خبر ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيءٍ اعتراه !! فمن كان ذكياً حافظاً فليقصِد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصِّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرٍ ما يجري فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً ، إلا نسي ما هو أكثرُ منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى ، وفي بيت مدرسه^(١) كتابٌ إلا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ، فرأيتُه ينظرُ في دفترٍ وجليسه فارغُ البدن ، إلا اعتقدتُ أنه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءةٍ ، وهم جلوسٌ على خيرةٍ لهم^(٢) ، وعندهم طنبُورٌ . فتسورنا عليهم^(٣) في جماعةٍ من رجالِ الحى ، فإذا فتى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدرسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس كبير ، وهو الكتاب . وأما المدارس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغاني ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فدمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالذال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفترًا فيه شعر . فقال الذي سعى بهم : السَّوْعَة في ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ قُبَى أصحابه شيوخ ، وفي يده دفترٌ علم ، ولو كان في ثوبه دُمٌ يحیی بن زكرياء ! !

وأنشد رجلٌ يونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً فبئسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتله الله ، ما أشدَّ ضنانتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحية - وأخرج كتاب أبي الشمقمق ، وإذا هو في جلود كوفية ، ودفتين طائفيتين^(١) ، بخطٌ عجيب - فقيل له : لقد أضيع من تجوّد بشعر^(٢) أبي الشمقمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ يعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي ، أو أجعله محفوظاً على ناظري ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته ، فرأيتُ السَّماطين والرجالَ مُثولاً كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فرشته وبرزته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو في بيتِ كتبه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقاطرُ والدفاترُ والمساطرُ والمخابرُ ، فما رأيته قطُّ أفخم ولا أنبل ، ولا أهيب

(١) في ط : « طائفين » والصواب ما في ل ، نسبة إلى الطائف .

(٢) في ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الخلاوة ، ومع السؤدد الحكمة .

وقال ابن داحية : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبدِ الله بنِ عمر ابنِ الخطَّاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ يرى إلَّا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أَمْنَعُ ^(١) من كتاب ، ولا أَسْلَمَ من الوحدة . فقليل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدَها للجاهِل [وأصلحَها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوط بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفعة الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولولم تسكتب أعمالهم لسكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظُ نسياناً ، ولسكنه تعالى وعزٌّ ، علم أن كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أو كُدَّ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط : وفي المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ما هنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر ، وهو خط الحازي والعراف^(١) والزاجر . وكان فيهم
 حليس^(٢) الخطاط الأسدي ، ولذلك قال شاعرهم في هجائهم :
 فأنتم عضاريط الحليس إذا غزوا غناؤكم تلك الأخطيط في الترب^(٣)
 وخطوط آخر ، تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر ، كما يعترى المفكر
 من قرع السن ، والغضبان من تصفيق اليد وتجيظ العين . وقال تأبط شراً :
 لتقرعن على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق
 وفي خط الحزين في الأرض يقول ذو الرمة^(٤) :
 عشيّة مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع^(٥)
 أخط وأحمو الخط ثم أعيدّه بكفى والغربان في الدار وقع
 وذكر النابغة صنيع النساء ، وفزعهن إلى ذلك ، إذا سبين واغتربن
 وفكرن ، فقال :

- (١) في ط : « الحادي والقراف » وتحقيقه من ل . والحازي : صاحب الكهانة
 في العرب . والراف : السكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :
 جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حجر إنهما شفيان
- (٢) كذا في س : ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . وورد في ل برسم
 « حليس » وفي ط برسم « جلس » .
- (٣) المضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كملابط ، وعضروط كمصفور ، قال في
 القاموس : « هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، والثلثم » . والشعر لأبي نواس في ديوانه
 ١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .
- (٤) قال الثعالبي في الثمار ٢١٤ : ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
 في أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرع البيان !! ثم يخبر بما
 يرى . وهو مشتق من قولك : أرياني ما أريد عيانا . وهذا معنى قول ذي الرمة :
 عشيّة مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع
 وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .
- (٥) في الثمار كما كتبت « بلقط » بالقاف بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وانظر
 تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَحْطُظْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَانُ رُمَانَ الشَّدِيِّ النَوَاهِدِ
وَقَدْ يَفْزَعُ إِلَى ذَلِكَ الْحَجَلُ وَالْمَتَعَلُّ ، كَمَا يَفْزَعُ إِلَيْهِ الْمَهْمُومُ وَهُوَ قَوْلُ الْقَاسِمِ
ابْنِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَلْمَسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ^(١)
بَلْ يَبْسُطُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ السَّكْنَدِيِّ ، وَذَكَرَ رَجُلًا سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَعْتَرَاهُ الْعَبَثُ
بَأَسَنَانِهِ ، فَقَالَ :

وَأَصَرَ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضِرْسًا يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعٌ بِضِرْسِ
وَرَبَّمَا اعْتَرَى هَوْلَاءُ عَدُوَّ الْحَصَى ، إِذَا كَانُوا فِي مَوْضِعِ حَصَى ، وَلَمْ يَكُونُوا
فِي مَوْضِعِ تَرَابٍ ، وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

ظَلَمْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعَدُّ الْحَصَى مَا تَنْقَضِي حَسْرَاتِي
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

نَهْرًا جَارِيًا وَبَيْتًا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْمَكَارِمِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَهُمْ بَلَقَطِ حَصَاكَ^(٢)
وَقَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ يَصِفُ أَمْرًا قُتِلَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ مَحْزُونَةٌ تَلْقُطُ الْحَصَى :
وَبَيْضَاءَ مَكْسَالٍ كَأَنَّ وَشَاحَهَا عَلَى أُمِّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَذُولِ^(٣)

(١) فِي ط : « يَنْكُتُونَ » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَفِي س « يَنْكُتُونَ » ، وَفِي ل وَكَذَلِكَ عِيُونَ
الْأَخْبَار ٣ : ١٥٢ وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِي ٣٣٢ « لَا يَنْقُرُونَ » كَمَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ مَجَالِسَ ثَعْلَبِ
١٧٣ وَالْعَمْدَةَ ٢ : ٢٣٦ وَلِبَابِ الْأَدَابِ ٢٥٧ .

(٢) « تَرَاخٍ » لَعَلَّهَا « بَرَاخٍ » كَسَحَابٍ ، وَأَصْلُ مَعْنَاهُ الْفَسِيحُ مِنَ الْأَرْضِ . وَ « تَعْلَهُمْ »
هِيَ فِي ط : « تَعْلَقُهُمْ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَفِي ل « تَعْلَلُهُمْ » وَهُوَ خَطَأٌ كِتَابِي .

(٣) فِي ط : « الْمُقْلَتَيْنِ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ عَجِيبٌ . وَأَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ يَعْنِي بِهِ الظُّبَى .
وَالْخَذُولُ مِنْ وَصْفِ أُمِّهِ ، وَهِيَ الَّتِي خَذَلَتْ أَصْحَابَهَا فَأَنْفَرَتْ عَنْهُمْ قَائِمَةً عَلَى وَلَدِهَا ،
فَهِيَ فَرْعَةٌ وَلَهْةٌ عَلَى خَشْفِهَا ، وَهِيَ تَمُدُّ عَنْقَهَا وَتَرْتَاعُ ، وَذَلِكَ أَحْسَنُ لَهَا .

عَقَلَتْ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى
 مع الصُّبْح ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ
 يقول : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلاً عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورْثْهَا إِلَّا الْهَمَّ الَّذِي دَعَاها إِلَى لِقَاطِ
 الْحَصَى . يُخْبِرُ أَنَّهُ لَمَنْعَتِهِ ، لَا يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ .

(أَقْوَالُ الشُّعْرَاءِ فِي الْخَطِّ)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ
 قَالَ : قَالَ الْمُقَنَّنُ الْكَنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :
 كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغِلَامِ أَجَادَهُ ^(١) بِمَدَادِهِ ، وَأَسَدٌ مِنْ أَقْلَامِهِ ^(٢)
 قَلَمٌ كَخُرُطُومِ الْحَمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفِظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ
 يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءَهَا لِيَبَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أَرْسَامِهِ
 مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادُ سُخَامِهِ حَتَّى تَغْيِرَ لَوْنُهَا بِسُخَامِهِ
 يَخْفَى فَيُقْصَمُ مِنْ شَعِيرَةِ أَنْفِهِ ^(٣) كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ
 وَبِأَنْفِهِ شَقٌّ تَلَاعَمَ فَاسْتَوَى سُقَى الْمَدَادِ ، فَزَادَ فِي تَلَامِهِ
 مُسْتَعْجِمٌ وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا ^(٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتِعْجَامِهِ

(١) فِي ط : « كَتَفَ » وَفِي ل « كَفَ » وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ س .

(٢) فِي ط : « بِمَرَادِهِ » وَهُوَ تَصْحِيفُ ظَاهِر .

(٣) فِي ط : « يَخْفَى » وَإِنَّمَا هُوَ « يَخْفَى » بِالْخَاءِ كَمَا فِي ل ، أَيْ يَرِقُ سِتْرُهُ ، فَيَتَعَثَّرُ فِي الْكِتَابَةِ .
 وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَفَا الْقَدَمَ وَالْحَفَ وَالْحَافِرَ .

(٤) فِي ط : « مُتَعَجِّمٌ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل ؛ لِأَنَّهُ الْوَجْهَ . وَاسْتَعْجِمَ : سَكَتَ ،
 وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

فَاسْتَعْجِمْتَ دَارَ نَعَمٍ مَا تَكَلَّمْنَا وَالِدَارَ لَوْ كَلَّمْتَنَا ذَاتَ أَخْبَارٍ

واه تراجمه بالسنة لهم تبيان مايتلون من ترجمه
ماخط من شيء به كتابه ما إن يروح به على استكثامه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلقة بأسفل لاه
ثم قال :

قالت لجارتها الغزيرل إذ رأت وجه المقنع من وراء لثامه
قد كان أبيض فاعتراه أذمة فالعين تنكره من أذهيمايه
كم من بوزل عامها مهرية سرح اليدين ومن بوزل عامه
وهب الوليد برحلها وزمامها (١) وكذلك ذاك برحله ، وزمامه
وقويح عند أعد لنيه لبن اللقوح فعاد ملء حزامه (٢)
وهب الوليد بسرجهما ولجامه وكذلك ذاك بسرجه ، ولجامه
أهدى المقنع للوليد قصيدة كالسيف أرهف حده بحسامه
وله المآثر في قريش كلها وله الخلافة بعد موت هشامه
وقال الحسن بن جماعة الجذامي (٣) في الخط :

(١) في ط : « وزمامها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) التي بالكسر : الشحم . المقويح : مصفر قارج ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازله
من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجري ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح :
الناقة قد لقحت . . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج
المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة تقزع
إذا هي قامت حاسرا مشمعة نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه باللجام ميرا هنالك يجزيني بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النضراني الجرمي (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرني يابنت آل سعد أن حلت لقحة للورد
جهلت من عنائه المتد ونظري في عطفه الألد

(٣) كذا في ل و س . . . وقد ورد « جماعة » بالخاء في ط .

إِلَيْكَ بِسْرَى بَاتَ يُرْقِلُ عَالَمٌ

أَصَمُّ الصَّدَى مُخْرُوفُ السِّنِّ طَائِعٌ (١)

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالُهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ

كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسْرِهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حُشِحَتْهُ الْأَصَابِعُ

لَهُ رِيْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرثٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعِ صِدْقَتِهَا الْأَضَالِعُ (٢)

وَقَالَ الطَّائِيُّ ، يَمْدَحُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ :

وَمَا بَرِحَتْ صُورًا إِلَيْكَ نَوَازِعًا أَعْنَتْهَا مُذْ رَاسَلْتُكَ الرِّسَائِلُ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلُ (٣)

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيَّتُهَا لَمَّا احْتَقَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْحَافِلُ (٤)

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ

إِذَا مَا امْتَطَى الْحَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ

أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهِ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ (٥)

(١) في ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدمى بعد موته . فهو

بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ، فكان القلم ينطق في القِرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س : « ضمنها » . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط : « شباهته » موضع شباهته ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط : « لولا نجيتها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط : « إذا استشعر الذهن المجلى » وأثبت ما في ل .

وقد رَفَدَتْهُ الخِنْصَرَانِ وسَدَّدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملُ^(١)
 رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنى وسميماً خطبُهُ وهو ناحلُ^(٢)
 أرى ابنَ أبي مروانَ أماً لِقَاؤُهُ فدانٍ وأماً الحِكمُ فيه فعادلُ
 ٣٥ وقد ذكرَ البُحْثَرِيُّ في كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكرِ^(٣) ، ومن أنبلِ أبناءِ
 كتابهم^(٤) الجِلَّةُ فقال :

وإذا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ ثم انتَحَتْ برَقَّتْ مصابيحُ الدُّجَى في كُتُبِهِ

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتابَ حَفراً في الصَّخُورِ ، ونقشاً في الحِجَارَةِ ، وخِلْقَةً
 مُرَكَّبَةً في البُنْيَانِ ؛ فربَّما كان الكتابُ هو النَّاتِي ، وربَّما كان
 الكتابُ هو الحَفَرُ ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جَسِيمٍ ، أو عهداً لأمرٍ عَظِيمٍ ،
 أو مَوْعِظَةً يُرْتَجَى نفعُها ، أو إحياءٌ شرفٍ يريدون تَحْلِيلَ ذكره ،
 [أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قُبَّةِ عُمْدَانَ^(٥) ، وعلى باب القَيْرُوانِ^(٦) ،

(١) في ط : « وقد رمزته الخنصران وشدت » وهو تحريف مأثبته من ل والديوان .

(٢) في ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة
 إلى الحسن بن وهب ، في مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرا منها عبيد الله
 ابن حسان ، في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت
 المذكور من قصيدة في ديوان البحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعدل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) في ط : « أنيل ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وطبوة ، واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة
 في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المعروفة في إفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَنْد^(١) ، وعلى عمود مأرب^(٢) ، وعلى ركن المشقر^(٣) ، وعلى الأبلق الفرد^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ في أبعد المواضع من الدُّثُور ، وأمنعها من الدُّروس ، وأجدر أن يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالقات)

وأقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكلُّ إقطاع ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهد وعقد ، وكلُّ جوارٍ وحلف . ولتعظيم ذلك ، والثقة به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهلية مَنْ يكتبُ لهم ذكر الحلف والهدنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعداً من النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة ، في شأن بكرٍ وتغلب^(٦) :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قُـدِّم فيه العهود والكفلاء

(١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالخميرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفي ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عاديء اليهودي ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا بيننا أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٧ وقال في البيت الثاني : « الخون : الخيانة .

ويروي : الجور » .

حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْبَغُ قُضْ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مهاريق حتى
تكون كتب دين ، أو كتب عهود ، وميثاق ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البر
والغزول ، وأصحاب الساج وعامة المتاجر ، وليس بين الوسوم^(١) التي تكون
على الخافر كله والخف كله والظلف كله ، وبين الرقوم فرق ، ولا بين
العقود والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق ، وكلها خطوط ،
وكلها كتاب ، أو في معنى الخط والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعة
والمصورة من الصوت المقطع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصورة من
السواد في القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنع في جوبة^(٢) الفم [وهوائه الذي في جوف الفم]
وفي خارجه ، وفي لهاته ، وباطن أسنانه ، مثل ما يصنع القلم في المداد والليقة
والهواء والقرطاس ، وكلها صور وعلامات وخلق مواثل ، ودلالات ،
فيعرف منها ما كان في تلك الصور لكثرة ترددها على الأسماع^(٣) ،
ويعرف منها ما كان مصوراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار ،
كما استدلكوا بالضحك على السرور ، وبالبكاء على الألم . وعلى مثل ذلك
عرفوا معاني الصوت ، وضروب صور الإشارات ، وصور جميع الهيئات ،

(١) في الأصل « الوسوم » بالراء وإنما هي « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ما عدل : « جوبة » .

(٣) كذا في ل . ووردت محرفة في ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرُ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهديد^(١) ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابة مع رفع الصوت ، حتَّى إذا رأى سائسه محم . وإذا رأى الحمامُ القيمَّ عليه انحطَّ للقطِ الحبِّ ، قبل أن يُلْقَى له مايلقطه . ولولا الوسومُ^(٢) ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموال الخللُ الكثير ، وعلى خزائن الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرْق^(٣) أو لها مُسَكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسط ، إلا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والجباية ، والديانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحساب المحكم ، ولا يخرج الخطُّ من الجزم والمسند المنعم والسمون^(٤) كيف كان ، قال [ذلك] الهيمُ [ابن عدي] ، وأبن السكبي .

(تخليد الأمم لماثرها)

[قال] : فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاء ماثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهديد » وفي ط : « وودع المجنون الوعيد والتهديد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع « ردع » لتتناسب مع « فهم » في الفقرة السابقة .

(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .

(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

(٤) بدله في ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النسخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسي .

(تخليد العرب لما آثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أن الشعر يُنيد فضيلة البيان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة المأثرة ، على السيد المرغوب إليه ، والمدحوب به . وذهبت العجم على أن تقيّد ما آثرها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد^(١) ، وبني أردشير بيضاء إصطخر ، وبيضاء المدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنَّ العربَ أحبَّت أن تشارك العجمَ في البناء ، وتنفرد بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبة نجران^(٢) ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب^(٣) والأبلى الفرد؛ و [فيه وفي ^(٤)] مارد ، قالوا « تمرّد ماردٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريفَ الأسماء ، إلّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقباب الحضر ، والشرف ٣٧ على حيطان الدار ، وكالعقد على الدّهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بلومة الجنادل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتها ، فامتحن عليها : تمرّد مارد وعز الأبلق . . فصارت مثلاً لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتِبُ الحكماء وما دَوَّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق ^(١) ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بَقِيَّةٌ ومن لا بَقِيَّةَ له ، أبى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثرُ رَدًّا ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحداث ، لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحجارة وحيطان المدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أن يطمسوا على آثارٍ من قبلهم ، وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب [أكثر] المدن وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيامَ العجمِ وأيامَ الجاهليَّةِ ، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام ؛ كما هدم عُثْمَانُ صومعةَ عُمدان ، وكما هدم الآطام ^(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادُ كلَّ قصر ومصنَّع كان لابن عامر ^(٣) ، وكما هدم أصحابنا بناءَ مدن الشامات ^(٤) لبني مروان .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمه وبضمّتين وهو القصر ، أو الحصن المبني بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا ، وصولا لقومه ، رحيا محبا للعران . وتوفي سنة ٥٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهي ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحصص ، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نَهَجَ سبيله ،
وسَهَّلَ الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجر ، ومُهَلِّهْل بن ربيعة . وكتبُ
أرسطاطاليس ، ومعلِّمه أفلاطون ، ثم بطليموس ، وديمقراطس^(١) ، وفلان
وفلان ، قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور^(٢) ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .
ويدلُّ على حداثة الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضِيَعَهُ الدُّخْلُونَ إِذْ غَدَرُوا^(٣)

أَدَّوْا إِلَى جَارِهِمْ خِفَارَتَهُ وَلَمْ يَضِغْ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا^(٤)

لَا حِمِيرِيٌّ وَفِي وَلَا عُدَسٌ وَلَا اسْتَعِيرَ بِحِكْمِهَا الشُّفَرُ^(٥)

لَسَكُنْ عَوِيرٌ وَفِي بَذْمَتِهِ لَا قِصْرَ عَابَةٍ وَلَا عَوْرُ^(٦)

فانظر ، كم كان عمرُ زُرارة ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبي عليه الصلاة

والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له — إلى أن جاء الله بالإسلام —

خمسین ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فثابت عام^(٧) .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تسكَّم بلسان

(١) في ط : « ذى بقراط » ، وما أثبت في ل . . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالتون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح ما في الديوان ١٥٩ . والمراد به المعروف والجميل . والدخل ، كما قال أبو بكر : للذي يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والنهاء مثله .

(٥) حميرى وعدس : رجلان من بني حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجاز هند بنت حجر أخت امرئ القيس ، فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزعه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ما أثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوّل
تقطّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا]
كالسكّلامِ المنشور . والسكّلامُ المنشورُ المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من
المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاش وبوّب لهم أبواب الفِطْن ،
وعرّفهم وجوه المرافق ؛ حديثهم كقديمهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وبعيدهم
كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلت كتبُ الهند ، وُترجمت حكمُ اليونانية ، وحوّلت آدابُ
الفرس ؛ فبعضها ازدادَ حسناً ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوّلوها لم يجدوا فى
معانيها شيئاً لم تذكره العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفِطْنهم
وحكمهم . وقد نُقلت هذه الكتبُ من أمةٍ إلى أمةٍ ، ومن قرنٍ إلى
قرنٍ ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخرَ مَنْ ورثها
ونظر فيها . فقد صحَّ أنَّ الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البُنيان والشعر .

(قيعة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجُمانَ
لا يؤدّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفیات حدوده ، ولا يقدر أن يوفيهما حقوقها ،
ويؤدّي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري^(١) ،
وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بمعانيها ، واستعمال تصارييف ألفاظها ، وتأويلات
مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فتي كان رحمه الله تعالى
أبن البطريق ، وأبن ناعمة ، وابن قرّة ، وأبن فهيرز ، وثيفيل^(٢) ،
وأبن وهيلي ، وأبن المقفع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد^(٣)
مثل أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنه قد أدخل الضيم عليهما ؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى
وتأخذ منها ، وتعرض عليها . وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإلّا لما له قوّة واحدة ، فإن تكلم

(١) في الأصل « المجري » وإنما هو « الجري » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس .

(٢) ابن فهيرز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهيرز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
وأما ثيفيل : فهو ثيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولي الخلافة ثلاثة أشهر . . . وقد قام بأول

نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية
خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعاً ، وجيد الرأي كثير الأدب ، وكان أول من ترجم
كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفي خالد سنة ٨٥ هـ .

يلغة واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوةُ عليهما ، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلما كان الباب من العلم أعسرَ وأضيق ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتةَ مترجماً يفنى بواحدٍ من هؤلاء العلماء .

٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحن ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دينٍ وإخبارٍ عن الله - عزَّ وجلَّ - بما يجوز عليه ممَّا لا يجوز عليه ، حتَّى يريد أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لا يجوز ، وبما يجوز على الناس ممَّا لا يجوز ، وحتَّى يعلم مستقرَّ العامِّ والخاصِّ ، والمقابلاتِ التي تلقى الأخبارَ العاميةَ المخرَجَ فيجعلها خاصيةً ؛ وحتَّى يعرف من الخبر ما يخصُّه الخبر الذي هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصُّه العقل ممَّا يخصُّه العادة أو الحال الرائدة له عن العموم ؛ وحتَّى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرف اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجمع ، وعند فقد أى معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المحال من الصحيح ، وأى شئ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأى القولين أفحشُ : المحال أم الكذب ، وفي أى موضع يكون المحالُ أفضَحُ ^(١) ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثلَّ والبديع ، والوحى

(١) في الأصل « أفضَح » .

والكناية ، وفصل ما بين الخطل والهذر ، والمقصود والمبسوط والاختصار ؛
وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب تفاهيمهم ، والذي ذكرناه
قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرف ذلك المترجمُ أخطأ في تأويل كلام الدين .
والخطأ في الدين أضرُّ من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والكيمياء ،
وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك ، أخطأ على قدر
نقصانه من الكمال . وما علم المترجم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علمه
بالأخبار النجومية ؟ وما علمه بالحدود الخفية ؟ وما علمه بإصلاح سقطات
الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمه ببعض الخطرة لبعض
المقدمات ؟ وقد علمنا أن المقدمات لا بد أن تكون اضطرارية ، ولا بد أن
تكون مرتبة ، وكالحيط الممدود^(١) . وابن البطريق وابن قرة^(٢) لا يفهمان
هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلمٍ رقيقٍ ، ومن حاذقٍ طبٍّ ،
٤٠ فكيف بكتابٍ قد تداولته اللغات واختلاف الأقاليم ، وأجناس
خطوط الملل والأم ؟ !

ولو كان الحاذق بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ،
ثم كان العربي مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى والناقل
التقصير ، ولم يجد اليوناني الذي لم يرض بمقدار بلاغته في لسان العربية
بداً من الاغتفار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف
الناسخين ؛ وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة

(١) في ط : « كالخط المنثور » وقد كتبت بدله ما في ل .

(٢) في الأصل : « وأبو قرة » .

مَنْ يَزِيدُهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي يَجِدُهُ فِي النُّسخة ، ثُمَّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، ثُمَّ يِعَارِضُ
بِذَلِكَ مَنْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْخَطَا عَلَى حَالِهِ ، إِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ طَاقَتِهِ
إِصْلَاحُ السَّقَطِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ فِي نُسَخَتِهِ .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً ، أو كلمة ساقطة ،
فيكون إنشاء عشر ورقات^(١) من حرّ اللفظ وشريف المعاني ؛ أيسرَ عليه
من إتمام ذلك النقص ، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام ؛
فكيف يُطبق ذلك المعارض المستأجر ، والحكيم نفسه قد أعجزه هذا
الباب ! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين : قد أصلح الفاسد وزاد الصالح
صلاً . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخر ، فيسير فيه
الورائق الثاني سيرة الورائق الأول ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدي
الجانية ، والأغراض المفسدة^(٢) ، حتى يصير غلطاً صِرْفاً ، وكذباً مصمّماً ،
فما ظنكم بكتابٍ تتعاقبه المترجون بالإفساد ، وتتعاوره الخطاط بشرٍّ من
ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقدّم الميلاد ، دُهرى الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المفقى ؟
قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما نزلتم ، أليس

(١) في ط : « أنشاء عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) في ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيته وفضله وسوره وصيابه ، وهذا مظهر حاله على
شدة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفساد وتداول النقص ، حرى
بالتعظيم ، وحقيق بالتفضيل على البنيان^(١) ، والتقديم على شعرٍ إن هو
حول تهاقت ، ونفعه مقصور على أهله ، وهو يعد من الأدب المقصور ،
وليس بالمبسط ؛ ومن المنافع الاصطلاحية وليست بحقيقة بيّنة^(٢) : وكل
شيء في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات^(٣) في هذه
الكتب دون الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بيننا وبينكم ، مثل كتاب
أقليدس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المحسّطى^(٤) ، ممّا تولاه الحجاج^(٥) ،
وكتبٌ كثيرة لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة
مظلومة ومغيّرة^(٦) ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلط
الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعه إلى حيث انتهى
بنا القول^(٧) .

-
- (١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .
(٢) في ط : « وليست بحقيقته بيّنة » وصوابه في ل .
(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .
(٤) في ط : « المحسّطى » بالشين ، وإنما هو « المحسّطى » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته
كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيراً من حسابه وأقيسته لحيط الأرض
والدرجة الأرضية ، فكان أرصاد علمائه أول أرصاد في الإسلام ، وسموا مجموع
أرصادهم « الرصد المأموني » .
(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ - ٤٧ .
(٦) في الأصل : « ومفسرة » .
(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ،
والهندسة ، ومعرفة اللّحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ،
والعطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في
الحمّامات وفي الأصطرلابات ، والقرسطونات ^(١) وآلات معرفة الساعات ،
وصنعة الزجاج والفُسْفِيساء ^(٢) ، والأسرنج ^(٣) والزنجفور ^(٤) واللازورد ^(٥)
والأشربة ، والأنبجّات ^(٦) ، والأيارجات ^(٧) ولكم المينا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ
ووجدته في كتاب التزييع والتلوين له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسي قال : « وخبرني
عن القرسطون كيف أخرج أحد راسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القبانى) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسفيساء : ألوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار
حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :
صبغ معروف . . وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمي ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقه يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجّات : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند ، يرب بالعسل على خلقة الخوخ ،
محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ . وقال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٠٤ : فن
هنا تسمى الانبجّات ، وهي التي ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اهـ
وهي في ط « الأنبجّات » بالثاء وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « الافشارجات » وإنما هي « الأيارجات » قال في القاموس : والأيارجة
بالكسر وفتح الراء ، معجون منسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إياره ، وتفسيره الدواء
الإلهي . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٠٤ س ٤ .

والشَّبه^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَاسْتَج^(٢) ، وتعليق الخيش ، وأتخاذ الجمَّازات^(٣) ، وعمل الحَرَاقَات^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدَّبابات^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحمل)

وكان الحجاجُ أوَّلَ مَنْ أُجْرِى فِي الْبَحْرِ السَّفْنُ الْمُقَيَّرَةُ الْمُسَمَّاةُ غَيْرَ الْحَزْرَةِ ، والمدهونة والمسطحة ، وغيرَ ذواتِ الجَوْجُو ؛ وكان أوَّلَ مَنْ عَمِلَ المحمل ، ولذا قال بعضُ رُجَّازِ الأكرباء^(٧) :

أَوَّلَ خَلَقِي عَمِلَ المحمِلَ أَخْرَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَآجِلًا
وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَاغِي فَهَنْ بِيضُ محمِلٍ لِقَدْهَا نَقِيضُ^(٨)
وقال آخر^(٩) :

-
- (١) في ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادي . وانظر التفسير الآتي .
- (٢) في ط : « النستاستج » وهو تحريف ما في ل . قال في القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .
- (٣) سيفسرها الجاحظ قريباً .
- (٤) الحراقات : سفن فيها مراى نيران ، يرمى بها العدو .
- (٥) قال الفيروزبادي ، الداذي : شراب للفساق .
- (٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها .
- (٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٣٠٣ .
- (٨) الرجز وسابقة في البيان ٢ : ٣٠٤ .
- (٩) هو رجل من فقيم ، كما في اللسان (فرض) .

شَيْبٌ أَصْدَاغِي فَهَنْ بَيَّضُ حَمَلٌ فِيهَا رَجَالٌ قَبْضُ

لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحملانات ^(١) لم تعرفوا صنعة الشبّه ، ولولا غَضَارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغضار . على أَنَّ الَّذِي عَمِلْتُمْ ^(٢) ظاهرٌ فيه التوليد ، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينِيَّ . وعلى أَنَّ الشبّه لم تستخرجوه ، وإلّا لما ذلك من الأمور التي وقعت اتّفاقاً ، لسقوط الناطف ^(٣) من يد الأجير في الصُّفْر الذائب ، فَعَفِثْتُمْ إفساده ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ما أعطاه من اللون عَمِلْتُمْ ^(٤) في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ ما تهيأ لكم ، ولستم تخرُجون في ذلك من أحدٍ أمرين : إمّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علمٍ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهيأ لكم من طريق الاتّفاق !!

(الجمازات)

وقد علمتم أَنَّ أَوَّلَ شَأْنِ الْجَمَازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جَعْفَرٍ أَمَرَتِ الرَّحَالَينَ أَنْ يَزِيدُوا فِي سِيرِ النَجِيبَةِ ^(٥) الّتي كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢ فلما حُرِّكَتْ مَشَتْ ضَرْوباً مِنَ الْمَشْيِ ، وصنّوفاً مِنَ السَّيْرِ ^(٦) ، فَجَمَزَتْ فِي

(١) في القاموس : الحملان في اصطلاح الصاغة : ما يحمل على الدراهم من الغش .

(٢) في ط : « علمتم » وهو تحريف .

(٣) الناطف : ضرب من الحلوى . انظر حواشي ٣ : ٣٧٦ .

(٤) في ط : « علمتم » .

(٥) في ل : « البخنية » .

(٦) في ل : « وضروباً من المرفوع » .

تحلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت
لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذّة ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ،
فما زالوا يقرّبون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى في كلّ ذلك تصوّبهم
وتخطئهم على قدر ما عرفت ، حتى شدّوا من معرفة ذلك ما شدّوا ، ثمّ إنّها
فرغتهم لإتمام ذلك حتى تمّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميع أمركم ، من أن
يكون اتفاقاً ، أو اتّباع أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثمّ رجع بنا القول إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج
على مَنْ زَرَى ^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة
في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُتَحَمَّلَ ثِقَلُ
مَثُونَتِهِمْ في تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما يُسَدَّى
إليهم ؛ فلن يُصان العلمُ بمثل بذله ، ولن تُستبقي النعمة فيه بمثل نشره .
على أنّ قراءة الكتبِ أبلغُ في إرشادهم من تلاقهم ؛ إذ كان مع التّلاق
يشتدُّ التّصعُّع ، ويكثرُ التّظالم ، وتُفِرطُ العصبيّة ، وتقوى الحميّة ؛ وعند
المواجهة والمقابلة ، يشتدُّ حبُّ الغلبة ، وشهوةُ المباهاة والرياسة ، مع
الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث
الضعائن ، ويظهرُ التّباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصّفة وعلى هذه

(١) أثبت ما في ل ، وهى في ط : « ذرى » مصحفة . . وزرى عليه كآزرى : عابه ،
والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية ، وإصابة الحجّة ؛ لأنّ المتوحّد يدرّسها ^(١) ، والمفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عديم من له يُباهى ومن أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضل صاحبه ، ويتقدّم مؤلّفه ، ويرجّح قلمه على لسانه بأمر : منها أنّ الكتاب يُقرأ بكلّ مكان ، ويظهر ما فيه على كلّ لسان ، ويوجد مع كلّ زمان ، على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع ^(٢) في المسألة والجواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان ^(٣) مجلس صاحبه ، ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وخلّدت من عجيب حكمها ، ودوّنت من أنواع سيرها ، حتّى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كلّ مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم ، وأدرّكنا ما لم نكن ندرّكه إلّا بهم ، لقد خسر ^(٤) حظنا من الحكمة ، ولضعف سببنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرنا ، ومنتهى تجاربنا

(١) في ط : « يدرّسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمنازع » .

(٣) في ط : « لا يجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعلّ أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تدركه حواسنا ، وتشاهده نفوسنا ، لقلّت المعرفة ، وسقطت إلهمة ،
وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأي عقيماً ، والباطل فاسداً ؛ ولسكلّ الحدّ
وتبلّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ من كتبٍ نفعاً ، وأشرف منها خطراً ، وأحسنُ موقعا ، كتبُ
الله تعالى ، فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلّ حكمه ، وتعريفُ كلّ سيّئةٍ
وحسنةٍ . وما زالت كتبُ الله تعالى في الألواح والصّحف ، والمهارق^(١)
والمصاحف . وقال الله عزّ وجلّ ﴿المّ ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .
وقال ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ . ويقال لأهل التّوراة والإنجيل :
أهل الكتاب .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكونَ سبيلُنا لمن بعدنا ، كسبيل من كان قبلنا فينا . على
أنّا وقد وجدنا من العبرة أكثرَ ممّا وجدوا ، كما أنّ من بعدنا يجد من العبرة
أكثرَ ممّا وجدنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصرَ للحقّ
من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القولُ وصلح الدهرُ وخوى نجم التّقية^(٢) ،

(١) في ط : « المحار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل : « حوى نجم التّقية » وفي ط « حوى نجم التّقيد » وقد أصلحت العبارة بما ترى .
وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتّقية : الخذر
والخوف .

وَهَبَتْ رِيحُ الْعُلَمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعِيَّ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ؟ !
وليس يجدُ الإنسانُ في كلِّ حينٍ إنساناً يَدْرِبُهُ ، وَمَقْوَمًا يَتَّقِفُهُ .
وَالصَّبْرُ عَلَى إِفْهَامِ الرِّیْضِ شَدِيدٍ ، وَصَرْفُ النَّفْسِ عَنْ مَغَالِبَةِ الْعَالَمِ أَشَدُّ
مِنْهُ ، وَالْمَتَعَلِّمُ يَجِدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ السِّكِّتَ عَتِيداً ، وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَائِماً
وَمَا أَكْثَرَ مَنْ فَرَّطَ فِي التَّعْلِيمِ أَيَّامَ خُمُولِ ذِكْرِهِ ، وَأَيَّامَ حَدَاثَةِ سَنِهِ ! !
وَلَوْلَا جِيَادُ السِّكِّتِ وَحُسْنُهَا ، وَمُبَيَّنُّهَا وَمَخْتَصَرُهَا ، لَمَّا تَحَرَّكَتْ هُمُ هَؤُلَاءِ
لَطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَنَزَعَتْ إِلَى حُبِّ الْأَدَبِ ، وَأُنْفِثَتْ مِنْ حَالِ الْجَهْلِ ، وَأَنَّ
تَسْكُونُ فِي غِمَارِ الْحَشْوِ ، وَلَدْخَلَ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنَ الْخَلَلِ وَالْمَضَرَّةِ ، وَمِنْ الْجَهْلِ
وَسُوءِ الْحَالِ ، مَا عَسَى أَلَّا يُمْكِنَ الْإِنْخِبَارُ عَنْ مَقْدَارِهِ ، إِلَّا بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا » .

(كِتَابُ أَبِي حَنِيفَةَ)

وَقَدْ تَجَدَّدَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ الْآثَارَ وَتَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَيَجَالِسُ الْفُقَهَاءَ خَمْسِينَ
عَاماً ، وَهُوَ لَا يُعَدُّ فَقِيهاً ، وَلَا يُجْعَلُ قَاضِياً ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِ
أَبِي حَنِيفَةَ ، وَأَشْبَاهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَحْفَظَ كِتَابَ الشُّرُوطِ فِي مَقْدَارِ سَنَةٍ
أَوْ سَنَتَيْنِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِيَابِهِ فَتَنْظُنَّ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ الْعُمَمَالِ (١) ، وَبِالْحَرَاءِ (٢) ٤٤
أَلَّا يَمُرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا الْيَسِيرُ ، حَتَّى يَصِيرَ حَاكِماً عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ ،
أَوْ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ .

(١) في ل : « بَابُ بَعْضِ الْعَمَالِ » وَالْعِبَارَتَانِ سَلِيمَتَانِ .

(٢) وَهِيَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ فِي الْمَطْبُوعَةِ وَهِيَ خَطَأٌ . . . وَإِنَّمَا هِيَ « الْحَرَاءُ »

بِالْأَلْفِ . قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ « وَالْحَرَاءُ : الْخَلِيقُ . وَمِنْهُ بِالْحَرَاءِ أَنْ يَكُونَ ذَاكَ ، وَإِنَّهُ لَحَرَى

بِكَذَا وَحَرَى كَفَنَى وَحَرَى ، وَالْأَوَّلَى لَاتْنَى وَلَا تَجْمَعُ » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالمٌ بالأمور ، وكلهم متفرغٌ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداء الكتابِ فتنةً وعُجباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجعتِ الأخطا ، وعادت النفسُ وافرةً ، أعاد النظرَ فيه ، فيتوقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمعه^(١) في السلامة أنقصَ من وزنِ خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قولِ الشاعر^(٢) :

إِنَّ الحديثَ تَغَرُّ القومَ خلوتهُ حَتَّى يَلِجَ بهم عِيٌّ وإكثارُ
ويقفُ عند قولهم في المثل : « كلُّ مُجَرٍّ في الخلاءِ يُسَرُّ^(٣) » فيخاف أن يعتريه ما اعتري مَنْ أجرى فرسه وحده ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه ، وأهل المنزلِ من أهلِ صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أن صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

(١) فى الأصل : « طمعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ :

٢٠٣ وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ . وقد رواه الصوى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا

مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فأكثر من يعزِم على خمسة أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنَّه ابتداء الضرب وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكون أنَّ الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحركَ دمه ، فأشاع فيه الحرارة فزادَ في غضبه ، فأراه الغضبُ أنَّ الرأى في الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فـأكثرَ من يبتدئ الكتاب وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقلَ إنَّ لم يكن بالمتبَّع ، فكثيراً مايعتريه مايعتريه من ولده ، أنَّ يحسنَ في عينه منه المقبَّحُ في عين غيره ، فليعلم أنَّ لفظه أقربُ نسباً منه من ابنه ، وحركته أَمسُّ به رِجاً من ولده ؛ لأنَّ حركته شيءٌ أحدثه من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهره فصَلَّتْ (١) ، ومن نفسه كانت ؛ وإِنَّمَا الولدُ كالمُخطَّعة يتمخَّطها ، والنَّخامة يقذفها ، ولا سواءُ إخراجُك من جزئك شيئاً لم يكن منك ، وإظهارُك حركةً لم تكن حتَّى كانت منك . ولذلك تجدُ فتنةَ الرجل بشعره ، وفتنةَ بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شيءٍ أحوَجَ منه إلى إِفْهَام معانيه ، حتَّى لا يحتاج

(١) في ط : « وبدايته من عين جوهره فصلت » . وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ
 ٤٥ ألفاظ السّفلة والحشو^(١) ، ويحطّه من غريب الأعراب ووحشيّ الكلام ،
 وليس له أَنْ يَهْدِبَهُ جَدًّا ، وَيَنْقَحَهُ وَيَصْنِفُهُ وَيُرَوِّقَهُ ، حتّى لا ينطقَ
 إِلَّا بِلُبِّ اللَّبِّ ، وباللفظ الذى قد حذف فُضُولُهُ ، وأسقطَ زوائده^(٢) ،
 حتّى عاد خالصاً لاشوّب فيه ؛ فَإِنَّهُ إِنْ فعل ذلك ، لم يفهم عنه إِلَّا بَأَن
 يجدّد لهم إفهاماً مرّاراً وتكراراً ، لأنّ النَّاسَ كلّهم قد تعودوا المبسوط من
 الكلام ، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إِلَّا بَأَن يعكس عليها
 ويؤخذ بها . ألا ترى أنّ كتاب المنطق الذى قد وُسم بهذا الاسم ،
 لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أكثره ،
 وفى كتاب أفليديس كلامٌ يدور ، وهو عربىٌّ وقد صُنِّى ، ولو سمعه بعضُ
 الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنّه يحتاج إلى
 أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعودد اللفظ المنطقى^(٣) الذى استخرج
 من جميع الكلام .

(قول صحر العبدى فى الإيجاز ، وتقده)

قال معاوية بن أبى سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصحر العبدى^(٤) :

(١) فى ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطقى » وهو تحريف .

(٤) هو صحر بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس .

خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نساباً ، توفى

نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز؟ قال : أَنْ تَجِيبَ فلا تَبْطِئَ ، وتَقُولَ فلا تَخْطِئَ . نَمال معاوية :
أو كذلك تقول !! قال صحار : أَقْلِنِي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لا تَخْطِئَ ولا تَبْطِئَ .
فلو أَنَّ سائلاً سَأَلَكَ عن الإيجاز ، فَقُلْتَ : لا تَخْطِئَ ولا تَبْطِئَ ،
وبَحْضَرْتَكَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ^(١) ، لَمَّا عَرَفَ بِالْبَدِيَّةِ وَعِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ،
أَنَّ قَوْلَكَ « لا تَخْطِئَ » مُتَضَمِّنٌ بِالْقَوْلِ ، وَقَوْلُكَ « لا تَبْطِئَ » مُتَضَمِّنٌ
بِالْجَوَابِ . وهذا حديثٌ كما ترى آثَرُهُ وَرَضُوهُ ، ولو أَنَّ قَائِلاً قَالَ لِبَعْضِنَا :
ما الإيجاز؟ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَقُولُ : الاختصار .

(حَقِيقَةُ الْإِيجَازِ)

والإيجاز ليس يُعْنَى بِهِ قَلَّةُ عِدَدِ الْحُرُوفِ وَالْأَلْفَظِ ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَابُ مِنَ
الْكَلَامِ مَنْ أَقَى عَلَيْهِ فِيمَا يَسَعُ بَطْنُ طُومَارٍ^(٢) فَقَدْ أَوْجَزَ ، وَكَذَلِكَ الْإِطَالَةُ ،
وإِنَّمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْذِفَ بِقَدْرِ مَا لَا يَكُونُ سَبَباً لِإِغْلَاقِهِ ، وَلَا يَرُدُّدٌ وَهُوَ
يَسْكُنُ فِي الْإِفْهَامِ بِشِطْرِهِ^(٣) ، فَمَا فَضَّلَ عَنِ الْمَقْدَارِ فَهُوَ الْخَطْلُ .

(اسْتَغْلَاقُ كُتُبِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ)

وَقُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَخْفَشِ : أَنْتَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنَّحْوِ ، فَلَمْ لَا تَجْعَلُ

(١) هو خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَهَمِّ التَّمِيمِيُّ الْمَنْقَرِيُّ ، كَانَ يَجَالِسُ
عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا مَالاً ،
وَلَمْ يَتَزَوَّجْ ، تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١١٥ هـ .

(٢) الطُّومَارُ وَالطَّامُورُ : الصَّحِيفَةُ ، جَمْعُهُ طُومَائِرُ .

(٣) فِي ط : « وَلَا لَتَرَدَّادِهِ وَهُوَ يَكْتَفِي مِنَ الْإِفْهَامِ بِشِطْرِهِ » وَعَدَلْتُ الْقَوْلَ مِنْ ل .

كتبك مفهومة كلها ، وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك
تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجل لم أضع كتي
هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) الذي
تدعوني إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايي المنالة ،
فأنا أضع بعضها هذا الوضع ^(١) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى
التكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلي في موافقته ^(٢) ، وحسن
نظره ، وشدة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟ !

وأقول : لو أن يوسف السمتي ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلمان
ابن ربيعة ^(٣) شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة
والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خطلاً ولغواً ؛ ولو كتب في دهره
شروط سلمان ، لكان ذلك غرارةً ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلح
في كل دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

(١) بدلها في ط : « الموضع » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) في ط : « موافقته » والوجه ما في ل . والموافقة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي الصحابي ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على
الكوفة ، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّماطين في مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك
يُخطئ ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجَز .

ولولا أني أتسكل على أنك لا تملُّ بابَ القولِ في البعير حتَّى تخرجَ إلى
الفيل ، وفي الدَّرة^(١) حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفي العقربِ حتَّى تخرجَ
إلى الحيَّة ، وفي الرجلِ حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفي الذِّبان والنحل^(٢) حتَّى
تخرجَ إلى الغُرَبان والعِقبان ، وفي السَّكَلِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفي
الدُّبِ حتَّى تخرجَ إلى السَّبُع ، وفي الظِّلْفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفي الحافر
حتَّى تخرجَ إلى الخُفِّ ، وفي الخُفِّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُنِ ، وفي البُرْثُنِ حتَّى
تخرجَ إلى المِخلَبِ ، وكذلك القول في الطيرِ وعامَّةِ الأصناف ، لرأيتُ أن
جملة الكتاب^(٣) ، وإن كثر عددُ ورقه ، أن ذلك ليس مما يُمِلُّ ، ويُعتدُّ
عليَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبُ كثيرة ، وكلُّ
مُصحفٍ منها فهو أمٌّ على حِدة ، فإن أرادَ قراءةَ الجميع لم يَطُلْ عليه الباب
الأوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثاني ، ولا الثاني حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو
أبداً مُستفيدٌ ومُستطِرفٌ ، وبعضُه يكون جِاماً لبعض ، ولا يزالُ نشاطُه
زائداً . ومتى خرجَ من آي القرآن صارَ إلى الأثر ، ومتى خرجَ من أثر
صارَ إلى خبر ، ثم يخرجَ من الخبر إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن
النوادر إلى حكمٍ عقليَّة ، ومقاييسٍ سداد^(٤) ، ثم لا يترك هذا الباب ؛ ولعلَّه

(١) في ط : « الدرة » بالبدال وإنما هي « الذرة » بالذال كما في ل . والذر : ضرب من
الحمل صغار .

(٢) كذا في ل . . وفي ط : « وفي الذباب » فقط .

(٣) في ط : « فرأيتُ أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقل ، والملا لُ إليه أسرع ، حتَّى يفضيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفاً ، إذ كنتُ إنما استعملتُ
سيرة الحكماء ، وآداب العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
الكلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحي والحذف ، وإذا خاطبَ بنى إسرائيلَ
أو حكى عنهم ، جعله مبسوطاً ، وزاد في الكلام . فأصوبُ العمل اتِّباعُ
٤٧ آثار العلماء ، والاحتذاء على مثالِ القدماء ، والأخذ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء في الكتب)

قال ابن يسير^(١) في صفة الكتب ، في كلمة له :
أقبلتُ أهرُبُ لا آلو مُباعدةً في الأرض منهم فلم يُخَصِّنِي الهربُ
بقصر أوسٍ فما والت خنادقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخرب^(٢)
فأيتُّما موئلي منها اعتصمتُ به فمن ورائي حثيثاً منهم الطلبُ
لَمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزهم فوتاً ولا هرباً ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تقلدت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتلى البيت في ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتها
بما في ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

فصرتُ في البيت مسروراً بهم جدلاً
فرداً يحدّثني الموتى وتنطقُ لي
هم مؤنسون وألأف غنيتُ بهم
لله من جلساء لا جليسهم
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها
فأئما آدبٍ منهم مددتُ يدي
إن شئتُ من مُحكم الآثار يرفعها
أو شئتُ من عربٍ علماً بأولهم
أو شئتُ من سيرِ الأملاك من عجم
حتى كأنني قد شاهدتُ عصرهم
يا قائلًا قصرتُ في العلم نهيتُهُ^(١)
إنَّ الأوائلَ قد بانوا بعلامهم
جَارَ البراءة لا شكوى ولا شغب^(١)
عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ
فليس لي في أنيسٍ غيرهم أربُ
ولا عشيرهم للشوء مرتقبُ
ولا يُلَاقِيهِ منهم منطِقُ ذربُ^(٢)
أُخْرِى اللَّيَالِي على الأيام وانشعوا^(٣)
إليه فهو قريبٌ من يدي كُتِبُ^(٤)
إلى النبي ثِقَاتٌ خَيْرَةٌ نُجِبُ
في الجاهليّة أنبتني به العرب^(٥)
تُذَبِّي وتُخْبِرُ كيف الرأي والأدبُ
وقد مضتْ دونهم من دهرهم حَقْبُ
أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسبُ
خلاف قولك قد بانوا وقد ذهبوا^(٧)

(١) في الأصول « به جدلاً » والصواب « بهم ». وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما في الأبيات الأولى . وأما « جَارَ البراءة » فهي ماصح لي من مقارنة مافي الأصول فهي في ط : « جَارَ البوأة » وفي س « جَارَ البوأة » وفي ل « حاز البراءة » .

(٢) منطِق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشعب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف مافي ل . وكُتِب : قريب .

(٥) في ط : « بها العرب » والضمير عائذ إلى العلم .

(٦) النبية والنهي : العقل . وقد تستعمل النهي جمعاً للنبيه .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إنَّ الأوائلَ قد بانوا بمعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
وهذا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا القائل .

ما مات منا امرؤ أبقي لنا أدباً نكونُ منه إذا ما مات نكتسبُ^(١)
وقال أبو وجزة^(٢) وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستان وسقا :

راحتْ بستان وسقا في حقيبتها ما حملتْ حملها الأدنى ولا السددا
ما إن رأيتُ قلوصلاً قبلها حملتْ ستين وسقا وما جابت به بلداً^(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تعلمن أن الدواة والقلم تبعي ويُفني حادثُ الدَّهر الغم^(٤)

يقول : كتابك الذي تكتبه عليّ يبقِي فتأخذني به ، وتذهب غمّي
فيما يذهب .

(نشر الأخبار في العراق)

ومما يدلُّ على نفع الكتاب ، أنه لولا الكتاب لم يُجزَّ أن يعلم أهل
الرَّقَّة والموصل وبغداد وآسوط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفة

(١) في ط : « مامات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أظنَّ أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ،
وهو أول من شبَّ بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ٦٨٤ . توفي
أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثاني . قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث
الشعر في الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستان
وسقا من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط : « تعلمي أن » وصوابه في ل .

في يياض يوم ، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة ، فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء .

[وذلك مشهور في الحام الهدى ، إذا جعلت برّدا^(١) ، قال الله جلّ وعزّ - وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤت أحداً مثله - فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَا ذَبْحَنُ أَوْ لِيَأْتِنِي رَسُولَانِ مُبِينِ ﴾ فلم يلبث أن قال الهدهد ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ أَذْهَبَ يَكْتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها ، من عِفْرِيت ، ومن بعض من عنده علم من الكتاب ، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبّل ، وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت مملكة سبأ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ . فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعض الجُلّة الكبار ، وبعض الأدباء والحكماء ، أن يدعو بعض من يجري مجراه في سلطان أو أدب ، إلى مأذبة أو نديام^(٢) ، أو خروج إلى منزّه ، أو بعض ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع برید . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، جمع للنديم . ولكنه ليس مرادا هنا .

إرادته ومعناه ، لأصابَ مَنْ يُحَسِّنُ الأداء ، ويصدق في الإبلاغ ، فيرى
أنَّ الكتابَ في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ .

ولو شاءَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ألا يكتبَ الكتبَ إلى كسرى ،
وقيصرَ ، والنَجَاشِيَّ ، والمقوقس ، وإلى ابني الجَلَنْدِي^(١) ، وإلى العبَّاهة من
حمير ، وإلى هُوَذَةَ بنِ علي ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ،
ولو جد المبلغُ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكِنَّهُ عليه الصلاة والسلام ،
عَلِمَ أَنَّ الكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليقُ بتلك المراتب ، وأبلغُ في تعظيم
ماحواه الكتاب .

ولو شاءَ الله أن يجعلَ البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها
الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزَّ ، علم أن ذلك أتمُّ ، وأكمل ،
وأجمع ، وأنبل .

وقد يكتب بعضُ مَنْ له مرتبةٌ في سلطان أو ديانة ، إلى بعضٍ من
يشاكله ، أو يجري مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتَّى يخزمه ويختمه ،
وربَّما لم يرض بذلك حتَّى يُعَنِّوَنَهُ ويعظمه . قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ أَمْ لَمْ
يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ وَفَّى ﴾ فذكرَ صحفَ موسى
الموجودة ، وصحفَ إبراهيمَ البائدة المعدومة ، ليعرفَ الناس مقدارَ النفع ،
والمصلحة في الكتب .

(نظام التورث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العين ، وتورث البنين
الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجَلَنْدِي : اسم ملك عَمَّان . وفي الأصل « بنى الجَلَنْدِي » والصواب ما أنبته عن
الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وأبنا الجَلَنْدِي هما جيفر - بوزن جعفر -
وعياذ (أوعباد) .

لا تورثوا الابن من المال ، إلا ما يكون عوناً له على طلب المال ، واغذوه
بجلاوة العلم ، واطبعوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمع العلم أغلب عليه من
جمع المال ، وليرى أنه العدة والعتاد ، وأنه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة ، ويكون له
عونا على درك الفضول ، إن كان لأبد من الفضول ؛ فإنه إن كان فاسداً
زادت تلك الفضول في فساده ، وإن كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم
وبقيته له من الكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأن المال
لم يزل تابعاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول بعرض
فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحنكة ، واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع
غرامة^(١) الحداثة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط
بأصول المنفعة ، وعجل لك حلاوة المحبة ، وبقي لك الأحدثنة الحسنة ،
وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة ، المشتملة على ينابيع
العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الإرفاق ،
وحجج الدين الذي بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتثلج
الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والعز راسخاً ، والأصل فسيحاً^(٢) .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحنه ، وتداويه وتصلحه ،
وتهذبها ، وتنفي الخبث عنه ، وتقيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجة ،
وتعودك الأخذ بالثقة ، وتجلب الحال ، وتكسب المال .

(١) الفرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفي الأصل الفرارة وهو تحريف .

(٢) كذا .

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة، منبهة للمورث، وكنز عدد الوارث، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة، ولا حق السلطان. وإذا كانت الكنوز جامدة، ينقصها ما أخذ منها، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه، ولا يزال بها المورث مذكوراً في الحكماء ومنوها باسمه في الأسماء، وإماماً متبوعاً وعلماً منصوباً، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوباً ممنوعاً، ولا تزال تلك المحبة نامية، ما كانت تلك الفوائد قائمة؛ ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر، ما كان من فوائدها على الناس أثر.

وقالوا: من (١) ورثته كتاباً، وأودعته علماً، فقد ورثته ما يُغِل ولا يَسْتَغِل، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة (٢)، ولا إلى سقى، ولا إلى إسجال بإيغار (٣)، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكار (٤)، ولا إلى أن تُثار (٥)، وليس عليها عُشر، ولا للسلطان عليها خراج. وسواء أفدته علماً أو ورثته آلة علم، وسواء دفعك إليه الكفاية، أو ما يجلب الكفاية. وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب، لم يجب عليه إحضار المسبب. فكُتِبَ الآباء، تحييب للأحياء، ومحى لذكر الموتى.

(١) في الأصل: «مق» والوجه ما أثبت.

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث.

(٣) أسجل له الأمر: أطلقه. وأوغر الملك الرجل الأرض: جعلها له من غير خراج.

(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من المخبرة (والمخبرة أن يزرع للرجل أرض غيره، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض).

(٥) قد سبق قوله «لا تحتاج إلى إثارة» فهو تكرار، أو في الكلام تحريف.

وقالوا : ومتى كان الأديب^(١) جامعاً بارعا ، وكانت موارثته كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلّم خطأ ، وأجدر أن يسرع التعلّم إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطى له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نجله ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسب^(٢) ، للنظر في الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإلّا تفسد الكفاية من [له]^(٣) تمت آلاته^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدث للغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثته الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل للطلب . فخير ميراثٍ ورث كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق ، ويصّر ولا يُعَمّى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلّ دون البعض ، ويدع لك الكنز الذى ليس للسلطان فيه حقّ ، والركاز^(٥) الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنّعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصّوّص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجة ، ولا على الجار فيه مئونة .

(قول ديمقراط في تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بدّ من أن يكون لكلّ كتابٍ علمٌ وضعه أحدٌ من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها الهمة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحّة ، والصنّف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأولها أن

(١) في الأصل : « الأديب » .

(٢) في الأصل : « الكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإلّا هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنسب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذكر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (أفوريسمو) ، تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك : وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخُبث طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل في ذلك كله به ، ومع حالة التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن^(١) تمنعها وتشرُّفها ، وتوخُّشها وقلة إسماعها ، وعن مسالة البهائم وموادعتها ، والتمسكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأن الكلب ليس يسبح تام ، ولا بهيمة تامة ، حتى كأنه من الخلق المركب والطبائع الملققة ، والأخلاق المختلطة ، كالبعول المتلون في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه .

وشرَّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتفاوتة^(٢) ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل : « ومن » .

(٢) في الأصل : « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسن صوته ، وشحو^(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفي الرابعي أنه مُسرول
مثقل ، وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
نتائجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيماً ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيدَ
في قوتهما ، وأتمَّ لشدهما ؛ ففع البغل من الشَّبَقِ والنَّعْظِ ما ليس مع أبيه ،
ومع البغلة من السَّوَسِ^(٢) ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمها . وذلك كله قُدح
في القوة ، ونقص في البنية^(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه
وأخواله ، فترك شبيههما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبيه ، وأصبرَ على الأثقال من أبيه .

أو كابن المذكورة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث
نتاجاً من البغل ، وأفسد أعراقاً من السَّمْعِ ، وأكثر عيوباً من العِيسار ،
ومن كلِّ خلقٍ خلقٍ إذا تركب من ضِدِّ ، ومن كل شجرة مُطَعَمَةٍ بخلاف .
وليس يعترى مثلُ ذلك الخِلاسى من الدجاج ، ولا الورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحر : الاتساع . وفي الأصل « وشجي » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوساً ، بمعنى اغتلت ، كما في كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ .

وفي الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) في الأصل « في للبنية » .

(٤) الديري : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعف دخل على الحلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجز والعيب . وزعم الأصمعي ، أنه لم يسبق الحلبة فرسٌ أهضم قط . وقال محمد بن سلام : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بقاء^(١) . والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية^(٢) ، إنما هي للمصمتة من الخضر^(٣) .

(الشيآت في الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أَنَّ الشَّيَآتِ كُلَّهَا ضعف ونقص - وَالشَّيْءُ : كُلُّ لَوْنٍ دَخَلَ عَلَى لَوْنٍ - وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم^(٤) أَنَّ ابْنَ الْمَذْكُورَةِ مِنَ الْمُؤْنَثِ ، يَأْخُذُ أَسْوَأَ خِصَالِ أَبِيهِ ، وَأَرْدَأَ خِصَالِ أُمِّهِ ، فَتَجْتَمِعُ فِيهِ عِظَامُ الدَّوَاهِي ، وَأَعْيَانُ الْمَسَاوِي ، وَأَنَّهُ إِذَا خَرَجَ كَذَلِكَ ، لَمْ يَنْجَعْ فِيهِ أَدَبٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِي عِلَاجِهِ طَبِيبٌ ، وَأَنَّهُ رَأَى فِي دَوْرٍ ثَقِيفٍ ، فَتًى اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ ، فَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ يَوْمٌ ، إِلَّا وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ بِشَيْءٍ ، يَصْغُرُ فِي جَنْبِهِ أَكْبَرُ ذَنْبٍ كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصمتة : التي لا يتخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧) .

وَزَعَمْتَ أَنَّ السَّكَلَبَ فِي ذَلِكَ كَالنَّحْتَى ، الَّذِي هُوَ لَا ذَكَرَ وَلَا أَثَى ،
أَوْ كَالنَّحْتَى الَّذِي لَمَّا قُطِعَ مِنْهُ مَا صَارَ بِهِ الذِّكْرُ فَحَلَا ، خَرَجَ مِنْ حَدِّ كَمَالِ
الذِّكْرِ بِفَقْدَانِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَكْمَلْ لِأَن يَصِيرَ أَثَى ، لِلغَرِيزَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَبَقِيَّةِ الْجَوْهَرِيَّةِ .

وَزَعَمْتَ أَنَّهُ بِصِيرِ كَالنَّبِيدِ الَّذِي يَفْسُدُهُ إِفْرَاطُ الْحَرِّ ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَدِّ
الْخَلِّ ، وَلَا يَدْخُلُهُ فِي حَدِّ النَّبِيدِ .
وَقَالَ مَرْدَاسُ بْنُ خَذَامٍ ^(١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالثَّوْبَةِ ^(٢) شَرِبَةً قَالَتْ بُلْبُ السَّكَاهِلِيِّ عِقَالِ
فَقُلْتُ اصْطَبَحْتُهَا يَا عِقَالُ فَإِنَّمَا هِيَ الْخَمْرُ خَيْلُنَا هَا بِخَيْالِ
رَمَيْتُ بِأَمِّ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَلَمْ يَنْتَعَشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ
فَجَعَلَ الْخَمْرُ أُمَّ الْخَلِّ قَدْ يَتَوَلَّدُ عَنْهَا . وَقَدْ يَتَوَلَّدُ عَنِ الْخَلِّ - إِذَا كَانَ خَمْرًا
مَرَّةً - الْخَمْرُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ ^(٣) :

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهِكَ تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْعَارِضِ !
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِخَدِّكَ لَحْيَةٌ ذَهَبَتْ بِمَلْحَكٍ مِثْلَ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خَمْرُ عَصِيرِهَا بَعْدَ اللَّذَازَةِ خَلَّ خَمْرُ حَامِضِ
وَيَصِيرُ أَيْضًا كَالشَّعْرِ الْوَسْطِ ، وَالْغَنَاءِ الْوَسْطِ ، وَالنَّادِرَةِ الْفَازَةِ ، الَّتِي لَمْ

(١) فِي الْأَغَانِي (١٠ : ٨٧) جَذَام . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٠٧ : « جَزَام » وَانْظُرْ قِصَّةَ الشَّعْرِ
فِي الْخُصَصِ ١٣ : ١٨٩ ، وَالْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ ١٠٩ ، وَمَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِ ٣٧٠ .

(٢) الثَّوْبَةُ : مَوْضِعٌ بِالسَّكُوفَةِ أَوْ قَرِيبَ مِثْلِهَا . وَانْظُرْ نِسْبَةَ الْبَيْتِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٣) سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ ، هُوَ أَبُو عُثْمَانَ مَوْلَى بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَى ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ ، أَكْثَرُ شَعْرِهِ
فِي الْغَزْلِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْمَذْكَرِ ، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ الْبَرَامِكَةِ ، مُتَقَدِّمًا عَنْهُمْ ، قَالُوا :
وَكَانَ ذَا فَجُورٍ وَمَجُونٍ ، ثُمَّ تَابَ وَأَقْلَعَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ . انْظُرْ الْأَغَانِي
٢١ : ٦٩ - ٧٢ وَفَهْرَسُ ابْنِ النَّدِيمِ ١٧٨ ، ٢٣٦ مِصْرَ .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السنُّ ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السنُّ ^(١)] .

باب

ذكر ما يمتري الإنسان بعد الخصاء

وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ربح مُتَنِّةٌ ، وكلُّ ذى دَفِرٍ وصَنَانٍ كَرِيهٍ المشَمَّةُ ^(٢) ،
كالنَّسَر وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِيَ نَقَصَ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ
الإنسان ، فَإِنَّ الْخُصْيَّ يَكُونُ أَتْنًا ، وَصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيْضًا خَبْثُ الْعَرَقِ
سَائِرَ جَسَدِهِ ، حَتَّى لَتَوْجَدَ لِأَجْسَادِهِمْ رَائِحَةً لَا تَكُونُ لغيرهم . فهذا هذا .
وكلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَدِقُّ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ
اسْتَرَخِيَ لَحْمَهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخْصًا رَطْبًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَضِلًا ^(٣)
صُلْبًا ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرِضَ ، فَخَالَفَ أَيْضًا جَمِيعَ
الْحَيَوَانِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، وَاَعْوَجَاجٌ فِي أَصَابِعِ الْيَدِ ،
وَالْتَوَاءُ فِي أَصَابِعِ الرَّجْلِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ طَعْنِهِمْ فِي السِّنِّ . وتعرض لهم
سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وَاِنْقِلَابٌ مِنْ حَدِّ الرُّطُوبَةِ ^(٤) وَالبُضَاضَةِ وَمَلَاسَةِ
الجلد ، وَصفاء اللون وَرَقَّتِهِ ، وَكَثْرَةُ الْمَاءِ وَبَرِيقُهُ ، إِلَى التَّكْرُّشِ وَالسُّكُودِ ،

(١) هذه نهاية السقط الذى ابتداءً من ص ٩٧ .

(٢) فى ط : « وقيل ذى دفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) فى ل : « عضلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) فى ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التَّقْبِضِ والتَّخَدُّدِ^(١) ، وإلى الهزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرض
للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل ، لأنَّكَ ترى الخصى وكأنَّ السيوفَ تلمع في لونه^(٣) ، وكأنَّه مرآةٌ
صينيةٌ ، وكأنَّه وذيلةٌ مجلوةٌ ، وكأنَّه بحجارةٌ رطبةٌ ، وكأنَّه قضيبٌ فضةٌ قد
مسَّه ذهبٌ ، وكأنَّه في وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نسيئاتٍ^(٤)
يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذهاباً لا يعود ، وإن كان ذا خصبٍ ، وفي عيش
رغدٍ ، وفي فراغٍ بالٍ ، وقلةٍ نصبٍ .

(من طرائف عبد الأعلى القاصِّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصِّ ، قوله في الخصى ،
وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقير مرة
في قصصه فقال : الفقير مرقته سُلْفَةٌ ، ورداؤه عِلْمَةٌ ، وجردقته فِلْقَةٌ ،
وسمكته شِلْقَةٌ^(٥) ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثمَّ ذكر الخصى فقال : إذا قُطِعَتْ خُصْيَتُهُ ، قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ
وسخُنَتْ مَعِدَتُهُ ، ولانَتْ جِلْدَتُهُ ، وانجردت شَعْرَتُهُ ، واتَّسَعَتْ فَتْحَتُهُ ، ٤٩
وكثُرَتْ دَمَعَتُهُ !!

(١) فى الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) فى ط : « ويعرض أيضاً لنبات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) فى مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع فى وجهه » .

(٤) النساء بالضم والنسيئة بمعنى النظرة - بكسر الظاء - وتصغر النساء وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسمىها العامة اليوم « تصيرة » . . وأما

(الملققة) فهو قميص بلاكين ، أو ثوب يحجب ولا يخط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى

الحجزة . . وأما (الفلقة) فيمعنى النصف . والجردقة : الرغبة ، معرب كرده .

وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب

من صفار السمك .

وقالوا ، الخصى لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذى كان به فحلاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك السكالم ، صيّرته كالبعول الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومة على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولكنّه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوز عمر البعل عمر أبويه ، وكذلك ما عددنا في صدر هذا الكلام^(١) .

(طلب النسل)

وقالوا^(٢) : وللإنسان قوى معروفة المقدار ، وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس ، مقسومة عليها ، لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ، ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها . وباب المنكح من أكبرها ، وأقواها ، وأعظمها .

ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد ، وهو باب من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العرب الرجال ، وأغضت^(٣) على نسب المولود

(١) في ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) في ط : « قال » والوجه ما في ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفي ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبه من ل .

على فراش [أبيه] ^(١) ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول. قال الأشهب
ابن رُمَيْلة ^(٢) :

قال الأقاربُ لا تغرُّكَ كثرُتُنا وأغنَ نفسَكَ عَنَّا أيُّها الرجلُ
علَّ بَنِيَّ يشُدُّ اللهُ كثرَهم والتَّبِعُ يَنْبُتُ قُضْبَانًا فيكتهل ^(٣)
وقال الآخر ^(٤) :

إِنَّ بَنِيَّ صِيبِيَّةٌ صَيْفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّونَ
يشكوكو كما ترى صِغَرَ البنين ، وضعف الأسر ^(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولد نفاسةً بماله على بني عمه ، ولإشفاقه من
أن تليه القضاة وترتع فيه الأمناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به القاضي
الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكر ، وللرغبة في العقب ،
أو على جهة طلب الثواب ^(٦) في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبِّ الذرية وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير في كلمة (علمه) الآتية مرجع .

وعلى الأصل أيضاً لا نجد للضمير (فراشه) مرجعاً مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما في البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) في البيان : « أعظمهم » بدل « كثرهم » . وفي ط « النبع » بالغين ، والصواب ما أثبت
من ل والبيان . والنبع : شجر تحمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صبي ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل
إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده صيفيون . . .
والربيعيون : الذين ولدوا وآبائهم شباب فهم رجال » . و « إن » هي في ط « عسى »
وتصححه من ل : والنوادر .

(٥) في ط : « السن » .

(٦) في ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همّه ونصبه ، وفي جُبْنِه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَدُ مَحَبَّةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل في الولد المَوْنُ المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شيء قصده له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، وزرع النفس إلى ذلك . وذكر أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِي عَيْرَ العانة ^(١) بخلاف ما عليه أصحاب الزَّوْاجِ من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبْتَغَى الذرء ولا بالعازل ^(٢)

لأنَّ الإنسان من بين الحيوان المَزَاجِ ، إذا كره الولد عزل ، والمزاج من أصناف الحيوانات إنما غايتها طلبُ الذرء ^(٣) والولد . لذلك سُحِّرت ، وله هُبْنَتٌ ، لما أراد الله تعالى من إتمامِ حوائجِ الإنسان . والحمار لا يطلبُ الولد ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزل كما يعزل الإنسان ، غير أنَّ غايته قضاء الشهوة فقط ، ليس يَخْطُرَ ^(٤) على باله أنَّ ذلك الماء يُخلَقُ منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التَّمْنُصُ ^(٥) والتطيب والتطوُّس ^(٦) [والتعرُّس ^(٧)] والتخضب ،

(١) في ط : « وذكر أبو الأَخْزَرِ الحمام غير العانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لا مِبْتَغَى الذر ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولا العازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذر » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) التمنص : تنف الشعر . والتنمص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوس : التزين . . وبدل « التطوس » في ط : « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التحبب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصَّبغ ، وَالْحَلِي ، والكِسَاء ، والْفُرْش ، والآنية ، لكان في ذلك ما كفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنائيتها والجناية عليها ، لكان في ذلك المؤنة العظيمة ، والمشقة الشديدة .

(قول في الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضو الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذة والألم ، فباططوارٍ أن تعلمَ أن تلك القوى لم تبطل من التركيب ، ولم تعدمها الخلقة ، وإنما سُدَّ دونها بسدٍّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعَدَمُ إلاّ بعدَمَ ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضتْ^(١) من وجه ، ولا سيما إذا جمَّت ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخرت وغزرت ، وطغت^(٢) وطمتْ ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنسكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التى كانت للمنسكح وما يشتمل عليه باب المنسكح ، إلى القوَّة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوتان في بابٍ واحد كان أبلغ في حكمه ، وأبعد غايةً في سبيله ، ولذلك صارَ الخصى آكلَ من أخيه لأُمِّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه ، وعلى قدر حاجة طبعه [وحرارة نفسه و^(٣)] الحرارة المتولدة عن الحركة يكون ٥١

(١) كذا على الصواب في ط . . وفي ل : « غاضت » .

(٢) في ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) في ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أَمْنٍ ^(١) أبواب الاستمراء ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعمُّ منه في الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون الفَرَسِ ، وكذلك الرَّمَكَةُ دون البرْدُونِ ، وكذلك النعجة ^(٢) دون السكبش ، وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتُرَبِّي عليه مقطَّعاً غير منظوم ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْنَ الصبيانَ في هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبيِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطَّعم ، فللمرأة كثرةُ معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصيرُ للخصي نصيبان : نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوته في بابٍ واحد ، أعنى شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أيُّ شيء آكلُ ؟ قال : برْدُونَةٌ رَغُوْثٌ ^(٣) .

ولشدَّة نهمِ الإناث ، صارت اللبوة أشدَّ عُرْماً وأزرقَ ، إذا طلبت الإنسان لتأكله ، وكذلك ^(٤) صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أُصَيْدَ] ،

(١) في الأصل : « أَمْنٌ » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر في البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) في الأصل : « ولذلك » .

كالإناث من الكلاب [والبزاة] وما أشبه ذلك ، وأحرص ما تكون
عند ارتضاع جرائها [من أطباها] ، حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم
في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تغير الصوت ، حتى لا ينجح على من
سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصي ، وإن كان الذي يخاطبه ويناقله
الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من فحولة جنسه ، وهذا المعنى
يعرض لخصيان الصقالبة أكثر مما يعرض للخراسانية ، وللسودان من
السند والحبشان . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، إلا وله بيضة
أو عرق ، فليس يحتاج في صحة تمييز ذلك ، ولا في دقة ^(١) الحس فيه ، إلى
حدق ببقافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السفلة والغثراء ^(٢) ، وفي أجناس
الصبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصي قبل الإنبات لم يُنبِت ، وإذا خصي بعد استحكام نبات
الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن نقص من غلظه
ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا في ط ، وهو الصواب . وفي ل : « العتر » . وفي القاموس : « الفثرة محركة ، والفثراء ؛
وللفثر بالضم ، والفثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حكمِ أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة ٥٢ لاتصلعُ ، فناسبها [الحصىُ] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَعِ والجَلَحِ ، [والجَلَه] والصلعُ ^(١) وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصٍ مقادير شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزعٍ ولا جَلَحٍ ، إذا لم يكن ذلك حادثاً يُحدثه الطعنُ في السنِّ . وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصَّاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع الملائسة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلُّ ، واسكنه ينبت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعاً واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتسكون لها شعراتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالإذار موصولا بأصداعها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخشاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صُدْغِيهِ شَيْءٌ من الشعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

(١) النَّزَعُ : انخسار الشعر من جانبي الجهة . والجَلَحُ : انخساره عن جانبي الرأس . والجَلَه والصلع : انخسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحي والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدهاقين ، وكذلك الغُيب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بِخُنْثَى ، بل [كَنَجِدْهَا] أنثى تامة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المسكان . [ولا تعرض اللحي للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعرض ذلك للخصى .

وقد ذكر أهل بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد الخنّاق ، لحية وافرة ، وأنها دخلت مع نساء متنقيات إلى بعض الأعراس لترى العرس وجلوة العروس ، ففطنت لها امرأة فصاحت : رجل والله ! وأحال^(١) الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف عن فرجها ، فزعن عنها^(٢) وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً للخصى المرأة في الانجراد والزعر ، بأن تجد المرأة زبائن الذراعين والساقين ، وتجد ركب^(٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرض للخصى ما يعرض للديك إذا خصى : أن يذبل غصروف عرقه ولحيته .

والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص^(٤) مبرم القوى ، ويرخي معاقد العصب ، ويقرب من الهرم والبلى .

(١) في ل : « فاقبل » .

(٢) في ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتد وقع رجله على أرض السطح ، حتى لو تفقدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [الذي هو أعل^(١) منه] لوجدت لوقعه ووطئه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكأن العضو الذي كان يشد ٥٣ توتير النساء^(٢) ، ومعاهد الوركين^(٣) ومعاليق العصب ، كما بطل وذهب الذي كان يمسكه ويرفعه ، فيخف لذلك وقع رجله ، صار كالذي لا يتأسك ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صقلبيين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأم أخيه ، أنه متى خصى أحدهما خرج الخصى منهما أجود خدمة ، وأظن لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لها أيقن وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلاً عند المخاطبة ، فيخص بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلية ، وعلى سوء فهم العجمية .

ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقاء ، ولا تصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعل منه : أضخم منه .

(٢) في ط : « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل : « وكان العضو الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) في ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) في ط : « غشاوة » وفي ل : « غثارة » بالعين ولعل صوابهما ما أثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) في ط : « بلاهته » وأبدلتها بما في ل : ليم تساق الكلام .

المعرفة ثقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً في طريق البيان ، متصرفاً في الألفاظ ، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به ، منقلّة له ، واضعةً له في مواضع حقوقه ، وعلى أماكن حظوظه ، وهو علّة له في الأماكن العميقة ، ومصرفة له في المواضع المختلفة .

فأول ما صنع الخصاء بالصّلة لبى تركية عقله ، وإرهاف حده ، وشخذ طبعه ، وتحريك نفسه . فلما عرّف كانت حركته تابعة لمعرفة ، وقوته على قدر ما هيّجه (١) .

فأمّا نساء الصقالبه وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقل خلقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة بالموافقة ، سبيل . وعلى حسب الجهل يكون الخرق ، وعلى حسب المعرفة يكون الخلق . وهذا جملة القول في نسائهم ، وعلى أنّهم لا حظوظ لهم عند الخلوة ، ولا نفاذ لهم في صناعة ؛ إذ كنّ قد مُنِعن فهم المعاطاة ومعرفة المناولة .

والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة أبواب الخدمة ، وفي استواء حالهم في باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قط نفذ في صناعة تُنسب إلى بعض المشقة ، وتضاف إلى شيء من الحكمة ، ممّا يُعرف ببُعد الرويّة ، والغوص بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكرُوا من نفاذ نقف (٢) في التحريك للأوتار ، فإنّه كان في ذلك مقدماً ، وبه مذكورا .

(١) في ط : « ما به » وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل وفي ط : « دامة » وفي س : « نقف » .

إِلَّا أَنَّ الْخَصِيَّ مِنْ صَبَاه ، يُحَسِّنُ صِنْعَةَ الدَّبُوقِ ^(١) ، وَيُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطَّوْرِيِّ ^(٢) ، وَمَا شَتَّتَ مِنْ صَغَارِ الصَّنَاعَاتِ .

وَقَدْ زَعَمَ الْبَصْرِيُّونَ أَنَّ حَدِيثًا ^(٣) الْخَصِيَّ ، خَادِمَ مُثَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ ، كَانَ يُجَارَى ^(٤) مُثَنَّى فِي الْبَصْرِ بِالْحَمَامِ ، وَفِي صِحَّةِ الْفِرَاسَةِ ، وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ ، وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ . وَسَنَدُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا قَوْلُهُمْ فَيَمْنُ خُصِيٍّ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَمَلُوكُنَا لَعَقُولِ خِصْيَانِ خُرَاسَانَ أَحْمَدَ ، وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ ، وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ . ٥٤

(خِصْيَانُ السَّنَدِ)

وَأَمَّا السَّنَدُ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخِصْيَانِ إِلَّا النَّفَرُ الَّذِينَ كَانَ خِصَاهُمْ مُوسَى بْنُ كَعْبٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ ، وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصَى أَرْبَعَةً هُوَ أَحَدُهُمْ ، وَرَأَيْتُ الْخِصَاءَ ، قَدْ جَذَبَهُ إِلَى حَبِّ الْحَمَامِ ، وَعَمِلَ التَّكْكَ ^(٥) ، وَالْمَهْرَاشَ بِالْدَبُوقِ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُجَرِّ مِنْهُ عَلَى عِرْقٍ ، وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ ذَلِكَ الْعَضْوِ .

(١) الدَّبُوقُ ، هُنَا : جَمْعُ دَبِقٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الدَّابُوقُ وَالدَّابُوقَاءُ : غَرَاءُ يَصَادُ بِهِ الطَّيْرُ .

وَالدَّبُوقُ كَتَنُورٍ قَالَ فِي الْقَامُوسِ : لَعِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ . . وَلَيْسَتْ مُرَادَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ .

(٢) فِي ط : « الضَّوَارَى » وَفِي ل : « الصَّوَار » وَصَوَاهِمَا « الطَّوْرِيُّ » وَهُوَ الْوَحْشِيُّ .

(٣) فِي ط : « خَدِيجًا » بِالْخَاءِ . وَقَدْ كَتَبْتُ مَا فِي ل وَ س .

(٤) فِي ط : « يَجْرَى » .

(٥) التَّكْكَ : رِبَاطُ السَّرَاوِيلِ وَالْجَمْعُ تَكْكَ ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَعْرَبَةٌ ، كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ

الْخَفَاجِيُّ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ صَاحِبُ الْقَامُوسِ لِذَلِكَ .

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأما الخصيان من الحبشان والنوبة وأصناف السودان ، فإنَّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقصهم ولا يزيدهم ، ويحطهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبة عن مقادير إخوانهم ، لأن الحبشى متى خصى سقطت نفسه ، وثقلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدَّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استقصى جيبه لم يتأسك بوله ^(١) ، وسلس مخرجه ، واسترخى المسك له ، فإن هم لم يستقصوا جيبه ، فلنما يدخل الرجل منزله من له نصف ذلك العضو ^(٢) . وعلى أنك لا تجد منهم خصياً أبداً ، إلاَّ ويسرته بُجراً ، ونفخة ^(٣) شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قبحه في العين ، وشنئته في الذِّكر . وكلُّ ما قُبِحَ في العين فهو مؤلم ، وكل ماشع في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثر ما تجد فيهم الأُلطع ^(٤) ، وذلك فاشٍ في باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدلاً ، وكانت المشافر منقلبة ، كانت أظهر للَطع ، وهو ضرب من البرص . واليباض الذي يعرض لغراميل الخيل وخصاها ^(٥) ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عَرَضَ مثل ذلك لحشفة قضيب المختون ، إمَّا لطبع الحديد ، وإمَّا لقرب ^(٦) عهده بالإحداد وسقى الماء ، إلاَّ أن ذلك لا يعدو مكانه .

(١) في ط : « ولم يتأسك بوله » والوجه حذف الواو كما في ل .

(٢) في الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جيبه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .

(٣) في ط : « وبجّة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما في ل . والبحر : العقدة في البطن والوجه والفتق .

(٤) اللطع : يبايض في باطن الشفة . وأكثر ما يعترى ذلك السودان .

(٥) في ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .

(٦) في ط و س : « لتقدم » وهو خطأ صوابه في ل . ويؤيده ما كتبه الجاحظ في الحيوان

٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : ودأته .

وكالما عَظُمَت الحَشْفَةُ انبَسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ،
 وإنما ذلك كالبياض الذى يعرض من حَرَقِ النار وتشيطها^(١) ، وكالذى
 يعرض للصقَالِبَةِ من التَّعَالُجِ بالسكى . وربما اشتدَّ بياضُه حتى يفحُشَ
 ويُردِّيه^(٢) ، إلاَّ أنَّه لا يفشو ولا ينتشر ، إلاَّ بقدر ما ينسط مكانه ، ويتحوَّل
 صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبياً^(٣) . وليس كالذى يعرض من البلغم ومن
 المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضُه لا يذهب
 ولا يقف ، بل لا يزال يتفشَّى ويتَّسع حتى ربَّما سلخه ، ولا يذهب إلاَّ بأنَّ
 يذهب به نبى^(٤) ، فيكون ذلك علامةً له . ومن البق الأبيض ما يكاد يلحق
 بالبرص^(٥) ، ولكن الذى هوَّ أمره الذى ترون من كثرة بُرءِ الناس منه .
 ثمَّ الخِصَاءُ يكونُ على ضروبٍ ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك
 ما يعرض بعدَ الكِبَرِ للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض
 للعجم ، كما خَصَى بعضُ عبَاهِلَةِ اليمن^(٦) علقمة بن سهل الخصى .

٥٥

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) فى ط : « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « يردئه » أى يجعله رديئاً ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلاً » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض فى إحدى رجلى الدابة . أما « صبياً » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شئ » وقد أبدلته بما فى ل . . وكان عيسى عليه السلام يرى الأكمة والأبرص بإذن الله .

(٥) فى ط : « ما يكون ملتحماً بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقباهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَبَ الجَدِيلِ^(١) وداعراً ، الفحلين
السكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة
ابنِ مَظْعُونٍ في شربِ الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبَلُ شَهَادَةَ الْخَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ .

وهو عَلَقْمَةُ بن سَهْلٍ بن عَمارة ، فَلَمَّا سَمَوْهُ الْخَصِيَّ ، قالوا لَعَلْمَةَ بن
عَبْدَةَ : الفحل . وعَلَقْمَةُ الْخَصِيَّ الذي يقول :

فَلَنْ يَعْدَمَ الْبَاقُونَ قَبْرًا لَجَشَّتِي^(٢) وَلَنْ يَعْدَمَ الْمِيرَاثَ مِنْهُ الْمَوَالِيَا
حِرَاصُ عَلَى مَا كُنْتُ أَجْمَعُ قَبْلَهُمْ هَنِئًا لَهُمْ جَمْعِي وَمَا كُنْتُ وَالِيَا
وَدُلَّيْتُ فِي زَوْرَاءَ تُمَّتَ أَعْنَقُوا لِشَأْنِهِمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وَشَانِيَا
فَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لَغَيْرِي ، وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا
وَكَمَا عَرَضَ لِلدَّلَالِ وَنَوْمَةِ الضُّحَى ، مِنْ خِصَاءِ عُثْمَانَ بْنِ حِيَّانَ [الْمَرِّيَّ]
وَالِي الْمَدِينَةِ لَهَا ، بِكِتَابِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مِنْ يَدْعَى أَنَّ عَامِلَ الْمَدِينَةِ صَحَّفَ ، لِأَنَّهُ رَأَى فِي
الْكِتَابِ : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْخَنَثِينَ » فَقَرَأَهَا : « أَحْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ

(١) في ط : « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما في ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان
ابن المنذر . . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمالي القالي ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة
إلى مالك بن الربيع .

(٣) عند الجهمياري : ه أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم .

الْمُحَنِّثِينَ . وذَكَرَ الْهَيْثُمُ عَنْ الْكَاتِبِ الَّذِي تَوَلَّى قِرَاءَةَ ذَلِكَ الْكِتَابِ ،
أَنَّهُ قَالَ : وَكَيْفَ يَقُولُونَ ذَلِكَ !؟ وَلَقَدْ كَانَتْ الْخَاءُ مَعْجَمَةً بِنَقْطَةٍ ، كَأَنَّهَا
سُهَيْلٌ [أَوْ تَمْرَةٌ صِيحَاتِيَّةٌ ^(١)] فَقَالَ الْبِقَطْرِيُّ ^(٢) : مَا وَجَّهَ كِتَابَ هِشَامٍ
فِي إِحْصَاءِ عَدَدِ الْمُحَنِّثِينَ ؟ وَهَذَا لَامَعْنَى لَهُ ، وَمَا كَانَ الْكِتَابُ إِلَّا بِالْخَاءِ
الْمَعْجَمَةِ دُونَ الْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ . وَذُكِرَ عَنْ مَشَائِخَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ حَكَّوْا
عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا : الْآنَ صِرْنَا نِسَاءً بِالْحَقِّ !! كَأَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَيْهِمَا لاختَارَا
أَنْ يَكُونَا امْرَأَتَيْنِ ! قَالَ : وَذُكِرَ أَنَّهُمَا خَرَجَا بِالْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الْإِخْصَاءِ
وَالْتَخْنِيثِ ، مِنْ فُتُورِ الْكَلَامِ . وَلَيْنِ الْمَفَاصِلِ وَالْعِظَامِ ، وَمِنْ التَّفَكُّكِ
وَالْتَثْنِيِّ ، إِلَى مَقْدَارٍ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا بَلَّغَهُ ، لَامِنْ مَخْتَثَاتِ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ
مُؤَثَّتِي الرِّجَالِ .

(أَبُو هَمَامِ السَّنُوطِ)

وَكَمَا عَرَضَ لِأَبِي هَمَامِ السَّنُوطِ ^(٣) مِنْ امْتِلَاحِ اللَّخْمِ مَذَاكِيرَهُ
وخصَّيَّهِ ^(٤) ، أَصَابَهُ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي ^(٥) ، فَسَقَطَتْ لِحْيَتُهُ ،
وَلَقَّبَ بِالسَّنُوطِ ، وَخَرَجَ لَذَلِكَ نَهْمًا وَشَرِّهًا .

(١) الصَّيْحَانِي : ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ أَسْوَدٌ صَلْبٌ الْمِضْفَةِ . وَسَمِيَ صِيحَانِيَا لِأَنَّ صِيحَانَ اسْمَ
كَبْشٍ كَانَ رِبَطًا إِلَى نَخْلَةٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَثْمَرَتْ تَمْرًا وَنَسَبَ إِلَى صِيحَانَ .

(٢) فِي ط ، ل ، س « الْبِقَطْرِيُّ » بِالْبَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْيَاءِ كَمَا فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ
مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْيَبَانِ .

(٣) ذَكَرَهُ الْجَاهِظُ فِي الْبَغْلَاءِ ١٧٦ وَجَاءَ مُحَرَّفًا بِالْمَسُوطِ ، وَالسَّنُوطُ بِالْفَتْحِ وَالتَّخْفِيفِ :
مِنْ لَاحِيَةٍ لَهُ أَصْلًا ، أَوْ الْحَقِيفُ الْعَارِضِينَ .

(٤) فِي ط « مِنْ امْتِلَاحٍ لَحْمِ مَذَاكِيرِهِ وَخصَّيَّهِ » وَهُوَ تَخْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل وَجَاءَ
فِي الْقَامُوسِ : اللَّخْمُ بِالضَّمِّ : سَمَكٌ بِحَرِيِّ . وَقَدْ ضَبَطَ فِي مَعْجَمِ الْمَعْلُوفِ ص ٢٢٥
بِالْفَتْحِ سَهْوًا ، قَالَ : وَهُوَ يَعْرِفُ بِالْفَرَشِ فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

(٥) فِي ل « أَصَابَهُ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ سَمَكَةً فِي بَعْضِ الْمَغَازِي » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضه لا يحمل إلا الرطب ، وبعضه لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا الجزع^(١) ، وبعضه لا يحمل إلا البسر ، وبعضه لا يحمل إلا الخلخال ، وكثنا متى تناولنا من الشُّعْرَاحِ بُسْرَةً ، خلقَ ٥٦ اللهُ مكانها بُسْرَتَيْنِ ، لَمَّا كان بذلك بأس ! ثم قال : أَسْتَغْفِرُ الله ! لو كنتُ تَمَنَّيتُ أن يكونَ بدلَ نواةِ التمر زُبْدَةٌ كان أصوب !!
ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التي تعرض للذاكِر والخصيتين ، حتى ربما امتلخهما طيبٌ ، وربما قطعَ إحداها ، وربما سقطتا جميعاً من تلقاء أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أن الولدَ إنما يكونُ من البيضة اليسرى^(٢) ، وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أن ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزلي ، إنما وُلِدَ له بعد أن تُزِعَت بيضته اليسرى ، لأمرٍ كان عرض له .

والخصيَّ الطَّيَّان ، الذي كان في مسجدِ ابنِ رَغْبَان^(٣) ، وُلِدَ له غلام ، وكان ليس له إلا البيضةُ اليمْنَى ، فجاء أشبهَ به من الذُّبابِ بالذُّباب ، والغرابِ بالغراب ، ولو أَبْصَرَهُ أَجْهَلُ خَلْقِ الله تعالى بفِرَاسَةٍ ، وأبعدُهم من قِيَافَةٍ ، ومن مَخَالَطَةِ النِّخَاسِينِ ، أو من مجالسةِ الأعرابِ ، لَعَلِمَ أَنَّهُ سُلَالَتُهُ

(١) في ط ، س «المجزع» و ل «النصف» وصواب الأول «المجزع» وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٢١٥ .

(٣) في ط «ابن زغبان» بالزاي وأبدلته بما في ل وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٦ «ابن زغبان الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب بن مسلمة . . وكان حبيب عظيم القدر ، على الولايات زمن عثمان ومعاوية .»

وخلاصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزّز المُدلجى^(١) ، ولا إلى ابن كَرِيز^(٢) الخُرّاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصِي ابنه ويقفُه على بيت العبادة ، ويجمعه سادناً ، كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يُحدثون في القضيبي حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأثنين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحيال نسائهم ورواهبهم^(٣) فقط !! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغاً لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عندها ويستجلبه ، لفرط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاء في الدنيا فإنما أصله من قبل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكيد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلاً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جرّم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان ، من طلب الطوائل وتذكّر الأحقاد ، ما لم يظنّوه عندهم ، ولا خافوه من قبلهم ،

(١) في ط : « محرز » وإنما هو « مجرز » كما في ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابي له ذكر في الصحيحين . . وكان الرجل قائفا .

(٢) في ل : « كرز » .

(٣) في ط : « ودواهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزعون ، ولا الخصيَّان ينسكلون ، لأنَّ الرِّمَّيةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصىُّ أسواراً بلغَ منهم ^(١) ، وإن كان جمع مع الرماية الثروة ، واتخذ بطرسوس ، وأذنة ، الضياع واصطنع الرجال ، واتخذ العقد المغلَّة ^(٢) فمضرة كل واحدٍ منهم عليهم ، تفى بمضرة قائدٍ ضخم . ولم ترَ عداوةً قط تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة في النساء ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلةٌ كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحداث .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الروميُّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النِّيَّةِ ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام ^(٣) ، وبإدخاله النقصَ على النسل ، كما فعل ذلك أبو المبارك الصابي . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمر عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرف الأخبار ، ونوادر الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قطُّ بأغزلَ منه ، وإن كان يصدق عن نفسه فما في الأرض أزنى منه .

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط : « واتخذ العقد والعبيد المغلَّة » . والعقد : جمع عقدة ، وهي الضيعة .

(٣) في ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجرى ذكرُ النساءِ ومحلَّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليهن أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه ، إذ كان قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجعل امرأة - قال ابن عباد ، فقال لنا : ألسنم تعلمون أنِّي قد أربيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهنُ الكبيرِ ، ونفاذُ الذَّكْرِ (١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبوعِ النطفة ، قد أَمَاتَ حنينه إلى النساءِ وتفكيره في الغزل ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهنَّ مُدداً ، وتخلي عنهنَّ سنينَ ودَهرًا (٢) ، أن تكون العادة وتَمَرُّنُ الطبيعة ، وتوطِّنُ النفسَ ، قد حطَّ من ثقلِ منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتم أنَّ العادة [التي] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعضِ عَمَدٍ هَجَرٍ لِلأَمْسَةِ النساءِ (٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من لم يذُقْ طعمَ الخلوَّةِ بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمَعْ حديثهنَّ وخِلاَتهنَّ للقلوب ، واستمالتهنَّ للأهواء ، ولم يَرَهُنَّ منكشفاتِ عارياتٍ ، إذا تقدَّم له ذلك مع طولِ التَّركِ ، ألا يكون بقي معه من دواعيهنَّ شيءٌ ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لمن قد علِمَ أنه محبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسومٌ ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

(١) الذكر هنا في معنى التذكُّار .

(٢) في ل : « زهداً » بدل « ملداً » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاء الزُّهْد في الدنيا ، وفيما يحتويه النساء مع جملهنّ وفتنة النَّسَائِكِ بهنّ ، واتخاذ الأنبياء لهنّ ، إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكرِّهه عليه أبٌ ولا عدوٌ ، ولا سبَّاه سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهد هو المقدار الذي يُمِيت الذُّكْرَ لهنّ ، وَيُسَرِّي عنه ألم فقد وجودهنّ^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم^(٢) ويختار الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخل على الحلقة ، أن تكون اللوساوس في هذا الباب لا تعرفوه ، والدواعي لا تقرّوه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السَّكَن وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسيَ هذا الباب ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمون أنني سَمَلْتُ عيني يومَ خَصَيْتُ نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصُّور وكيف ترّوع ، وجَهِلتُ المراد منها ، وكيف تُرَاد ، أفأ كان^(٥) [مَنْ كان كذلك] حَرِيّاً أن تكون نفسه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره ؟ قال : قلنا : صدقت . قال : أولو لم أكنْ هَرِمًا^(٦) ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قاعةً أليس في^(٧) أيُّ لم أذُق حيواناً منذُ ثمانينَ

(١) في ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .

(٢) في ط : « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينشئ العزم » .

(٣) في ط : « يصيب بها » .

(٤) قرأه يقرّوه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط : « فأكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل : « أوليس لولم أكن هَرِمًا » .

(٧) في الأصل : « ألا » .

سنة ولم تملِ عُروقي^(١) من الشرابِ مخافةَ الزيادةِ في الشهوةِ ، والنقصانِ من العزم - أليس^(٢) في ذلك ما يقطع الدواعي ، ويُسكن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإني بعدَ جميع ما وصفتُ لكم ، لَأَسْمَعُ نَعْمَةَ الْمَرْأَةِ فَأُظِنُّ مَرَّةً أَنْ كَبِدِي قَدْ ذَابَتْ ، وَأُظِنُّ مَرَّةً أَنَّهَا قَدْ انْصَدَعَتْ ، وَأُظِنُّ مَرَّةً أَنَّ عَقْلِي قَدْ اخْتَلَسَ ، وَرَبَّمَا اضْطَرَبَ فُؤَادِي عِنْدَ ضَحِكِ إِحْدَاهُنَّ ، حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ فِي ، فَكَيْفَ أَلُومُ عَلَيْنِ غَيْرِي ؟ !

فإن كان - حفظك الله تعالى - قد صدق على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنة أو سبعين سنة ؟ ! وما ظنك به قبل الخلاء بساعة ؟ ! وليس في الاستطاعة ولا في صفة الإمكان ، أن يحتجز عن إرادة النساء ، ومعه من الحاجة إليهن والشهوة لهن هذا المقدار ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه ، وأعدلُ على عباده ، من أن يكلفهم هجرانَ شيء ، قد وصله بتلوهم هذا الوصل ، أو أكده هذا التأكيد .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفايةً إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخلاء)

وقد ذُكر أَنَّ عُمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ ، اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّيَاحَةِ فَقَالَ : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةُ » . واستأذنه في الخلاء فقال :

(١) في ط : « تمل » وما أثبت من ل .

(٢) في الأصل : « لكان » .

« خِصَاءُ أُمِّي الصَّوْمِ ، وَالصَّوْمُ وَجَاءَ » . فهذا خِصَاءُ الدِّيَانَةِ .

٥٩ (خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

فَأَمَّا مَنْ خَصَى الْجَلْبَ ^(١) عَلَى جِهَةِ التَّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يُجِبُّ الْقَضِيبَ ،
وَيَمْتَلِخُ الْأَنْثَيْنِ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرَطِ الْفَرْعِ ^(٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رَدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلَمٌ لَا يَنْبَغِي بِهِ
ظُلْمٌ ، وَظُلْمٌ يُرَبِّي عَلَى كُلِّ ظُلْمٍ ^(٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِفُتُوحِ الْمُنْقَلَصِ ^(٤) ،
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرَى مُجِيبَ الْقَضِيبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَهُ
لَا امْرَأَةً وَلَا رَجُلًا وَلَا خَصِيًّا ، وَهُوَ حِينَئِذٍ مِمَّنْ تَخْرُجُ لِحَيْتُهُ ، وَمِمَّنْ لَا يَدْعُهُ
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بَيُوتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخَصِيَّانِ
مُقَرَّبًا وَمَكْرَمًا ، وَخَصِيبَ الْعَيْشِ مَنْعَمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الْفُحُولِ ،
كَانَ لَهُ مَا لِلْفُحُولِ مِنْ لَذَّةِ غِشْيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النِّسْلِ وَالتَّمَتُّعِ بِشَمِّ
الْأَوْلَادِ ؛ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفُحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخَصِيَّانِ مَجْرَحًا
مَطْرَحًا ^(٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى ^(٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب ما في ل .

(٣) ل : « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « بموت المنقلص » وصوابه في ل .

(٥) ل : « مخرجاً مطرداً » .

(٦) اللسان : السدم : الذي يرغب عن فعلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ،
فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :
قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق وما تريم

القتلُ قِتْلَةً صريحة^(١) مُريجة - إِلَّا أَصْغَرَ عند الله تعالى ، وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمرصاد .

(خصاء البهائم)

وأما خصاء البهائم ، فنه الوجاء ، وهو أن يشدَّ عَصَبُ مجامع الخصية من أصل القضيب ، حتَّى إذا ندرت البيضة ، وجَحَظَت الخصية ، وجأها حتى يرضها ، فهي عند ذلك تذبل وتنخسف ، وتلوى وتستدق ، حتى تذهب قواها ، وتنسدَّ المجارى إليها ، ويسرى ذلك الفسادُ إلى موضع تربية النطفة ، فيمنعها من أن تكثُر أو تعذب أو تحتر .

ومنها ما يكون بالشدِّ والعصب ، وشدَّة التحزيق ، والعقد بالخيط الشديد الوتير الشديد الفتل ، فإذا تركه على ذلك عمل فيه وحز ، أو أكل ومنعه من أن يجرى إليه الغذاء ، فلا يلبث أن ينقطع ويسقط .
ومنه الامتلاخ ، وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأما خصاء الناس ، فإنَّ للخاصي حديدة مرهفة مُحَمَّاة ، وهي الخامسة ، وهي القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَّيت الدابة أخصَّيها خصاءً ، ووجأتها أجوؤها وجاء . ويقال : برئت إليك من الخِصاء أو الوجاء ، ولا يقال ذلك إِلَّا لما كان قريبَ العهد لم يبرأ منه ، فإذا برئ لم يُقل له^(٢) .

(١) ل : « سريحة » .

(٢) في الأصل : « لم يقله » وهو خطأ في الرسم أوجه تكرار اللام ، والوجه ما كتبت .

وأما الخِصَاءُ فهو أَنْ يَسْلَّ الخَصِيَتَيْنِ ، والوجاءُ أَنْ تَوْجَأَ العروقُ والخَصِيَتَانِ على حالهما . والمعصوب من التيوس الذي تُعَصَّبُ خَصِيَتَاهُ حتى تسقطا . والواحد من الخَصِيَانِ خَصِيٌّ ومَخْصِيٌّ . ويقال ملست الخَصِيَتَيْنِ أَمْلَسَهُمَا مَلَسًا ، وامتَنَتُهُمَا أَمَنَهُمَا مَتْنًا ، وذلك أَنْ تَشَقَّ عَنْهُمَا الصَّفَنُ فَنَسَلَهُمَا ٦٠ بعروقهما . والصَّفَنُ : جلدة الخَصِيَتَيْنِ .

(خِصَاءُ الْبَهَائِمِ وَالذِّيكَ)

والخِصَاءُ فِي أَحْدَاثِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي الْغَنَمِ خَاصَةً ، يَدْعُ اللَّحْمَ رَخَصًا وَنَدِيًّا عَذْبًا ، فَإِنْ خَصَّاهُ بَعْدَ الْكِبَرِ ، لَمْ يَقَوْ خِصَاؤُهُ - بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْقُوَّةِ - عَلَى قَلْبِ طَبَاعِهِ . وَأَجُودُ الْخِصَاءِ مَا كَانَ فِي الصَّغَرِ ، وَهُوَ يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَةِ ثَرْبَحَتْ^(١) يُعْنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ خَصِيٌّ رَطْبًا . وَالْخَصِيُّ مِنْ فَحُولِهَا أَحْمَلُ لِلشَّحْمِ ، لَعْدَمِ الْهَيْجِ وَالنَّعْظِ ، وَخُرُوجِ قَوَاهِ مَعَ مَاءِ الْفَحْلَةِ^(٢) . وَكَثْرَةُ السَّقَادِ تَوْرَثُ الضَّعْفَ وَالْهُزَالَ فِي جَمِيعِ الْخِيَوَانِ . وَقَدْ ذُكِرَ لِمُعَاوِيَةَ كَثْرَةُ الْجَمَاعِ فَقَالَ : مَا اسْتَهْتَرَ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَى^(٣) .

والذِيكَ يُخَصِّي لِيَرْتَطِبَ لَحْمُهُ وَيَطْيِبَ وَيَحْمِلَ الشَّحْمَ .

(خِصَاءُ الْعَرَبِ لِفَحْوَلَةِ الْإِبِلِ)

وكَانَتْ الْعَرَبُ تَخَصِّي فُحْوَلَةَ الْإِبِلِ لَثَلًا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَسْتَبْقِي مَا كَانَ أَجُودَ ضِرَابًا ، وَأَكْثَرَ نَسْلًا ، وَكُلَّ مَا كَانَ مِثْنَاثًا^(٤)

(١) ط : « بربحت » .

(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .

(٣) ط : « منته » . والمنة : القوة . والخبر في البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .

(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكّاراً ، وهم يسمّون الإذكار المحقّ الخفيّ^(١) ، وما كان منها عيائاً طباقاً ، فمنها ما يجعل السدّم المعنى . وإذا كان الفحل لا يتخذ للضراب ، شدّوا ثيله شدّاً شديداً ، وتركوه يهدر ويُقبَّب في الهجمة ، ولا يصل إليهنّ وإن أردنه ، فإذا طلبن الفحل جيءَ لهنّ بفحلٍ قعسرى^(٢) ويقولون : « لَقُوَّةٌ لَأَقَتْ قَبِيساً ! » . والقبيس من الجمال : السريع الإلقاح ، واللقوة : السريعة القبول لماء الفحل .

وشكت امرأة زوجها ، وأخبرت عن جهله بإتيان النساء ، وعيّه وعجزه ، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهن وقوع صدور الرجال على صدورهنّ - فقالت : زوجي عيائاً طباقاً ، وكلُّ داءٍ له داءٌ !! وقال الشاعر :

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُومًا وَلَمْ يَقْدِرْ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَعَكَّفُ^(٣)

(خصاء العرب للخيّل)

وكانوا يخصّون الخيل لشبيه بذلك^(٤) ، ولعلّة^(٥) صهيلها ليلة البَيَات ، وإذا أكمّوا الكمّاء أو كانوا هُرَابًا .

(١) ط : « وهم يسمون المذكر المحقّ الخفيّ » وهو تحريف ما في ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفي الأمبروزيانا : « نحى وجيءَ لهنّ بفحلٍ قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلّف » وفي ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولعلّة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أن الخنذيد^(١) في الخليل هو الخصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَّاف بن نَدْبَة :
وخنذاذيد خصيةً وفُحولاً^(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :
وخنذيد تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ كَطِيِّ البُرْدِ يَطْوِيهِ التَّجَارُ^(٣)
وليس هذا أرادَ بشر ، وإنما أرادَ زمانَ الغزو ، والحالَ التي يعتري الخليلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر^(٤) :

لا لا أعقُ ولا أحو ب ولا أُغِيرُ على مُضَرٍ
لكنَّما غزوى إذا ضجَّ المطى من الدَّبرِ
وإنَّما فخر بالغزو في ذلك الزمان .

وأما الخنذيد فهو الكريم التام ، وربما وصفوا به الرجل . وقال كثير :
على كل خنذيد الضُّحَى متمطرٌ وخيفانةٍ قد هذبَ الجرى آلهَا^(٥)
وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهرى .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ١١ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بني الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبراذين كابييات وأتنا .

(٣) البيت في البيان ٢ : ١١ .

(٤) في الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبري . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهى في الأصل « متمطرا » وليس بشيء . وآله : شخصها .

[على] كلَّ خنذيد السَّراة مُقْلَصٍ تَحَنَّتْ مِنْهُ لَحْمُهُ الْمُتَكَوِسُ^(١)
ومن الدليل على أنَّهم ربما جعلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ
بعض القيسيين^(٢) ، مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :
دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ إِلَى فِشْمَرْتِ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَاعِدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبد الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان ،
حين فارق مُصْعَبَا :

بَأَيِّ بِلَاءٍ أَمْ بَأَيَّةِ عِلَّةٍ يُقَدِّمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهَلَّبُ
وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ أَمَامِي كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لِلْمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ^(٣)
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواء أحسنُ من هذا ! قال : فلمَّا
أَخَذْتَهُ قَيْسٌ نَصَبُوهُ ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ وَيَقُولُونَ : أَذَاتَ مَغَازِلَ^(٤) تَرَى ؟ !
[يريدون بيت ابن الحر^(٥)] :

أَلَمْ تَرْقِيسًا قَيْسَ عِيلَانَ - بَرَقْتَ لِحَاهَا وَبَاعْتَ نَبْلَهَا بِالْمَغَازِلِ
فَلَمَّا أَتَى مُصْعَبُ بِرَأْسِهِ ، قَالَ لِسُوَيْدٍ : يَا أَبَا الْمِنْهَالِ ! كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! هُوَ وَاللَّهِ الَّذِي أَتَى الْمَاءَ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ١٢ منسوباً إلى العبيس ،
فصوابه القيسي .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار
في البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد
مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما
خاف من الأسر ، ألقي بنفسه في الفرات ، فأت غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بريدعة الذى حَدَّثَهُ فِينَا أَذَلُّ مِنَ الْخَصِيِّ الدِّيزَجِ (١)
وتعرض للخصيَّ سرعةُ الدِّمعة ، وذلك من عادةِ طبائع الصبيان
ثم النساء ، فإنه ليس بعد الصبيان أغزر دَمعةً من النساء ، وكفأك
بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصيَّ العبثُ والأعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .
ويعرض له الشرُّ عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ في كلِّ
شئ ، وذلك من أخلاق الصبيان [ثم النساء (٢)] .

وقال المشاعر :

كَأَنَّ أَبَا رُومَانَ قَيْسًا إِذَا غَدَا خَصِيٌّ بِرَازِينَ يُقَادَ رَهِيصُ
لَهُ مَعْدَةٌ لَا يَشْتَكِي الدَّهْرَ ضَعْفَهَا وَحَنْجَرَةٌ بِالدُّورِقِينَ قَوْصُ

ويعرض للخصيَّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصبيان ٦٢
والنساء . ويعرض له حبُّ النِّيمة ، وضيقُ الصدر بما أودع من السرِّ ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ،
ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رَهْطِهِ ، البَصْرُ بالرفقِ والوضع ، والسكنس
والرش ، والطَّرَحُ والبسط ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرض للنساء .

(١) ط : « الرينج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة في أدب الكاتب
١٠٥ : « الأخضر هو في كلام المعجم الديزج » . وقال الإسكافي في مبادئ اللغة ١٢٣ :
« والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج » .

(٢) التكلفة من نسخة الأميروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثرة الرُّكض حتى يجاوز في ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارج . ومتى دفعَ إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجرىَ تلك الدابةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمي بالنشاب ، الَّذِي يدور في نفسه من حبِّ غزو الرُّوم . ويعرض له حبُّ أن تملكه الملوك ، على ألا تقيمَ له إلا القوت ، ويكون ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه السُّوقَة ، وإن ألحقته بعيشِ الملوك !!

ومن العجب أنَّهم مع خروجهم من شَطَر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يعرض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنثاً متفكِّكاً ، ومؤثلاً يسيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مخنثين ، ورأيتُ ذلك في الزَّنجِ الأقحاح . وقد خبرني من رأى كُردِيّاً مخنثاً ، ولم أرَ خصياً قط مخنثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف المانع منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأى ، لَقَدْ كان ينبغي لهم أن يكون ذلك فيهم عاماً^(٢) !

ومما يزيدني في التعجُّب من هذا الباب ، كثرة ما يعرض لهم من الحُلاق^(٣) ، مع قلَّة ما يعرض لهم من التخنيث ، مع مفارقتهم لشَطَرِ معاني الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمرين ؛ وأهل التجربة المميزين ، أنَّهم اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ^(٤) الأعمارِ في الحصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق ، كفراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسي .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه في مثل أعمارهم^(١) من جميع أجناس الرجال، وأنهم تفقدوا أعمارهم وأعمار إخوتهم وبنى أعمارهم الذين لم يُخصَّوا، فوجدوا طول العمر في الحصيان أعم، ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلان وفلان من الفحول. وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاَّ عدم النَّكاح، وقلة استفراغ النُّطف لقوى أصلاهم.

قالوا: وكذلك لم نجد فيما يعايشُ الناس في دُورهم، من الخيل والإبل، والحُمير، والبقر، والغنم، والكلاب، والدجاج، والحمام، والديسكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال.

٦٣

وكذلك قالوا: وجدنا أقلها أعماراً العصافير. وليس ذلك إلاَّ لكثرة سفاد العصافير وقلة سفاد البغال.

وجعل هؤلاء القوم زيادة عمر البغل على عمر أبويه دليلاً على أن قول الناس: لا يعيش أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناس دون جميع الحيوان.

(النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غُرمول الحمار والفرس والبرذون؛ وهؤلاء أعمارهم وأحواله؛ فقد وجدنا بعض النتاج المركب، وبعض الفروع المستخرجة، أعظم من الأصل؛ ووجدنا الحمام الرَّاعي^(٢) أعظم من الورشان الذي هو أبوه، ومن الحمامة التي هي أمه؛ ولم نجده أخذ من عمر الورشان شيئاً؛ وخرج صوته من تقدير أصواتهما؛ كما خرج شحيج البغل من نهيق الحمار وصهيل الفرس. وخرج الرَّاعي مُسرولاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى الذ وزنته، فالأعداد: الأنداد.

(٢) ط: «الزاعجي»، والصواب مافى ل. قال في المحل: الحمامة الرَّاعية: ترعب في صوتها ترعياً، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك في أبيه ؛ وخرج مُثْقَلًا سَيِّئَ الهداية . وللورشان هداية ، وإن كان دون الحمام ؛ وجاء أعظم جُثَّة من أبيه ؛ ومقدار النفس من ابتداء هديله إلى منقطعه ؛ أضعاف مقدار هديل أبيه .

وفوالجُ البُخْتِ إذا ضربت في إناث البُخْتِ ؛ لم يخرج الحوار إلا أدن^(١) قصير العنق ؛ لا ينال كلاً ولا ماءً إلا بأن يُرفعا إليه ؛ فيصير - لمكان نقصان خلقه - جزور لحم ؛ ولا يكون من العملات ولا من السابقة ؛ ولو عالوه وكفوه مؤنة تكلف^(٢) المأكول والمشروب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملًا يمكنه الضراب . وكذلك [الأنثى التي هي] الحائل إلى أن تصير ناقة ؛ فلو ألحقها الفحل لجا ولد لها أقصر عنقا من الفيل ، الذي لو لم يجعل الله تعالى له خرطومًا يتناول به طعامه وشرايه ، لمات جوعاً وهزالاً ؛ وليس كذلك العراب . وإذا ضربت الفوالجُ في العراب جاءت هذه الجوامز^(٣) والبُخْتِ السكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البُخْتِ ؛ فيكون ما يُخرج التركيب من هذين الجنسين أكرم وأفخم وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحول العراب في إناث البُخْتِ جاءت هذه الإبل البهونية^(٤) [والصصرانية^(٥)] فتخرج أقبح منظرًا من أبيها ، وأشدَّ أسراً من أبيها . [وقال الراجز : ولا بهوى من الأباقر]

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما في ل . والدنن ، محرقة : اختنا في الظهر ، ودنو وتطامن في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهي دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « البهوتية » . ل : « البهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء في القاموس « البهونية من الإبل ما بين الكرمانية والمرتية » . وجاء في المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى - بتقديم النون - من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل في العربية » .

(٥) في القاموس والمخصص : « الصصرانيات : بين البهات والعراب ؛ أو الفوالج » وفي الأصل : « وهي الصصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإن هذه الشهيرة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدان فوق أبدان
أمهاتها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عتق الخيل ، ومن وثاجة^(١)
البراذين ؛ وليس نتاجها كنتاج البردون خالصاً والفرس خالصاً .
وما أشبه قرابة الحمار بالرمكة والحجر ؛ من قرابة الجمل الفالج ٦٤
البُخْتِيُّ بقرابة القلوص الأعرايية .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمر الوحشية ؛ وبخاصة الأخدرية ؛ أطول الحمير أعماراً
وإنما هي من نتاج الأخدر ؛ فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشياً^(٢)
فحمى عدة عانات فضرَب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن ،
وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل وسائر الحمر - أعنى حمر الوحش - فإن
أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدة .

(عير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاش أكثر وعمر أطول من عير أبي سيارة
عميلة بن أعزل^(٣) ؛ فإنهم لا يشكون أنه دفع عليه بأهل الموسم أربعين عاماً !!
قال الأصمعي : لم يكن عيراً وإنما كان أتاناً .

(١) ط : « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غيلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٣٠٧

وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو في كتبهم — أنَّ ملوك فارس كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهور بذلك في العوام .
وهم يزعمون أنَّ فيروز بن قباد^(١) الملك الفارسي ؛ ألحَّ في طلب حمار أخدرى ؛ وقد ذُكر له ووُصف ؛ فطاوَلَه عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ في ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ؛ ولا يطارده إلا فرداً ؛ فحمل فرسه عليه^(٢) ؛ فحطَّه في خَبَّار^(٣) فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمص به ؛ فضم فخذه فحطَّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذَ غيراً أخدرياً وغير ذلك ؛ فإذا وجدَه فتياً^(٤) وسمَّه باسمه^(٥) وأرَّخ في وسمه يوم صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذى يقوم به بعده ؛ سار فيه مثله تلك السيرة وخلَّى سبيله ؛ فعرف آخرهم صنيع أولهم ؛ وعرفوا مقدار مقادير أعمارها .

= على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبى في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

- (١) ط : « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .
- (٢) ط : « إلا فردا » (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه « بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبر بأنه الأرض الرخوة ، وصحفيها آخر فجعلها « خيار » .
- (٣) ط : « خيار » وصوابه في ل .
- (٤) ط : « متينا » .
- (٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف النزعات والميول)

ولولا أن ناساً من كل جيل ، وخصائص من كل أمة ، يلهجون
ويكلفون بتعرف معاني آخرين لدرست ، ولعل كثيراً من هؤلاء يزرى على
أولئك ، ويعجب الناس من تفرغهم لما لا يجدى ، وتركهم التشاغل بما يُجدى ،
فالذى حُبب لهذا أن يرصد عمر حمار أو ورشان أو حية أو ضب ، هو الذى
حُبب إلى الآخر أن يكون صياداً للأفاعى والحيات ، يتبّعها ويطلبها فى كل
واد وموضع وجبل للترياقات . وسخر هذا ليكون سائس الأسد والفهود
والنمور والبيور ^(١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون راعى غنم !!
والذى فرق هذه الأقسام ، وسخر هذه النفوس ، وصرف هذه العقول
لاستخراج هذه العلوم من مدافنها ، وهذه المعانى من مخايبها ، هو الذى سخر ^{٦٥}
بطليموس مع ملكه ^(٢) ، وفلاناً وفلاناً للتفرغ للأُمور السماوية ، ولرعاية
النجوم واختلاف مسير الكواكب . وكلُّ ميسر لما خلق له ، لتتم النعمة ^(٣)
ولتكمّل المعرفة ، وإنما تأبى التيسير للمعاصي ^(٤) .

فأما الصناعات فقد تقصّر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكاً ،
وتقصّر بعضهم على أن يكون صيرفيّاً ، فهى وإن قصّرتْه على الحياة ، فلم
تقصّره على خُلف المواعيد وعلى إبدال الغُزول ؛ وعلى تشقيق العمل دون الإحكام
والصدق وأداء الأمانة ؛ ولم تقصّر الصيرفى على التطفيف ^(٥) فى الوزن والتغليط

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « البيور » جمع ببر ، وللفريق المعلوم كلام جيد
فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالسة
اليونانيين ، وللقفطى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتم النعمة » .

(٤) ل : « وإنما تأبى التيسير للمعاصي » . والمعزلة يربّون به تعالى عن نسبة الشر أصلاً

(٥) ل : « التطفيف » .

فى الحساب ؛ وعلى دسّ المموّه ؛ تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النّتاآ المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النّتاآ وما يحدث بالتراكيب ويخرج من الزوايآ ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنّ ؛ لكانت الأظلاف^(١) تجري مجرى الخواف والأخفاف . ألا ترى أنّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العرب ؛ والحيل من الحمير !!

وسبيل نتائج الظّلف على خلاف ذلك ؛ لأنّ التيسَ — على شدّة غلمته — لا يعرض للنّعجة [إلّا بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمّا ألاّ يتمّ خلقه ، وإمّا ألاّ يعيش^(٢)] ؛ وكذلك السكبش والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما نتاآ^(٣) لأنه قد يضرب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلقحه ؛ ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب .

وطلب التيس للنّعجة قليل^(٤) وأقلّ من القليل ؛ وكذلك السكبش للعنز ؛ وأقلّ من ذلك أن تتلاقح^(٥) ولا يبقى ذلك الولد ألبته^(٦) . وقد تجاسرَ ناسٌ على توليد أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادّعوا أموراً ؛ ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان !!

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنّ الزرافة خلقت مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط : « الأخفاف » .

(٢) التكلة من الأمبروزيانا .

(٣) ط : « فيها نتائج » .

(٤) ما عدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنّعجة قليلاً » .

(٥) فى معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .

(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريفه

وبين الذئخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لما رأوا أنَّ اسمها ^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك ^(٢)) ؛ وتأويل «أشتر» بعير، وتأويل «كاو» بقرة، وتأويل «بلنك» ^(٣) الضبع ؛ لأن الضباع عُرِج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل - وكلُّ ذئبٍ أقزَل - وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجل كما يحجل المقيّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفور لا يمشى ؛ ومشيه أن يجمع رجله أبداً معاً في كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك ^(٢) اسم فارسيٌّ ؛ والفرس تسمّى الأشياء بالاشتقاق ؛ كما تقول للنعامه : أشتر مرغ ؛ وكأنّهم في التقدير قالوا : هو طائر وجل ؛ فلم نجد هذا الاسم أوجبَ أن تكون النعامه نِتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما ٣٦ شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمّوها بدينك الشئين . وهم يسمون الشيء المرَّ الحلو « ترش شيرين » وهو في التفسير حلوٌ حامض . فجسّر القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً ^(٤) ؛ وجعلوا الخلقه ضرباً من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذئخ في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقح بولدٍ يجيء خلقه ما بين خلق الناقة والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض ^(٥) لها الثور الوحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولد الناقة ذكراً عرّض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجّر البتّة أن تكون الزرافة الأنثى تلّقح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافةٍ في الأرض ، فإنما ^(٦) هي

(١) ط : « أسمائها » وهو تحريف ظاهر .

(٢) ط : « أشتركا ويلنك » .

(٣) ط : « يلنك » .

(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسماً للزرافة حديثاً » .

(٥) ط : « فيعرض لها » .

(٦) ط : « إنما » .

من النَّتاج الذى ركبوا ؛ وزعموا أَنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحبشة ؛ وأقاصى
اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسل ولا يبقى نجله ولا
يتلاقح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الورشان والراعى ^(١) . وهؤلاء
وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتهمون الكتب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن
تجدُّه مستهتراً بسماع الغريب ، ومُغرماً بالطرائف والبدائع . ولو أعطوا مع
هذا الاستهتار ^(٢) نصيباً من الثبُت ، وحظاً من التوقى ؛ لسَلِمَت الكتبُ
من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنَّه
من نتاج ما بين القمريِّ ^(٣) والفاختة ^(٤) .
وقَنَّاص الطير ، ومن يأتى كلُّ أوقه ^(٥) وغِيضَةٍ فى التماس الصيد ؛
يزعمون أَنَّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقى على المياه فتسافد ؛
وأنَّهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح
تلك المختلفة .

(١) ط ، ل : « الوردانى والزراعى » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما فى ص ١٣٧ من
هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلاً من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمري : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الدميرى : « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأظواق » . ابن سيده : « ضرب من
الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه فى ل . والأوقه بالضم : محضن الطير على
رءوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب في الحرباء)

وقال أبو زيد النحوي ، وذكر عنّ لقي من الأعراب أنهم زعموا
أنّ ذكر أمّ حُبَيْن هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابياً من قيس يقول لأمّ
حُبَيْن حُبَيْنَة ، والحُبَيْنَة هو اسمها . قال : وقيس تسمي ذكر العظاءة العَضْرُفُوط .
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لا خيرَ في العظاءة ، وإنّ
كان ضبّاً مَكُوناً . قال : فإذا سامُّ أبرص ، والورل ، والوحر ، والضبُّ
والحلّكاء ، كلّها عنده عظاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن مُنَجِّم^(١) أنّ الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ أبْنُه فبئسَ البَيُّ وبئسَ الأبُ
وأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّةٌ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا العَنْظَبُ^(٢)
بَيْتُ أبوكَ بِهَا مُغْدِفًا^(٣) كَمَا سَاوَرَ الْهَرَّةُ الثَّعْلَبُ

(١) ط و س : « علم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما في الديمري ٢ : ٣٩٦
والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق
المركب . وفي الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الديمري والديوان .

(٣) ل : « مغدقا » وفي الديمري : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون
بذلك مساوية للثانية في المعنى . وفي ط : « معرسا » كما في الديوان ، أي سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغُ معاويةَ بنَ حربٍ مُغلغلةً عن الرجلِ اليماني

أَتَغَضَّبُ أَنَّهُ يُقالَ أبوكَ عَفٌّ وترضى أن يُقالَ أبوكَ زَانِي

فأشهد أن رَحِمَكَ مِن قُرَيْشٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِن وَلَدِ الْأَثَانِ (١)

قال كيسان : ولأى شئ قال :

كرحم الفيل من ولد الأثان

إِنما كان ينبغي أن يقول : كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنَ الْخَنَزِيرِ . قال أبو عبيدة :

أراد هو التباعدَ بعينه ، وَأنت تُريد ما هو أَقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أن أهل سفينة نوح كانوا

تأذوا بالفأر ، فَعَطَسَ الأسدُ عَطَسَةً فرمى من منخره زوج سنانير ؛

فلذلك السُّنُورُ أشبهُ شئٍ بالأسدِ . وسلح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك

الخنزيرُ أشبهُ شئٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغي أن يكون ذلك السُّنُورُ

آدمَ السنانير ، وتلك السُّنُورَةُ حَوَاءُها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلم

أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وصحك [فضحك] القوم .

(١) في ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد »

وأثبت ما في ل ... والأبيات في الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة

كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى في الشعراء لابن قتيبة

٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفي الأغاني ١٢ : ٧١ : « والناس

ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزيد . وذلك غلط » .

(شره سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكلَ عند النُعمان مسلوخاً
بعظامه قال :

بين النعام وبين الكلبِ مَنبِتُهُ وفي الذئبِ له ظئرٌ وأخوالٌ^(١)
يقول : إنَّ سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ،
فيطفيء الجمرَ ويُميع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نَجْرٌ]^(٤) الكلبِ الذي
يرضُ كُلَّ عظم ، ولا يقبِضُ عليه بكفه إلاَّ هو واثق بفتته ، ولا يسبغُه
إلاَّ وهو على ثقةٍ من استمراره^(٥) . فأما الذئبُ فإنه لا يروم بفكيه شيئاً
إلاَّ ابتلعه بغير معاناةٍ ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف .
ولذلك قال الراجز^(٦) :

أطلسٌ يُخفي شخصه غُبَارُهُ في فيه شَفَرَتُهُ ونارُهُ
فأبو قردودة لم يُرد أنْ الذئب والكاب خالاه ، وأنَّ النعامَ نَجَلَهُ ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أنْ له ظئراً من الكلاب ، وخالاً من
الذئاب . وشبيه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نطفَ ٦٨

(١) ط : « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطيع .

(٣) ط : « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى يسيل كما في ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لانهاهما وهي : « ما كان
يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان في البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الخبيث عينه فراره بهم بني محارب مزداره

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأمل (٣ : ١٢٩) والكمال ٢٠٨

والعمدة (١ : ١٦٨) ودويان المعاني (٢ : ١٣٤) .

(٧) في الأصل : « وليس ذلك علي » وهو تحريف .

الحمَّارين^(١) ، ونزائع الطُّؤورة ، وأشباه الخُؤولة .

وعلى شبيه بذلك قال سلم بن قُتيبة^(٢) لبعض من ذكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيُّها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُهُ ، لثامٌ غُدرٌ ، شرَّ أبونَ بآنُقُع^(٣) ، ثمَّ هذا بعدُ في نفسه ، نُطفةُ حمَّارٍ في رَحِمِ صَنَاجَةٍ .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحاق : قال لي أبو العباس — وأبو العباس هذا كان ختنَ إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يدين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلاَّ بما يجري على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لي مرَّةً : أتُعرفُ موضعَ الحُؤوةِ من خلوةِ النساءِ ؟ . قُلْتُ : لا واللهِ لأُعرفهُ . قال : بل أعلمُ أن لا يكونَ الحُظُّ إلاَّ في نِتاجِ شِكَايْنِ متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّي إلى الخِلاص : وهو أن تُزَوجَ بينَ هِنْدِيَّةٍ وخُرَاسَانِيٍّ ، فإنها لا تلدُ إلاَّ الذهبَ الإبريزَ . ولكن احْرُسْ ولدها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذرْ عليها من شِدَّةِ لِيَواطِ رجالِ خُرَاسانَ وزِناءِ نساءِ الهند ، واعلمُ أن شهوتها للرجال على قَدَرِ حُظوتِها عندهم ، واعلمُ أنَّها ستساقُ النساءُ على أعراقِ الخُرَاسانيَّةِ ، وتزني بالرجال على أعراقِ الهند ، واعلمُ أنَّه ممَّا يزيدُ في زِنائها ومساحقتها معرفتها بالحُؤوةِ عند الزُّناة ، وبالحُظِّ عند السحاقات^(٤) .

(١) في الأصول « الحمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قُتيبة » وإنما هو « سلم » كما في ل . . وله أخبار في الأغاني .

(٣) ط : « شرَّ أبونَ ما نفعَ نَم » والصواب ما في ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقَع ، فيقال في المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للداهي المنكر ، لأن الدليل إذا عرف الفلوات حقق سلوك الطريق إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضروباً^(١) من الحق والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أن الشَّبُوط ولد الزَّجْر^(٢) من البُنَى ، وأن الشَّبُوط لا يُخلَق من الشَّبُوط ، وأنه كالْبَغْل في^(٣) تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي واثلة إياس بن معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٤) في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبُنَى ، وأنها لم تخلط بهما غيرهما ، فمات أكثره وبقيت بقية كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغير المكان فلم تحمل البيض حيناً ، ثم إنَّها^(٥) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم حُرَيْث أنه كان بأيذَج^(٦) ، فإذا سحابة [دهاء] طخياء^(٧) تكاد تمس الأرض ، وتكاد تمس رُءُوسهم ، وأنهم سمعوا فيها كأصوات المجانيق^(٨) ، وكهدير الفحول في الأشوال ؛ ثم إنَّها دفعت بأشد مطر رُمي أو سُمِع به ، حتى استسلموا للغرق ؛ ثم آندفعت بالضفادع العظام^(٩) ، ثم

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .

(٢) ط : « الزجر » بالخاء وإنما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبادي : سمك عظام .

(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .

(٤) ط : « حضرت » .

(٥) ط : « فلم تحمل البيض خائم إنما » وتصحيحه من ل .

(٦) في القاموس « أيذَج كأيحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسرقد » .

(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما في ل . والطحياء : الشديدة السواد .

(٨) ل : « المجاش » وهي جع مجش أو مجشة ، وهي الرحي .

(٩) انظر الاستدراكات .

أندفعت بالشبايط السَّهَانِ الخِدَالُ^(١) فطبخوا واشتَوُوا ، وملَّحوا وادَّخَرُوا .

(غرور أبي وائلة والخليل بن أحمد)

ورروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبُوط كالبغل ،
 ٦٩ أن الناس لم يجدوا في طول ما أكلوا الشبايط في جوفها بيضاً قط . فإن كان
 هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب الفِراسة
 ودقة الفطنة صحيحاً ، فما أعظم المصيبة علينا فيه ، وما أخلق الخبر أن
 يكون صحيحاً ؛ وذلك أني سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان
 وأقسام الأجناس ، يدلُّ على أن الرجل حين أحسن في أشياء وهمه العُجبُ
 بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنع عليه ، وعرَّه من نفسه الذي غرَّ الخليل
 ابن أحمد ، حين أحسن في النحر والعروض ، فظنَّ أنه يُحسن الكلام
 وتأليف اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابين لا يُشير بهما ولا يدلُّ عليهما إلا
 المِرَّةُ المحترقة ، ولا يودِّي إلى مثل ذلك إلا خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ
 الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُوط — حفظك الله تعالى — جنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا
 يكون إناثه أيضاً يجمعن البيض ، وإذا جمعن فلو جمعت بيضَ عشرٍ منهنَّ

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما في ل . والخدال : جمع خدلة ، وهي
 المثلثة الأعضاء لها في رقة عظام .

لَمْ يَكُنْ كَشَطْرٍ بَيْضٍ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وقد رَأَيْتُ بَيْضَ (١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ
لِلتَّعْرِفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسَالَهُ فَهُوَ يُنَبِّئُكَ
أَنَّ لَهُ بَيْضًا ، وَاسْكَنَهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَيْلًا قَلِيلًا ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ
الْعَدَدِ مِنْ أَقْلٍ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجِنْسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنْثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبَّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، كَنَهْرِ
رَأْمُهُرْمَزٍ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّيُّ فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ، وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَالْأَعْدَبُ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذَكُرُ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبْ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَبُوا عَلَى أُمِّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا (٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا (٣) فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَبَ عَلَى الْمَوْتَى
وَأَسْتَشْهَدَ الْغَيْبَ أَحَدُكُمْ ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحِيلَةِ ،
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقَدْ » وَالْوَجْهُ مَا ثَبِتَ . مَا عَدَلَ « بَيْضٌ » .

(٢) لَ : « وَإِذَا » .

(٣) انْظُرْ ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنى بقرى ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أن الكبش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذى يلد حيواناً مثله مما يمشى على ٧٠ أربع قوائم ، لا تحلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميس عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويل عجيبة : فمنهم من يزعم أن فيها عرقاً من سفاد الجن ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين^(١) فجعلوا المثل والحجاز على غير جهته . وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحاربٌ تغنّت شياطين وجنّ جنونها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه فى ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحي . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحي الشيطان فى أخلاقها وطبائعها . وفى حديث آخر : « لاتصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعي : المأثور من السيوف الذي يقال : إنَّ الجنَّ عملته .
 وهم يسمُّون الكبر والحُنْزُوانةَ والنَّعْرة التي تضاف إلى أنف المتكبر
 شيطاناً ، قال عمر : حتى أنزعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزع النَّعْرة التي فيه
 أنفه ^(١) . ويسمُّون الحيةَ إذا كانت داهية منها شيطاناً ، وهو قولهم : شيطان.
 الحماطة ^(٢) . قال الشاعر :

تعالج مثنى حَضْرِيَّ كأنه تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بذى خِرُوعٍ قَفَرٍ ^(٣)
 شبَّه الزَّمامَ بالحية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناح كأنها حباب بكف الشاؤ من أسطع حشر ^(٤)
 والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم ^(٥) . وقد نهى عن الصلاة عند
 غيوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتأمَّ ذلك . وفي الحديث :
 "إنَّها تطلُع بين قرْنَيْ شَيْطَانٍ" .

(ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبْنِيَّةٌ ، وموضعُ كلام يدُلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويلخلخ
 أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لتعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب
 القاموس يفسط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهزمة وبالتحريك ، وإذا كانت
 بمعنى الذباب كهزمة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبل أو الأسود الصغير
 أو الجديز . عن القاموس .

(٣) ط : « تعامج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) .
 ونسبه الجاحظ في ٤ : ١٣٣ إلى طرفه .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفي ل : « أسطع جسر » ولعل في البيت تحريفاً .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمه أيوم . وانظر
 معجم المعلوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضع أخر ، ولها حينئذ دلالات أخر ، فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة ، والشاهد والمثل ؛ فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن ، هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناس أن من الإبل وحشياً وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسناير والحمام وغير ذلك^(١) ، فزعموا أن تلك الإبل تسكن أرض وبَارٍ ؛ لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلأ أطلب . قالوا : وربما خرج الجمل منها لبعض ما يعرض ، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل الأهلية . قالوا : فآلمهريّة من ذلك النتاج .

وقال آخرون : هذه الإبل الوحشية هي الحوش ، وهي التي من بقايا إبل وبَارٍ ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عاد وثمود والبالقة وطسم وجديس وجاسم ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي^(٢) فإن سقط إلى تلك الجزيرة بعض الخلعاء^(٣) ، أو بعض من أضل الطريق حثت^(٤)

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسناير وما سوى ذلك من الحمير والسناير والحمام وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسناير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل . وطار المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله . وفي ط : « لا يطورها أحد » . قال في القاموس : « وطردهم : أتيهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجزيرة » و « الخلعاء » موضع « الخلعاء » . وما في ط : تصحيف . والجزيرة : الناحية .

(٤) ط : « حثا » .

الجنُّ في وجهه ؛ فَإِنَّ الْحَّ خَبَلَتْهُ ؛ فَضَرَبَتْ هَذِهِ الْحَوْشُ (١) فِي الْعُمَانِيَّةِ ؛
فَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَهْرِيَّةُ ؛ وَهَذِهِ الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَسْمَى الذَّهْبِيَّةُ .

وَأُنْشِدُنِي سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ (٢) عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ قَوْلَ الرَّاجِزِ (٣) :

مَا ذَمَّ إِلَيَّ عَجَمٌ وَلَا عَرَبٌ جُلُودُهَا مِثْلُ طَوَاوَيْسِ الذَّهَبِ
وَقَالَ الْآخَرُ (٤) :

إِذَا اصْطَطَكْتُ بِضَيْقِ حَجَرَتَاهَا تَلَاقَى الْعَسْجِدِيَّةُ وَاللَّطِيمُ
وَالْعَسْجِدُ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّهَبِ .

قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ صَاحِبَةً يُزِيدُ بْنُ الطَّائِرِيَّةِ حُوشِيَّةً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى (٥) .

وَقَالَ رُؤْبَةُ :

جَرَتْ رَحَانًا مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ (٦)

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وَأُنْشِدُ ابْنَ سَعْدَانَ الْمَكْفُوفَ » وَكُتِبَتْ مَا فِي ل وَ س . . . وَسَعْدَانَ
هَذَا هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو عَثْمَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ . لَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ لِلْسَّيْطِيِّ ٤ : ٢
وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٧٨١ هـ ، وَتَرْجُمةُ الْأَبَاءِ ٢٠٦ هـ ، وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي رِوَاةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَأَمَّا ابْنُ سَعْدَانَ ، فَهُوَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ
سَعْدَانَ الضَّرِيرِ النَّحْوِيُّ ، كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْقُرَاءِ وَلَهُ كِتَابُ مَصْنُوفٍ فِي النَّحْوِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٣١ هـ ، وَلَهُ تَرْجُمةٌ فِي الْبَغِيَّةِ ٤٥ هـ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٨٤٦ هـ ، وَالتَّرْجُمةُ ٢١٢ هـ .
وَرِوَايَةُ الْجَاهِظِ عَنْ كُلِّ مِنْهُمَا مُحْتَمَلَةٌ .

(٣) ل : « عَنْ أَبِي الْعَمِيثِلِ الرَّاجِزِ » وَلَمْ يَنْعَتَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَرْجِمَتِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ
انْظُرْ فَهْرَسَ ابْنِ النَّدِيمِ ٤٨ لَيْسَكُ وَ ٧٢ مِصْرَ وَابْنُ خُلَيْكَانَ ١ : ٢٦٢ وَمَعْجَمُ
الزَّرْكَلِيِّ ٢ : ٥٥٥ . وَأَبُو الْعَمِيثِلِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيدِ الْأَعْرَابِيِّ الشَّاعِرِ ، وَتَوَفَّى
سَنَةَ ٢٤٠ هـ .

(٤) هُوَ عَاهَانُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ كَا فِي اللِّسَانِ (لَطَمٌ) قَالَ : الْعَسْجِدِيَّةُ إِبِلٌ
مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَوْقٍ يَكُونُ فِيهَا الْمَسْجِدُ ، وَقَالَ ابْنُ بَرِي : الْعَسْجِدِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ الذَّهَبَ .
وَقَالَ : اللَّطِيمُ جَمْعُ لَطِيمَةٍ وَهِيَ الْغَيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَسْكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى الْمَعْنَى هَذَا » .

(٦) كَذَا فِي س وَ ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَالرَّحَى : جَمَاعَةُ الْإِبِلِ . وَفِي ط وَالْمَعْدَةُ
٢ : ٢٠٥ « رَجَالًا » . وَرِوَايَةُ اللِّسَانِ : إِلَيْكَ سَارَتْ مِنْ بِلَادِ الْحَوْشِ

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبائيط)

وأما الذى زعم أنهم مُطَرِّوا الشَّبِوط ، فإنه لما ظنَّ أنَّ الضفادعَ التى تُصَابُ بِعَقَبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة - فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهْناء والصَّمان^(١) - ولم يشكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأُنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنَّ السمك ؛ ثم جسرَ فجعلَ السمكَ شَبُوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شئٌ يُخلَقُ تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمان وتلك التُّربة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابة التى تكون فى رأى العين بين الشكليين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلاقح ؛ كالضأن والمعرز ، وكالفأر والجُرْذَان ، فليس بالعجب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيكة ؛ وهو الذى تَخْلَقُ من بين المولِّدات والهِندِيَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مسعدة ؛ دجاجة ووُزَنَ فيها سبعة عشرَ رطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

(١) ط : « اللور » موضع « اللو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخلامى من الناس ، وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه ومثمره .
ورأينا البيسرى^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلق من بين البيض والهند ؛
لا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجمىء أحسن
وأملح . وهم يسمون^(٢) الماء إذا خالطته الملوحة يسراً^(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديات . ورأينا الخلامى من الكلاب ؛
وهو الذى يُخلق بين السلوقى وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزئى
والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الدور والحرّاس . وسنقول فى السمع^(٥) والعسبار ؛
وفى غيرهما من الخلق المركب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أولها
سروهمير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإن فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أن
لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُزرى^(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول
علماء العرب .

(١) البياسة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد يسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « يسرياً » وفى ط : « يسراً » .

(٤) الزئى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى :
القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجذعان^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعين فتىً من فتیانِ قريش وثَقِيف أعْذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرين من قريش ، وعشرين من ثَقِيف ، وتوَحَّخوا المتجاورين في الحُلَّة والمتقاربين في الدُّور من الموفِّرين على النبيذ ، والمقصورين على التناؤم ، وأتَّهم أحصَوْا مثل ذلك العدد وأشباه أولئك في السِّنِّ مَنْ لا يذوق النبيذ ولا يعرفُ شراباً إلا الماءَ ، فذَكَّرُوا أَنَّهُمْ وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عاقمةٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامَّتْهم ، وكانوا قد بلغوا في السِّنِّ . أما عثمان ويزال^(٢) فكانا من المعمرين ، وقد رأيتُهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا الباب في موضعه من ذكر المعمرين ، ونمیز الصدق فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البول في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدهم ممثلاً من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط في شهوته وشدة النَّهم . ويعرض لهم أيضاً إثثار المَخْفِس^(٣) وحبُّ الصَّرْفِ ، وذلك أيضاً

(١) ل : « وبذال وجذعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشيء . وفي ل : « الخفش » وهما تحريف ما كتبت . والخفش : الشراب السريع الإسكار .

مما يعرض للنساء ، والإفراط في شهوتهنَّ وشدة الهمة لهنَّ والغيرة عليهنَّ .
ويحتلمون ، ويحجنون ويغتسلون ، ويرون الماء غير الرائق ولا الغليظ ، الذي
له ريح طلع النجَّال^(١) .

ويعرض للخصيَّ شدة الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم
أو مالٍ كثيرٍ أو جاهٍ عريض ، حتَّى ربَّما كان عند مولاه بعضُ من عسى
أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصيُّ كلِّفاً بهم وبتعظيمهم ،
ومُغرماً بخدمتهم ، في الأدب والحسب ، وفي بُعدِ الهمة وكرم الشَّيمة ،
فيعمد عند دخول ذلك الرجل الذي له السلطان والجاه والمالُ إلى متَّكياً
هذا الأديب الكريم ، والحسيب الشريف ، فيزعه من تحت مِرْفَقِهِ ،
غير محتفل بذلك ولا مكترث لما فيه ، ويضعه له من غير أن يكون موضع
المرافق بعيداً ، أو^(٢) كان ذلك ممَّا يقوَّت بعض القوَّت ، ويفعل ذلك
وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك
الموسر وصاحب الجاه أبداً^(٣) .

(أقوال في منع خِصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خِصاء الخيل خاصَّة ، وبعضهم زاد على ذلك حتَّى
حرَّم خِصاء البهائم . وقال بعضهم : إذا كان الخِصاء إمَّا اجتلبه فاعله
أو تسكَّفه صاحبه على جهة التماس المنفعة ، أو على طريق التجارة ،

(١) ط : « النخل » .

(٢) ط : « إذا » .

(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخِصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القول

فذلك جائز ، وسبيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، وألمه يجوز كل ألم .
وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم
في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القصواء ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

(أقوال في رسم الحيوان)

وقال آخرون : الحصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الحصاء من شدة
الألم ، ومن المثلة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ،
والنقص لمواد القوى ، ما ليس في الميسم وغيره ، وهو بقطع الآلية أشبه ،
والسمة إنما هي لذعة ، والحصاء مجاوز لكل شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الآلية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة
من اللحاق بالقطيع وخيف عليها من الذئب . وقطع الآلية في جواز
القول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ
فيه لرب المال ، وقطع الآلية من شكل الختان ، ومن شكل البط (٣)
والفصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ،
ومن جنس السكى عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكلة .

(١) ط : « شنة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة : المبضع .

(٤) اللدود كصبور : ما يصب بالمسقط من اللواء في أحد شقي الفم .

(وسم الابل)

قال الأولون : بل ^(١) لعمري إن للابل في السمات لأعظم المنافع ؛ لأنها قد تشرب بسماتها ولا تُذاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تَضِلُّ فتُؤَوَّى ؛ وتُصاب في الهواشات ^(٢) فتُرَدُّ .

قالوا : فإننا لانسألُكم إلّا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أن نَعْمَها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألا يحتاج إليه من ألفٍ بعيرٍ بعيرٍ واحد ؛ ثم عسى ألا يحتاج [من جميع] ذلك في جميع عمره [إلّا] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النعم السائمة كالرُقوم في ثياب البزّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقوم ومُنعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلَطَت ٧٤ أمكنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسه دون المعيشة ^(٣) والهضيمة .

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالجثمةِ وكالشئ المصبور ، وقد مُهِنَا عن إحراق الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الأليةِ من شكل قطعِ العروق ، وصاحبُ الجثمةِ يقدر أن يرمي - إن كان به تعلمُ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُنَّه عن تعذيبه ، فَا ^(٤) يَرُدُّ الشئ المصبور من العذاب مرّداً بوجه من الوجوه .

(١) ط : « قل » وهو تحريف ما في ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطئة الصعبة .

(٤) في الأصل : « فيما » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقصها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدث في جميع الحيوان حدثاً من نقصٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لا تملك الذئبة^(١) ، ولا يمكنك التعويض له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عز وجل ، حل لك من ذلك ما كان لا يحل . وليس لك في حجة العقل أن تصنع بها إلا ما كان به مصلحة ، كعلاج الدبر^(٢) وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنع كل ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، مما لم يكن مدفوعاً^(٣) عند بعضهم ، إلا أن يكون نهى ذلك البعض من جماعتهم^(٤) ، في طريق الخلاف والرد والمفارقة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإن ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكلف يعرف وجه الملام . والمذهب في ذلك معروف^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحد ، فقد علمنا أنه أبيض من طريق التعبد والحنه ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحل ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القمل والبراغيث والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدار الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالق الشيء

(١) ل : « الشيء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط : « مرفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلَه أسوَّغَ في العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح
البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى ^(١) حكم الله تعالى فيه
بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمور وبحكم المختلف والمتَّفِق ،
والقليل من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالد وطاع الولد .

والجواب الماضي إنما هو ^(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول
المنظام . وأكثر المتكلمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال — يرحمك الله تعالى — بعضُ الملحدِّين من المعاندين ، أو بعضُ
الموحدِّين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعنَ في ملكِ الخصى وبيعه ٧٥
وابتباعه ، ويذكرون الخصى ^(٣) الذى كان المقوقس عظيمُ القبط أهْدَاهُ إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .
قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خَصِيًّا بعد أن عرّفه وأحاط علمُه
بأنَّه خصى ، وأتم تزعمون أنَّ الحِصاء حرام ، وأنَّ من اشترى من الخاصى
خَصِيًّا ثم زاد على قيمته وهو فعل ، فقد أعان على الحِصاء وحثَّ عليه ،
ورغَّب فيه ، وأنَّه من أفحش الظلم وأشدَّ القسوة ، وزعمتم أنَّ من فعل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولاكل أذى » .

(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .

(٣) ذكر في كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريك الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حاله كحال المعروفين بالابتىاع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القمار^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح الكباش وقتال الديوك ، وأصحاب المجارحات^(٢) وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضع لو لم تحضرها النظَّارة لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشَّطر ، لعلبة الرياء والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ، وخُلطاء مترادفون . وإذا كان المبتاع يزيد فى السلعة لهذه العلة ، والبائع يزيد فى السَّوم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قبِلَ له من المقوقس ، كما قبِلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه وأمره ، فافهم - فهَمَّك الله تعالى - ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفق ، وعلى الله قصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لا يخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أن يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا أنَّه ليس فى الحديث أنَّه قبِلَه منه بعد أن علم أنَّه خصىُّ ، وعلى أنَّ قبول الهدية خلافُ الابتىاع ؛ لأنَّ بائعَ الخصيِّ إنما يحرم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجملَ منه وأشبَّ وأُخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يستام بالفحل سومه بالخصي . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيلُ البيع والابتىاع

(١) ل : « السعابين » .

(٢) ط : « المجارحات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنما هديّة الخصى كهديّة الثوب والاعطر ، والدابة والفاكهة . ولأنّ الخصى لا يحرم ملكه ولا استخدامه ، بل لا يحلّ طرده ونفيه ، وعتقه جائز ، وجواز العتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلب الزيادة ، أو لو تاب من الخصاص أو استحله مما أتى ٧٦ إليه ، لمّا حرم على الخاصى نفسه استخدامه . والخصى مالٌ ومملك ، واستخدامه حسنٌ جميل ؛ ولأنّ خصاصه إيّاه لا يعتقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وجب به ملكه ^(١) .

وأخرى : أنّ في قبول هديّة ذلك المملك ، وتلقّي كرامته بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسألة ، والحمد لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضاً : أنّ زنباعاً الجذامى ، خصى عبداً له ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعتقه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشيء وليس القول فيه يقع في نسق القول في الخصى ، وفي الخلق المركّب ، ولكن إذ قد أجبنا في مسألة كلاميّة من مسائل الطعن في النبوة ، فلا بأس أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيما إذا لم تطل فتزيد في طول الكتاب .

وقد لا يزال الطاعن يقول : قد علمنا أنّ العرب لم يسموا حروب أيّام الفجّار بالفجور ^(٢) وقريش خاصّة ، إلّا أنّ القتال في البلد الحرام ، في الشهر الحرام كان عندهم فجورا ، وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « بالفجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ، وقال : « شَهِدْتُ الْفِجَارَ فَكُنْتُ أُبْلَى عَلَى عُمُومِي » .

وجوابنا في ذلك : أن بني عامر بن صعصعة ، طالبوا أهل الحرم من قريش وكِنانة ، بجزيرة البراء بن قيس ، في قتله عروة الرِّحَال ، وقد علموا أنهم يُطالِبُونَ مَنْ لم يَجْزِ ومن لم يعاون ، وأن البراء بن قيس كان قبل ذلك خليعاً مطروداً ، فأتوهم إلى حرمهم يُلزِمُونَهُمْ ذَنْبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريتهم ، والفاجر لا يكون المُسْعَى عليه ، ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف ، وبه نُصِرُوا كما نُصِرَتِ الْعَرَبُ على فارسَ يومَ ذِي قَارٍ ، به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِنِ الخصىِّ ومساويه^(١) .
الخصيُّ يَنْكِحُ ويتَّخِذُ الْجَوَارِيَ ويشْتَدُّ شَغْفُهُ بِالنِّسَاءِ ، وشَغْفُهُنَّ بِهِ ، وهو وإن كان محبوبَ العضو فإنه قد بقي له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إِلَيْنِ . وقد يحْتَلِمُ ويَخْرُجُ منه عند الوطء ماءٌ ، ولكنّه قليلٌ ، متغيّرُ الرِّيحِ ، رقيقٌ ضعيفٌ . وهو يباشِرُ بِمَشَقَّةٍ ، ثم لا يمنعُه من المعاودة الماء الذي يخرج منه إذ كان قليل المقدار^(٢) لا يخرجُه من القوّة إلى الضعف ،

٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقي ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) في الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذى يعترى من يخرج منه شىء يكون من إنسان، وهو أخثر ، وأكثر ، وأحد ربحا ، وأصح جوهرأ .

والخصى يجتمع فيه أمنيّة المرأة ، وذلك أنّها تبغض كلّ سريع الإراقة ، بطيء الإفاقة ، كما تكره كلّ ثقیل الصدر ، وخفيف العجز ، والخصى هو السريع الإفاقة ، البطيء الإراقة ، المأمون الإلقاح ، فتقيم المرأة معه ، وهى آمنة العار الأكبر ، فهذا أشدّ لتوفير لذتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الحصيان ، وحقرن العبيد ، وذهبت الهيبة من قلوبهنّ ، وتعظيم البعول ، والتصنع لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلف الحجل ، ظهر كلّ شىء فى قوى طبائعهنّ وشهواتهنّ ، فأمكنها النّخير^(١) والصّياح ، وأن تكون مرّة من فوق ، ومرّة من أسفل ، وسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجد فى النساء من تؤثر النساء ، وتجد فيهنّ من تؤثر الرجال ، وتجد فيهنّ من تؤثر الحصيان ، وتجد فيهنّ من تجمع ولا تفرّق ، وتعم ولا تخصّ ، وكذلك شأن الرجال فى الرجال ، وفى النساء والحصيان . فالمرأة تنازع إلى الخصى لأنّ أمره أسترّ وعاقبته أسلم ، وتحرص عليه لأنّه ممنوع منها ، ولأنّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذب حرص كما يُحرص على الممنوع ، وجاذب أمن كما يُرغب فى السلامة . وقال الأصمّعى : قال يونس ابن عبّيد^(٢) : لو أخذنا بالجرع لصبرنا^(٣) . قال الشاعر :

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبّيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى فى عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبّيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعتة يقول : قولوا له إني نائم - يريد سنام - فقلت : معى خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلَفًا بِالْحَبِّ أَنْ مَنَعَتْ وَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمُنًا^(١)
والحرصُ عَلَى الْمَمْنُوعِ بَابٌ لَا يَتَقَدَّرُ عَلَى الْإِحْتِجَازِ مِنْهُ ، وَالْإِحْتِرَاسُ مِنْ
خُدَعِهِ ، إِلَّا كُلُّ مَبْرُزٍ فِي الْفُطْنَةِ وَمَتَمَهِّلٍ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلِ التَّجَارِبِ ،
فَاضِلِ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ . وَبُنُسِ الشَّيْءِ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا :
صَاحِبِ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وَبَابٌ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ ، فَبِكُمْ أَعْظَمُ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبَرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا صَادَفَ مِنَ
السَّامِعِ قَلَّةَ تَجَرِبَةٍ ، فَإِنْ قَرَنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجَرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفِظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ
الْخَبَرَ السَّابِقُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ دُخُولًا سَهْلًا ، وَصَادَفَ مَوْضِعًا وَطِينًا ، وَطَبِيعَةً
قَابِلَةً ، وَنَفْسًا سَاكِنَةً ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسُوخًا لَاحِلَةً
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفَتَيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْفَتَيَاتِ ، فِي وَقْتِ
الْغَرَارَةِ ، وَعِنْدَ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ ٧٨
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْفَتَيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْغِلْمَانِ ، وَهَنَافَتِ سُكْرُ
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُم بِالْغِلَامِ الْغَرِيرِ
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغِلَامُ فَتًى أَبَدًا حَتَّى يَصَادِقَ فَتًى [وَإِلَّا فَهُوَ تِكْشُ ،
وَالْتِكْشُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُوَدِّبْهُ فَتًى وَلَمْ يَخْرُجْهُ] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،
بِأَسْرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلِمَتِهِ ، إِذَا كَانَ لِلْغِلَامِ أَدْنَى هَوًى فِي

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو ما أثبت . وفي عيون الأخبار

٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت

للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كَمْ مِنْ دَنَى لَهَا قَدْ صَرَتْ أَتْبَعَهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَمَا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوة^(١) ، وأدنى داعية إلى المنالة^(٢) . وكذلك إذا خلّت العجوز المدربة^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تحلبها . وأنشدنا :

فأنتها طبّة عالمة تخط الجدد بأصناف اللعب
ترفع الصوت إذا لانت لها وتنأى عند سورات الغضب]

وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحيب الأول
كم منزل في الأرض يالفه الفتى وحينئذ أبدا لأول منزل

وقال مجنون بني عامر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(أثر التكرار في خالق الإنسان)

وباب آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طول وقوع البصر على الإنسان الذى في طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله . وطول التذانى ، وكثرة الرؤية هما أصل البلاء ، كما قيل لابنة الحسن : لم زنى بعبدك ولم تزنى ببحر^(٥) ، وما أغراك به ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد . ولو أن أقبح الناس وجهاً ، وأنتنهم ريحاً ، وأظهرهم فقراً ، وأسقطهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المدربة » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم تزنى ببحر » والوجه ما كتبه . . وابنة الحسن هي هند . ولها أخبار كثيرة في البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّن من كلامها ، ومكَّنته من سَمْعِها :
 واللهِ يامولاتي وسَيِّدتي ، لقد أسهرت ليلى ، وأرقت عيني ، وشغلنني عن
 مُهمِّ أمري ، فما أعقلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقْضِ طِبَاعَها ، ولِفَسْخِ
 عَقْدِها ، ولو كانت أروعَ الخلقِ جِلالاً ، وأكملهم كمالاً ، وأملهم ملحا .
 فَإِنْ تَبَيَّأَ مع ذلك من هذا المتعشِّق ، أَنْ تَدْمَعَ عينُهُ ، احتاجت هذه المرأةُ
 أَنْ يكون معها وَرَعٌ أمَّ الدرداء ، ومُعَاذَةُ العدويَّة ، ورابعةُ القيسيَّة ،
 والشجاء^(١) الخارجِيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإِذَا قال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : « اضربوهنَّ
 بِالْعُرَى » لِأَنَّ الثِيَابَ هِيَ المدعاةُ إِلَى الخُرُوجِ فِي الأعراس ، والقيامِ فِي
 المَنَاحَات ، والظهورِ فِي الأعياد ، ومَتَى كَثُرَ خُرُوجُها لم يَعْدَمِها أَنْ تَرى من
 هُوَ من شَكلِ طَبْعِها . ولو كان بَعْلُها أتمَّ حَسَناً ، وألذَّ رَأَتْ أَنْقَصَ حَسَناً ،
 لَكَانَ مَالاً تَمْلِكُهُ ، أَطْرَفَ مِمَّا تَمْلِكُهُ ، وَلِكَانَ مَالاً تَنْلَهُ ، وَلَمْ تَسْتَكَثِرْ
 مِنْهُ ، أَشَدَّ لَهَا اشْتِغَالاً وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَاباً . وَلِذَلِكَ قال الشاعر :

٧٩ وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى بِالتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^(٢)
 وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ : لِأَنَّ^(٣) يَرى حَرَمَتِي أَلْفُ رَجُلٍ عَلَى حَالٍ تَكْشَفُ

(١) ل : « الشجاء » وصوابه « الشجاء » كما في ط . ولها حديث مع زياد في الأمالي

٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقْد » بدل « لم يقْد » و « كافتِيَاد » موضع « كافتِيَاد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهي لا تراهم ، أحبُّ إلىَّ من أن ترى خُرْمِي رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوَّل : لا يضركُ حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتهما بصرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان الذي رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنيِّ ، فإذا انقضى ما هو فيه من المني^(١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأوَّل ، لم يكن عليه من [فقدھا إلاّ مثلُ] فقد ما رآه في النوم ، أو مثَّلت له الأمانى^(٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة^(٣) : لو زوّجتَ بناتِكَ ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وُضْعٍ إذا لم يكنَّ غايات !! قال : كلا ، إنِّي أُجِيعُهُنَّ فلا يَأْشُرْنَ ، وأُعْرِيَهُنَّ فلا يَظْهَرْنَ^(٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعينوا عليهنَّ بالعُرَى . وقد جاء في الحديث : « وفروا أشعارهنَّ فإنَّ [ترك الشعر مجفرة^(٥)] .

(١) ط : « . . . كالحلصة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المني » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهي على الصواب في ل . ولعقيل أخبار طريفة في الأغاني ١١ :

٨٩ - ٨١ .

(٤) ط : « يَأْشُرْنَ » موضع « يَأْشُرْنَ » و « يَظْهَرْنَ » بدل « يَظْهَرْنَ » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يمتنى مقطعة للنكاح ونقصا الماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذى ذكرنا فيه شأن الغيرة ، وأول الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خصيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [في الموضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول ^(١) ، ويتمشى مع الشطّار .

وقد كان في قطيعة الربيع خصيٌّ أثيرٌ عند مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملك يمينه ، وفي حرمة من بنتٍ وزوجةٍ وأختٍ ، لا يخص شيئاً دون شيء ، فأشرف ذات يوم على مربدٍ له ، وفي المربد غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدي شاةٍ وركبها من مؤخرها يكومها ، فلما أبصره برقٌ وبعل ^(٢) وسقط في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوٍّ له ^(٣) لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبه ، فكيف وإِنَّمَا عَيْنَ الَّذِي عَيْنَ فِيمَنْ كَانَ يَخْلُفُهُ فِي نِسَائِهِ مِنْ حُرْمَةٍ وَمِلْكٍ يَمِينِهِ . فبينما الرجلُ وهو واجم [حزين ^(٤)] ، وهو ينظر ^(٥) إليه [وقد تحرقَّ عليه غيظاً] إذ رَفَعَ الْحَصَى رأسه ، فلما أثبتَ مولاهُ مرَّ مُسرِعاً نحوَ باب الدار ليركبَ رأسه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منه

(١) ط : « السجون » .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضعا لا يُصعد [إليه] ، فحدث لشقائه أمرٌ لم يجد مولاه [معه] ^(١) بُدًا من صُعوده ، فلبث الحصى ساعةً ينتفض من حمى ، كَبته ثم فَاظ ، ولم يُمس إلا وهو فى القبر .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالحسرة التى نالتهن ، وبالأسف الذى دخلهن ، أبغضوا الفحول بأشدَّ من تباغض الأعداء فيما بينهم ، حتى ليس بين الحاسدِ الباغى وبين أصحابِ النعم المتظاهرة ، ولا بين الماشى المعنى وبين ٨٠ راکبِ الهملاجِ الفاره ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقَةً ، وبين سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بين بنى الأعمام مع وقوع التنافس ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الحيرانِ والمتشاكِلين فى الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الحصيان للفحول ^(٢) .

وبُغضُ الحصى للفحل من شكل بُغض الحاسدِ لذى النعمة ، وليس من شكل ما يولده التنافس وتلحقه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجالٍ كلٌّ فنٌّ وضربٌ من الناس ، ضربٌ من النسك ، إذ لا بدَّ لأحدهم من النزوع ، ومن ترك طريقته الأولى : فنسك الحصى غزو الروم ، لما أن كانوا هم الذين خصَّوهم ، ولزومُ أذنة والرباط بطرسوس وأشباهها . فظنَّ عند ذلك أهلُ الفِراسة أنَّ سببَ ذلك إنما كان لأنَّ الرُّومَ لما كانوا هم الذين خصَّوهم ، كانوا مغتاظين عليهم ^(٣) ، وكانت

(١) زيادة يقتدر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكِلين » و « التنفير » موضع « الشنف »

و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

مطلبةً إلى التشفى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفى شدةً الاعتزام على قتلهم ، وعلى الإنفاق في كلِّ شيءٍ يبلغ منهم . ونسكُ الخراسانيُّ أن يُحجَّ : ونسكُ النبوي^(١) أن يدع الديوان . ونسكُ المغنيُّ : أن يسكر التسييح وهو يشرب النبيذ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في جماعة . ونسكُ الرافضيُّ : إظهار ترك النبيذ . ونسكُ السَّواديُّ ترك شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهوديِّ : إقامة السبت . ونسكُ المتكلمِّ : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي ، وأن يرمي الناسَ بالجبر ، أو بالتعطيل ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نطفاً ، أو مرتاباً ، أو مجتئحاً على بليَّة^(٢) ، لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميهم إلا للعزِّ الذي في قلبه ، ولو كان هناك من ذلَّ الرِّيبة شيء لقطعه ذلك [عن]^(٣) التعرُّض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إن حرَّكهم له أن يتحرَّكوا . ولم نجد في المتكلمِّين أنطفَ ولا أكثرَ عيوباً ، ممَّن يرمي خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجمار وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمار ، وهو محمد بن عمرو^(٤) ، يتعشق جاريةً

(١) في القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبنواي وبنوي محرقة » وفي رسائل الجاحظ ١٥ ساسي مايفيد أنهم من خراسان . . وهي في ط : « الجندي » تحريف . وانظر حواشي البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفي ل : « محتجنا » بدل « مجتئح » .

(٣) زيادة يقتضها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجناً خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيَانُ ، وكان لهم خَصِيٌّ يُحَفِّظُهَا إِذَا أَرَادَتْ بَيْوتَ الْمُغْنِيِّينَ ،
وكان الخصىُّ أَشَدَّ عَشَقاً لَهَا مِنَ الْجَمَّازِ ، وكان قد حال بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامِهَا ، ٨١
والدنوُّ مِنْهَا ، فقال الجمَّازُ [وكان اسم الخادم سنانا] :

مَا لِلْمَقِيتِ سِنَانٍ وَلِلطَّبَّاءِ الْمِلَاحِ
لِبَيْسَ زَانٍ خَصِيٌّ غَازٍ بَغِيرِ سِلَاحٍ^(١)

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لَطْبِي يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ
مَنْ أَجَلِ ذَاكَ سِنَانُ إِذَا رَأَى يَسْبُهُ
هَبْهُ أَجَابَ سِنَاناً يَنْيَكُهُ أَيْنَ زُبُّهُ

وقال أيضاً فيهما :

ظِيَّ سِنَانُ شَرِيكِي فِيهِ فَبَيْسَ الشَّرِيكِ
فَلَا يَنْيَكُ سِنَانُ وَلَا يَدْعُنَا نَيْكُ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال البَاخَرَزِيُّ^(٢) يَذْكُرُ مُحَاسِنَ خِصَالِ الْخَصِيَّانِ :

وَنِسَاءَ الْمُطْمِئِنِّ مُقِيمٍ وَرِجَالَ إِنْ كَانَتْ الْأَسْفَارُ

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها
وانحدر فأت فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصي بزأن » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب فيما كتبت .

وانظر المحاسن والمساوي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدال والأمبروزيانا : « الماخوري » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلْبَانَةٌ ورهاء تخصي حمارها بغي من بغي خيراً إليها الجلامد^(١)]

وقال مزرد بن ضرار :

[فجاءت كخاصي العير لم تحل عاجة ولا جاجة منها تلوح على وشم^(٢)

وقال عمرو الخاركي^(٣)] :

إذا لام على المرد نصيح زادني حرصا

ولا والله ما أفلح ما عمرت أو أخصى

وقال آخر^(٤) :

رماك الله من أير بأفعى ولا عافاك من جهد البلاء

جزاك الله شرّاً من رفيق إذا بلغت بي ركب النساء

أجبناً في الكريهة حين تلقى وما تنفك تنعظ في الخلاء

فلا والله ما أمسى رفيق ولولا البول عوجل بالخصاء

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) في اللسان : « أبو زيد : الحاجة الخرزة التي لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة

ولا جاجة . وأنشد لأبي خراش الهذلي يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحييت وجاءت

إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي العير : إذا جاء

مستحيياً وخائباً أيضاً . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة في يدها » . والبيت

في ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء في الأصل هكذا :

فجاءت كخاصي العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ،

ومن أمثال الميداني (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبي خراش الهذلي ، كما في اللسان .

(٣) ياقوت في (خارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر

في معجم المرزباني ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قحذمُ ابنُ واهِصَةَ الخُصَى يرجو المناكحَ في بني الجارود^(١)
ومن انتكاس الدهر أن زوجتَها ولكلِّ دهرٍ عثرةٌ بجُود^(٢)
لو كان منذرٌ إذ خطبت إليهم حيًّا لكان خصاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثني أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدبُ
فسقط في بئرٍ فذهبت حدبته وصار^(٣) آدر فقليل له : كيف تجدك^(٤) ؟
[فقال] : ألذي جاء شرٌّ من ألذي ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله^(٥) قال : خرج معاوية ذات يومٍ يمشى
ومعه خصىٌ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنة بحدل^(٦) وهى أمُّ يزيد ،
فاستترت منه فقال : أتستترين منه ، وإِنما هو مثلُ المرأة ؟ قالت :
أترى أنَّ المثلة به تُحلُّ ما حرَّم الله تعالى ؟ !

ذكر ما جاء في خصاء الدواب

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبي قال : قرأت كتابَ عمر رضى الله

(١) ط : « نخدم » وهما تحريف مأثبت من ل . و « واهصة » تصحيح ما في ل ، وهو
« وابصة » . وجاءت هذه الكلمة في ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ،
وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .

(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب مأثبت . واجد : الخط .

(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .

(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « رجال الأدب » .

(٦) ط : « بحدل » وإِنما هو « بحدل » بالخاء كما في ل والأغاني والخزانة (٣ :
٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حَذْفِ أَذْنَابِ الْخَيْلِ وَأَعْرَافِهَا ، وعن خِصَائِهَا ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُجَرِّىَ مِنْ رَأْسِ الْمَائِثِينَ . وهو أربعة فراسخ .

وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو (١) أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ خِصَاءِ الْبَهَائِمِ وَيَقُولُ : هَلِ الْإِنْمَاءُ إِلَّا فِي الذِّكُورِ .

وَشَرِيكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهَاجِرِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَهَى عَنْ خِصَاءِ الْخَيْلِ .

وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَاجِرِ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِبَعْضِ عَمَلِهِ : لَا تُجَرِّينَ فَرَسًا إِلَّا مِنَ الْمَائِثِينَ ، وَلَا تُخَصِّينَ فَرَسًا .

قَالَ : وَسَمِعْتُ نَافِعًا يَقُولُ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو يَكْرَهُ خِصَاءَ الذِّكُورِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ .

وعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو عَنْ نَافِعٍ : أَنَّ أَبْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا كَانَ يَكْرَهُ الْخِصَاءَ وَيَقُولُ : لَا تَقْطَعُوا نَامِيَةَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى .

وعَبْدُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ أَبْنَا نَافِعٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ تُخَصَّ ذَكَوْرُ الْخَيْلِ ، وَالْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَيَقُولُ : فِيهَا نَشَأَةُ الْخَلْقِ ، وَلَا تَصْلَحُ الْإِنَاثُ إِلَّا بِالذِّكُورِ .

(١) في ل : « عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو » . وعَاصِمُ الَّذِي يَرَوِي عَنْهُ الثَّوْرِيُّ هُوَ عَاصِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ الْبَصْرِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ - أَوْ ثَلَاثَ - وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً . كَذَا فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . فِي الْإِسْنَادِ نَظَرُ .

ومحمد بن أبي ذئب^(١) قال : سألت الزُّهريَّ : هل بِخِصَاءِ الْبَهَائِمِ بَأْسٌ ؟
قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، نهى عن صَبْرِ الرُّوح . قال
الزُّهريُّ : وَالْخِصَاءُ صَبْرٌ شَدِيدٌ .

وأبو جعفر الرَّازِيَّ قال : حَدَّثَنَا الرَّيِّعُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا مَرْهَمٌ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هُوَ الْخِصَاءُ . ٨٣
وأبو جرير عن قتادة عن عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ .

أبو بكر الهذليَّ قال : سألتُ الحَسَنَ عَنْ خِصَاءِ الدُّوَابِّ فَقَالَ :
تَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ خَصَّى الرِّجَالَ .

أبو بكر الهذليُّ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا مَرْهَمٌ فَلْيَغَيِّرَنَّ
خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ الدُّوَابِّ . قال : وقال سعيد بن جبیر : أخطأ
[عكرمة] ، هُوَ دِينَ اللَّهِ .

نَصْرُ بْنُ طَرِيفٍ قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : خِصَاءُ الْبَهَائِمِ . فبلغ مجاهدًا فقال : كَذَبَ
هُوَ دِينَ اللَّهِ .

فمن العجب أن الذي قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ
لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناس لا يضعون هذه الكلمة

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد في
تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ - ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١ .

في موضع خطأ الرأي مَن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول [.
ولو أن إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنما يعنى الحِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالة على
شيء دون شيء ، وإذا كان اللفظ عاماً لم يكن لأحد أن يقصد به إلى
شيء بعينه ^(١) إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوة
الآية ، أو يكون جبريل عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضم ^(٢) ولا ينوى ، ولا يخص ولا يعم بالقصد ؛
وإنما الدلالة [في] بنية الكلام نفسه ، فصورة ^(٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عمل آخر كالذى يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علواً كبيراً .

أبو جرير ^(٤) عن عمار بن أبي عمار ^(٥) أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ
تعالى : ﴿ وَلَا تُرْسِلْهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قَالَ : هُوَ الْحِصَاءُ .

وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِيُّ ، عن مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ عن عبادة بن نسي ، عن
إبراهيم بن محيرز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الحِصْيَانُ ؛ فَإِنَّهَا أَخْفَى لِلْكَمِينِ
وَالطَّلَانِ ، وَأَبْقَى عَلَى الْجَهْدِ .

(١) ط : « بعيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط : « لا يصر » .

(٣) ط : « فصار » .

(٤) ط : « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم يرَ بأساً
بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين ، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء
البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

٨٤

(أقوال في النتائج للمركب)

ونُصِّلَ هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلق الأركب [وفي
تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب ، وجمعه
عسبارو] . قال الكميت :

وتجمّع المتفرّقون من الفراعيل والعساير^(١)
برميهم بأنهم أخلاطٌ ومُعلّهجون .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السّمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السّمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون - يعني العساير - جمع العسبر
(كقنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفراعيل : ولد الضبع
من الضبعان » يعني الذكر من الضباع .

كالحية لا تعرف العِلل ، ولا تموتُ حتْف أنفِها ، ولا تموت إلا بعَرَض
يَعْرِض لها . ويَزْعُمون أنه لا يَعدو شئٌ كعدو السَّمع ، وأنه أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيح والطَّير .

وقال سَهْم بن حَنْظَلَة يَصِف فرسه :

فاعصِ العواذِل وارمِ اللَّيْلَ في عَرَض

بذِي شَيْب يُقاسِي لَيْلَهُ حَبِيبًا

كالسَّمع لم يَنْقُب البَيْطَار سرَّته ولم يَدِجْه ولم يَغْمِزْ له عَصَبًا^(١)

وقالَ ابْنُ كُنَاسَة^(٢) يَصِف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُهَا الطُّلُوقُ وقد صَوَّبَتْ على عِيسَار^(٣)

وقال سَوْر الذئب^(٤) :

هو سَمِعٌ إذا تَمَطَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْثُهَا عِيسَارُ

يقول : إذا اشْتَدَّ هَرَبُ المَطْلُوبِ الهَارِبِ مِنَ الطَّالِبِ الجَادِّ ، فهو أَحْتُ
لِلطَّالِبِ ؛ وإذا صَارَ كَذَلِكَ صَارَ المَطْلُوبُ حَيْثُذٌ في مَعْنَى من يَحْثُ الطَّالِبُ ،
إِذْ صَارَ إِفْرَاطَ سُرْعَتِهِ سَبِيلاً لِإِفْرَاطِ طَلْبِ العُقَابِ .

وقال تَابُطُ شَرًّا^(٥) ، [أو أَبُو مُحَرِّزٍ خَلْفَ بَنِي حَيَّانِ الأَحْمَرِ] :

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدج » والودج : قطع الودج : عرق في العنق .

وانظر معجم المرزباني ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ،

١٠٥ مصر . توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تابط شرا » . . والقصيدة في حسانة أبي تمام (١ : ٣٤١ - ٣٤٧) .

مُسِيلٌ بِالْحَيِّ أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَعْنُو فِسْنَعٌ أَزَلُّ
وَلَمَّا قَالَ أَزَلُّ وَجَعَلَهُ عَادِيًا وَوَصَفَهُ بِذَلِكَ ، لَأَنَّهُ ابْنُ الذَّنْبِ .
وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عِسْبَارَه^(١)

وقال في موضع آخر :

كَأَنَّ مِنْهَا طَرَفَهُ اسْتَعَارَه^(٢)

وقال آخر :

تَلَقَى^(٣) بِهَا السَّمْعَ الْأَزَلَّ الْأَطْلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وَزَعِمُوا أَنَّ وَلَدَ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ الدَّيْسِمُ ، وَرَوَوْا لِبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ
فِي دَيْسِمٍ الْعَنْزِيِّ أَنَّهُ قَالَ :

أَدَيْسِمُ يَا ابْنَ الذَّنْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

أَتَرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ

وزارع : أسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

(زعم لأرسطو في النتائج المركب)

وَزَعِمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ أَصْنَافًا أُخَرَ مِنَ السَّبَاعِ الْمَتَرَاوِجَاتِ

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملحة ، كما يظهر
أن هناك كلاما سابقا بعد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد »
وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ن : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلاقيحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتائج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية . قال : وتتولد أيضا كلاب سلقية من ثعالب و كلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس^(١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا]
 أَنَّ نِتَاجَ الْأَوَّلَى يُخْرَجُ صَعْبًا وَحَشِيًّا لَا يَلْقَنُ^(٢) وَلَا يُؤْلَفُ .

(تَلَاقِحُ السَّبْعِ وَالْكَلْبَةِ)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أَنَّ الكلبةَ تعرض لهذا السبع حتى تلقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنهم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البرارى ، فتجئ هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنثى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاذ الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان^(٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ ول . وفي ط : « طاعويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدري بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما ذكر =

أيا باكي الأطلال في رَسْمِ دمنة

تَرُوْدُ بها عَيْنُ المَهَا والجَاذِرُ

وعاناتُ جَوَّالٍ وهَيْقُ سَفْنَجٍ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ^(١)

وسَمْعٌ خَفِيٌّ الرِّزُّ ثَلْبٌ ودَوْبَلٌ

وثرَمَلَةٌ تعتادها وعَسَابِرُ^(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلد على نفسه في السكتب شهاداتٍ لايحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ، وما عندنا في معرفة ما ادَّعى إلا هذا القول .

وأما الذين ذكروا في أشعارهم السَّمْع والعِسابر ، فليس في ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدَّينا الذي قالوا وأمسكنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرهاننا .

(أولاد السعلة)

وللناس في هذا الضَّرْبُ ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزَها وتحقيقَها ، كالذى يدَّعون من أولاد السَّعَالِي من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيد النحويُّ عن السَّعْلاة :

= من أيام العِصَا « البيان ١ : ٢٥٢ » ، وقد عده ابن النديم من صنف في غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما في الديمري . والفضفاضة : اللحمة الجسيمة . وبدلها في ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبغ أو لولدها ، معرفة لا ينصرف . لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفي القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المعيب .

التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلَمَعُ من شقِّ بلاد السَّعالي ، حنَّت وطارَت إليهم ، فقال شاعرهم (١) :

رَأَى بَرْقاً فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَسْكَرٍ فَلَا بِكَ مَا أَسَالَ وَمَا أَغَامَا (٢)
وَأَنشَدَنِي أَنَّ الْجِنَّ طَرَقُوا بَعْضَهُمْ فَقَالَ (٣) :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنَّ قَالَتْ عَمُوا ظَلَامَا
فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامَا
ولم أعِب الرواية ، وإنما عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانها . فما أَكْثَرَ
من يَروى هذا الضربَ على التععُّبِ منه ، وعلى أن يجعلَ الرواية [له]
سبباً لتعريفِ النَّاسِ حقَّ ذلك من باطلِهِ ، وأبو زيدٍ وأشباهه مأمونون
على النَّاسِ ؛ إِلَّا أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّماً حَازِقاً ، وكان عند العلماء
قدوةً وإماماً ، فما أَقْرَبَ إفساده لهم من إفسادِ المتعمِّدِ لإفسادهم !

وَأَنشَدُوا فِي تَثْبِيتِ أَوْلَادِ السَّعَلَةِ :

تَقُولُ جَمْعٌ مِنْ بُؤَانَ وَوَتِيدٌ وَحَسَنٌ أَنَّ كَلَفْتَنِي مَا أَجِدُ (٤)
وَلَمْ تَقُلْ جِيءَ بِأَبَانٍ أَوْ أُحْدُ (٥) أَوْ وَلَدِ السَّعَلَةِ أَوْ جِرِوِ الْأَسَدِ
أَوْ مَلِكِ الْأَعْجَامِ مَأْسُوراً بِقِدِّ (٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبِّي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفي ل : « وحسن كلفتني . . . » ، وفي كليهما « ما لم أجِد » وهو تحريف .

(٥) ط : « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال : سلوم لو أصبحت وسط الأعجم في الروم أو في فارس أو في الديلم إذا لزرناك ولو بيلم

وقال آخر^(١) :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعْلَةِ عَمْرًا وَقَابُوسًا شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا في جرمهم)

وذكروا أَنَّ جُرْهُمَا كَانَ مِنْ نِتَاجِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَبَنَاتِ آدَمَ ، وَكَانَ الْمَلِكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا عَصَى رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، وَفِي طَبِيعَتِهِ ، كَمَا صَنَعَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ حِينَ كَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا وَشَأْنِ الزُّهْرَةِ ، وَهِيَ أَنَاهِيدُ^(٢) مَا كَانَ ، فَلَمَّا عَصَى اللَّهُ تَعَالَى بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، تَزَوَّجَ أُمَّ جُرْهِمٍ فَوَلَدَتْ لَهُ جُرْهُمَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ^(٣) :

لَا هُمَّ إِلَّا جُرْهُمَا عِبَادُكَ النَّاسُ طِرْفُ وَهُمْ تِلَادُكَ^(٤)

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

وَمِنْ هَذَا النَّسْلِ وَمِنْ هَذَا التَّرَكِيبِ وَالنَّجْلِ^(٥) كَانَتْ بِلْقِيسُ مَلِكَةُ

(١) هو علباء بن أرقم كما في النوادر ١٠٤ . والبيت الثاني يروى ببدله في الأملال ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ، كما في شرح الأنباري للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدا ل والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبباً ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري (١) من الملائكة . ولذلك (٢) لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين ، فقال : أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعت إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختار (٣) بن أبي عبيد أن علياً كان إذا ذكر ذا القرنين ٨٧ قال : ذلك الملك الأموط .

(ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنيات إنما تعرض لصراع رجال الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد (٤) ، وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرة ، ردّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئْنُوا مِنْ أَنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٍّ ﴾ . فلو كان الجان لا يفتن

(١) في ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قبرى » .

و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عبرى » .

(٢) ط والأمروزيانا « وكذلك » .

(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثأرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) ل : « الفساد » وليس بشيء .

الْأَدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قط ، وليس ذلك في تركيبه ، لما قال الله تعالى
هذا القول .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أَنَّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشَّقِّ والإنسان . ويزعمون أَنَّ خَلْقاً
من وراء السِّدِّ تركيبُ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشَّقِّ ، ويأجوج ومأجوج .
وذكروا عن الواقواق والدِّوَالِ بآي (١) أَنَّهُمْ نِتَاجُ ما بين بعض النَّباتِ والحيوان .
وذكروا أَنَّ أُمَّةً كانت في الأرض ، فأمر الله تعالى الملائكة فأجلوهم ؛
وإِيَّاهُمْ عَنَّا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء :
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أَنَّ ظالماً
وظُلماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ — أو خُلفٌ — في أرجوزة مشهورة ، ذكر فيها طُولُ
عمر الْحَيَّةِ :

أَرْقَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَشَّى حَسِبْتَ وَرَسًا خَالِطَ الْبِرْنَآ (٢)
خَالِطُهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاءَاهُ الْخَوَاةُ أَسْتَنَّا (٣)

قال : وكان يقال لملك الأُمَّة مهنا (٤) .

(١) ط : « الدِّوَالِ » ل : « الدِّوَالِ بآي » وانظر حواشي البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصنع به . وقيل : صنف من السكرم . كذا
في المصباح . والبرنأ : الخناء .

(٣) ط : « إِذَا أَقَى إِدِ الْخَدَاةِ اسْتَنَّا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « يهنا » ، وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « يهيا » .

(قول المجوس في بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهينة ، وأنَّهما تولدا فيما بين أرحام الأرضين ، ونطفتين ابتدرتا^(١) من عيني ابن هُرْمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنينِ كثيرةٌ في هذا الباب . ولولا أنَّي أُحييتُ أن تسمعَ نوعا من الكلام ، ومبلغَ الرأى ، لتُحدِّثَ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالسكوفة فتىً من ولد عبد الله بن هلال الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جدُّه من قبل أمهاته . وسنقولُ في ذلك بالذي يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَّة هذا الكلام تجيءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما أَلَفَ الإنسانُ ، واستوحشَ من السبع ، وكرِهَ الغياضَ ، وأَلَفَ الدُّورَ ، واستوحشَ من البراري وجانب القفار ، وأَلَفَ المجالسَ والديارَ . ولو تمَّ له معنى البهيمة

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبية ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكتابه ويظلمه على أسرارِهِ . ثمار القلوب ٥٧ .

في الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوان ، وكلب على الناس . نعم
حتى ربما كلب ووثب على صاحبه وكلب على أهله . وقد ذكر ذلك
طرفة فقال :

كُنْتُ لَنَا وَالْدُّهُورَ آوِنَةً تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ (١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
ظَلٌّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفْرِقُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي الدَّمَاءِ يَذْتَهِسُ

وقال حاجب بن دينار (٢) المازني في مثل ذلك :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَمَ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسُلْطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْمَنَ الْكَلْبَ رَابَهُ
بِإِحْدَى الدَّوَاهِي حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وقال عوف بن الأحوص (٣) :

فَأَيُّ وَقِيصًا كَالْمَسْنَنِ كَلْبُهُ مُخَدَّشُهُ أَنْيَابُهُ وَأُظَافِرُهُ

وأنشد ابن الأعرابي لبعضهم (٤) :

وَهُمْ سَمُّوْا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بَعْضَهُمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وَفِي الْمَثَلِ (٥) : « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كُتْلَكَ » .

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في ثمار القلوب

٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلي ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق في مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو قيس بن زيد . والرواية في مجمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « فخذشه أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن فكتبت إليه امرأته (١) :

أتهدي لى القيرطاس والخبز حاجتي وأنت على باب الأمير بطين
إذا غبت لم تذكر صديقاً وإن تقم فأنت على ما فى يدك ضنين
فأنت ككلب السوء فى جوع أهله فيهنزل أهل الكلب وهو سمين
وفى المثل : « سمن كلب فى جوع أهله » ، وذلك أنه عند السواف (٢)

يصيب المال ، والإخداج (٣) يعرض للشوق ، [يأكل الجيف فيسمن (٤)] .
وعلى أنه حارسٌ مخترسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإحاش من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانة على إلفه . وإنما اقتنوه على أن ينذرهم بموضع السارق ،
٨٩ وتركوا طرده لينبهم (٥) على مكان المبيت . [وهو أسرق من كل سارق ،
وأدوم جنانيةً من ذلك المبيت] . ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،
قول الشاعر :

أفى أن سرى كلبٌ فيئت جلةً وجبجبةً للوطب ليلى تطلق (٦)

- (١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب : الموتان فى الإبل .
(٣) أخذجت الناقة : أتت بولد ناقص .
(٤) زدها ليتم الكلام ، اعتماداً على ما فى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .
(٥) فى الأصل : « لينبهم » ولم يمهّد تعدية هذا الفعل بعل . وأثبت ما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .
(٦) ط : « أخى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت من ل واللسان (جبب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجلة ، بالضم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابي : هو جلد جنب البعير يثور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى بإغلاء ثم يقدد ، فهو أبى ما يكون .

فهو سرّاق ، وصاحب بيّات ، وهو نبّاشٌ ، وآكل لحوم النَّاسِ . ألا إنّه يجمعُ سرقة الليل مع سرقة النهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى في خزانةٍ ، أو مطبخٍ ، أو عَرَصَةٍ دارٍ ، أو في طريقٍ ، أو في برارىٍّ ، أو في ظهرِ جبلٍ ، أو في بطنِ وادٍ ، إلّا وخطمه في الأرض ينشّم ويستروح ، وإن كانت الأرضُ بيضاءَ حصّاءَ^(١) ودويّةً ملساءَ ، أو صخرةً خلّقاءَ ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعاً . نعم حتّى لا تجده أيضاً يرى كلباً إلّا اشتمَّ استه ، ولا ينشّم غيرهما منه ، ولا تراه يُرمى بحجرٍ أيضاً أبداً إلّا رجعَ إليه فعصَّ عليه ؛ لأنّه لما كان لا يكاد يأكلُ إلّا شيئاً رمّوا به [إليه] صار ينسى لِفِرْطِ شرِّه وغلبةِ الجشعِ على طبعه ، أنّ الرامى إنّما أراد عقره أو قتله ، فيظنّ لذلك أنّه إنّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيّل إليه فرطُ النّهم وتوهمه غلبةُ الشرِّه ، ولكنّه رمى بنفسه على الناس عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخاف السباعَ واستوحش من الصّحارى .

ولما سمعوا بعضَ المفسرين يقول في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾^(٢) إنّ المحروم هو الكلب ؛ وسمِعوا في المثل : « اصنعوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عطفوا عليه واتَّخذوه في الدُّور . وعلى أنّ ذلك لا يكون إلّا من سفلتهم وأغبيائهم ، ومن قلّ تقزُّزه^(٣) وكثُر جهله ، وردَّ الآثارَ إمّا جهلاً وإمّا معاندةً .

وأما ألدّيك فمن بهائم الطير وبغاثها ، ومن كلوئها والعِيال على

(١) ط : « وحصباء » والوجه ما أثبت من ل ، كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلًا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقزّره » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا ممّا ^(١) يطرب بصوته ويُسجى بلحنه ، كالقمارى والدّباسى والشّفانين ^(٢) والوراشين والبلابل والقواخت ، ولا ممّا يُونق بمنظره ويمتع الأبصار حسنه ، كالطواويس والتّدارج ، ولا ممّا يعجب بهدايته ويُعقد الذمام بإلفه ونزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتُرّيده بإرادته لك ، وتعطّف عليه لحبه إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات ^(٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لا يطير ، وبهيمهٌ لا يصيد ، ولا هو أيضاً ممّا يكون صيداً فيمتنع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللذة .

والخفّاش أمرط ، وهو جيّد الطيران ، والدّيك كاسٍ وهو لا يطير .
وأى شيء أعجب من ذى ريش أرضى ، ومن ذى جلدة هوائى .

٩٠ وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزّواج إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمّ كان ممن لا يزواج ، لقد كان قد مُنع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكلة الغريبة ، وحُرِم هذا السّبب الكريم والشّبه المحمود . فكيف وهو لا يزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزّواج والإلف وثبات العهد ، وطلبُ الذرء وحُبُّ النّسل ، والرجوعُ إلى السّكن والحنين إلى الوطن — إلّاّ له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزواج فلنّما دخله النقصُ وخسر هذه الفضيلة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديك النقص

(١) ط : « من » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « بما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، فى ل .

(٢) ط : « الشّفانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفينين بالكسر ، وقد تحدّث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلاّ للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جِهَتَيْنِ . ووصف أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِي الحِمَارَ وَعَيْرَ العَانَةِ خَاصَّةً (١) ،
فإنَّه أمثلُ في باب المعرفة من الأَهْلِيّ ، فذكر كيف يضرب في الأُتُنْ ، ووصفَ
استبْهَامَه عن طلب الولد ، وجهله بمَوْضِع الذَّرءِ ، وأنَّ الولدَ لم يَجِ منه عن
طلبٍ له ، ولكن النُّطْفَةَ البريئة من الأسقام ، إذا لاقَت الأرحام البريئة من
الأسقام حَدَثَ النَّتَاجَ على الخلقة ، وعلى ما سوَّيت عليه البنية (٢) . وذكر أنَّ
نَزْوَه على الأتان ، من شكل نَزْوَه على العير ، وإنَّما ذلك على قدر ما يحضُّره
من الشَّبَقِ ، ثمَّ لا يَلْتَفِتُ إلى دُبُرٍ من قُبُلٍ ، وإلى ما يَلْقَحُ [من مثله ممَّا
لا يُلْقَحُ] فقال :

* لا مُبْتَغَى الضَّنَّ ولا بالعازل (٣) *

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .

والأشياء التي تألفُ النَّاسَ ولا تَريدُ سِوَاهُمْ ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ،
كالعصفور والحُطَّاف والكلب والسَّتُور . والدَّيْكَ لا يَأْلَفُ مَنْزِلَه ولا رَبَّه
ولا يُنَازِعُ (٤) إلى دجاجته ولا طَرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدِرْ
قطُّ أنَّ له ولداً ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايته دليل ، فإذا وجدناه
ليبيضه (٥) وفراريجِه الكائنة منه ، كما نجدُه لما لم يلدُه ولمَّا ليسَ من شكله
ولا يرجع إلى نسبه ، فكيف تُعرَفُ الأمور إلَّا بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه في ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضئ » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثْبِتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتَ جَنَاحِهِ .

وَالْكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسَّيَّورُ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَيَأْلَفَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طُرِدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أُجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهْيِنَا احْتَمَلَا .

وَالدِّيكُ يَكُونُ فِي الدَّارِ مِنْ لَدُنْ كَانَ فَرُوجًا صَغِيرًا إِلَى أَنْ صَارَ دِيكًا كَبِيرًا ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ الدَّارِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْجِيرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرُّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مِنْزَلُهُ قَرِيبًا ، وَسَهْلٌ ^(١) الْمَطْلَبِ يَسِيرًا ، وَلَا يَذْكُرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ احْتَاجَ لَاتَمَسَ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخَبْرُ فِي طَبَاعِهِ لَظَهَرَ ، وَلَكِنَّهَا طَبِيعَةٌ بِلَهَاءٍ مُسْتَبْهِمَةٍ ، طَامِحَةٌ ^(٢) وَذَاهِلَةٌ ، ثُمَّ يَسْفِدُ الدَّجَاجَةُ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَفْتِقُ الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ الدِّيكُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ حَرَصِهِ عَلَى السَّفَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْفِدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وَلَدٍ ، وَلَا يَحْضُنُ بَيْضًا وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمٌ ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحَقُّ مِنَ الْحَبَّارِيِّ وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كُلُّ شَيْءٍ يَجِبُ وَلَدَهُ حَتَّى الْحَبَّارِيُّ » . فَضَرَبَ ^(٣) بِهَا الْمَثَلَ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالْغَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالْبَلْهَةِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط : « وسهيل » .

(٢) لعلها « جاحجة » .

(٣) الأميروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : « أَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ » فوجّهوا أكل الهرة أولادها على شدة الحب لها ، ووجّهوا أكل الضب لها على شدة البغض لها ، وليس ينجو منه شيء منها إلا بشغله بأكل إخوته عنه ، وليس يحرسها ممّا يأكلها إلا ليأكلها . ولذلك قال العمّلسُ ابن عقيل ، لأبيه ^(١) عقيل بن علفّة :

أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ السَّكَلِ الْوَيْلِ
فَلَوْ أَنَّ الْأَلَى كَانُوا شُهُودًا مَنَعَتْ فِئَاءَ بَيْنِكَ مِنْ بَجِيلِ
وَقَالَ أَيْضًا ^(٢) :

أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكَلَ الضَّبُّ حَتَّى تَرَكَتْ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ
وَشَبَّهَ السَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِي ، عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي نَصْبِهَا
الْحَرْبَ يَوْمَ الْجَمَلِ لِقِتَالِ بَنِيهَا ، بِالْهَرَّةِ حِينَ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ، فَقَالَ :

جَاءَتْ مَعَ الْأَشْقَيْنِ فِي هَوْدَجٍ تُزْجِي إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادَهَا
كَأَنَّهَا فِي فِعْلِهَا هِرَّةٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلَادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أَحْمَقُ مِنْ جَهِيْزَةٍ » ، وهى عرس الذئب ؛ لأنها تدعُ ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قول ابن جندل الطّلعان ^(٣) .

كَمْ رُضِعَ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضِيعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعًا ٩٢

(١) ل : « لابنه » والصواب ما فى ط . وفى الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سبّية .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جندل الطلعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » . وانظر حاسة البحترى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إِنَّ الضَّبْعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذَّئْبَ يَأْتِي أَوْلَادَهَا
بِاللَّحْمِ . وَأَنْشُدَ الْكُمَيْتُ :
كَمَا خَامَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمُّ عَامِرٍ لِيَذِيَ الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا ^(١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذَّئْبُ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُؤَالِهِ ضِغْتُ يَزِيدُ عَلَى إِبَالِهِ
فَلَا حِشَانُكَ مِشْقَصًا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالِ ^(٢)
الْأَوْسُ : الْإِعْطَاءُ ، وَأَوْيسٌ هُوَ الذَّئْبُ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْهَنْلِيُّ ^(٣) :
يَا لَيْتَ شَعْرَى عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَنَمِ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :
وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ ^(٤)

(حق النعامة)

ويقولون : « أَحَقُّ مِنْ نِعَامَةٍ » كَمَا يَقُولُونَ : « أَشَرُّ مِنْ نِعَامَةٍ » قَالُوا
ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَدْعُ الْحِضْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنْ هِيَ

^(١) ل : « لَدَى الْجَبَلِ » وَهِيَ رَوَايَةُ ابْنِ قَتَيْبَةَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٢ : ٧٩ . وَرَوَايَةُ
ابْنِ مَنْظُورٍ لِلْبَيْتِ فِي مَادَةِ (أَوْس) « غَالِ أَوْس » ، وَتَفْسِيرُهَا بِقَوْلِهِ : « أَكَلَ جَرَاهَا »
بِذَلِكَ لَا يَصِحُّ الِاسْتِشْهَادُ لَمَّا اسْتَشْهَدَ لَهُ الْجَاهِظُ .
^(٢) ط : « فَلَا حِشَانُكَ » وَالصَّوَابُ مَا فِي ل . انْظُرْ أَدَبَ الْكَاتِبِ ٥٧ وَالِاقْتِضَابُ .
وَحِشَاءُ : رِمَاهُ . وَالْمِشْقَصُ : سَهْمٌ طَوِيلٌ أَوْ عَرِيضٌ . وَالْبَيْتَانِ لِأَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ
كَأَنَّ فِي اللَّسَانِ (أَبِل) .
^(٣) الشَّعْرَى فِي اللَّسَانِ (رَخِمَ) مَنْسُوبٌ إِلَى عَمْرِو ذِي الْكَلْبِ . وَهُوَ هَذَا كَمَا فِي الْأَغَانِي .
^(٤) ط : « جَاهِد » . وَالْعَامُ الْجَامِدُ : عَامُ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَامْتِنَاعِ الْغَيْثِ .

في خروجها ذلك رأت بيض أخرى قد خرجت للطعم، حضنت بيضها ونسيت بيض نفسها ، ولعل تلك أن تُصاد فلا ترجع إلى بيضها بالعرء حتى تهلك . قالوا : ولذلك قال ابن هرمة ^(١) :

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرء وملبسة بيض أخرى جناحا

وقد تحضن الحمام على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجة بيض الطاوس ، فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجة بيضها وتحضن بيض الطاوس فلا . فأما فروج الدجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ؛ فإنه يكون أكيس . وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة فيكون أقل حسنا وأبغض صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكل بيضة في الأرض فإن أسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ، إلا بيض الدجاج فإنه يسمى فروجا ، ولا يسمى فرخا ، إلا أن الشعراء يجعلون الفروج فرخاً على التوسّع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأصوات المسكاكي بالضحى وسود تداعي بالعشي نواعيه ^(٢) ٩٣
أحب إلينا من فراخ دجاجة ومن ديك أنباط تنوس غبايه ^(٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في البثار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشع ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفع مستوكير الحجارة للسود . وفي ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المختص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غبايه » .

وقال الشَّماخ بن ضرار^(١) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ خَاقَانَ عَنِّي تَأَمَّلْ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ

فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ^(٢) وَمِنْ شَيْخٍ أَضَرَّ بِهِ الْفَنَاءُ

فَرَاخٌ دَجَاجَةٌ يَتَّبَعَنَّ دِيكًا يَلْذُنْ بِهِ إِذَا حَمَسَ الْوَعَاءُ

[فَإِنْ] قُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،

حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذِكْرٍ مُحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَالْمَوَازَنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،

شَيْخَانِ مِنْ عِلْيَةِ الْمُتَشَكِّلِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ^(٣) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى

أُبْرَمَا هَذَا^(٤) الْحُكْمَ وَأَفْصَحَا بِهِذِهِ الْقَضِيَّةَ ، صَارَ بِهَذَا التَّدْبِيرِ بَيْنَهُمَا حِظٌّ

وَحِكْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ؛ وَسِعُودُ ذَلِكَ عَذْرَاءً

لَهُمَا إِذَا رَأَيْتَهُمَا يُوَازِيَانِ بَيْنَ الذَّبَّانِ^(٥) وَبَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافَسِ

وَالْجُعْلَانِ ، وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْهَمَجِ وَأَصْنَافِ الْحَشَرَاتِ ، وَالْخَشَاشِ ،

حَتَّى الْبَعُوضِ وَالْفَرَاشِ وَالِدِيدَانِ وَالْقَرْدَانِ^(٦) فَإِنْ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ

عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّظَرِ عِوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ،

وَصَارَ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ

فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحُكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ

الْمَلَلِ ، وَالْمَوَازَنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ،

وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَافِقِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَدَسُّعُ لِلْجَمِيعِ ، وَالسَّنَتَهُمْ لَا تَنْتَلِيقُ

بِالسَّكْلِ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْقِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ

فَالْأَخُوفِ .

(١) فِي (٧ : ٨٥) أَنَّهُ شَمَاحُ بْنُ أَبِي شَدَادٍ .

(٢) ل : « حَبَالِكَ » مَوْضِعُ « جَنَابِكَ » .

(٣) ل : « جِلَّةٌ » .

(٤) ط : « مَدْعَا » .

(٥) ل : « رَأَيْنَاهُمْ يُوَازِنُونَ .. الْخ » . ط : « الذَّبَابُ » مَوْضِعُ « الذَّبَّانِ » .

(٦) الْقَرْدَانُ : جَمْعُ قَرَادٍ ، وَهُوَ دَوَابَّةٌ تَنْتَشِرُ فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ .

وقلتَ : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف^(١) وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سبيل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزل ، وقد يحسنُ الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبحُ مثله من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقامٍ مقالٌ ، ولكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولكلِّ طعامٍ أكلة^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أن كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِإِرفاقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ^(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنَّ أبطأت ، ولا بدَّ لذلك الكامن من ظهور ؛ فإنَّ أمكنه ذلك بعثه ، وإلاَّ سرى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و [نَمَى] كما ينمى العرق ؛ كما أنَّ البُزور البريَّةَ ، والحبَّةَ الوحشيَّةَ الكامنة في أرحام الأرضين ، لا بدَّ لهما من حركةٍ عند زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إِبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحام كالنُّظفة ، وكان بعضُ الأرض كالأمِّ الغذائية^(٤) فلا بدَّ لكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدورِ يوماً من النَّفث^(٤) *

(١) ط : « التطرق » .

(٢) ل : « آكل » .

(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل : « ولا بدَّ للمصدر من النفث » .

[وقال ^(١)] :

* ولا بدّ من شكوى إذا لم يكن صبر *

ولذلك صار طلب الحساب أخفّ على بعضهم، وطلب الطبّ أحبّ إلى بعضهم. وكذلك النزاع إلى الهندسة، وشغف أهل النجوم بالنجوم. وكذلك أيضاً ربّما تحرّك له بعد الكبرة، وصرف ^(٢) رغبته إليه بعد الكهولة، على قدر قوة العرق في بدنه، وعلى قدر الشواغل له وما يعترض عليه، فتجد واحداً يلهج بطلب الغناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يكتتب مع ^(٣) الجند، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقاً، وآخر يختار طلب الملك، وتجد حرصهم على قدر العلل الباطنة المحركة لهم، ثم لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلاّ بجملة من القول، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم ^(٤) لم اختار ذلك في جملة ولا تفسير، إذ كان لم يجبر منه على عرق، ولا اختاره على إرث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سبب يصل بينه وبين بعض الأمور ويجرّكه في بعض الجهات، ولكنّ العجب من يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتاً واحداً، وذلك لا يستقيم. والزيادة رأيتها

ضرورية لاستقامة الكلام. والاقع عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٤٣٢٠ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامه *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

له في معرفة الوزن، وليس له جرمٌ حسن^(١)، فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغنىً خاصة أن يكون مطرباً ومغنىً عامة . وآخر قد مات على أن يُذكر بالجلود ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أنخلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً باتخاذ الطيبات ومستهتراً بالتكثير منها ، ثم هو أبداً مفتضح وأبداً منتقض الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلة من كان هو الداعي له ، والمرسل إليه ، والعارف مقدار لقمه ونهاية أكله .

فإن زعتم أن كل واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللئام وجميع المقصرين ، وجميع الفاسقين والضالين . وإن كان الأمر [إلى] التمكين دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل^(٢) بين الديكة والكلاب . ٩٥
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأمّا قولك : « وما بلغ من خطر ألدبك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلامٌ عبدٍ لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العامة أو الطبقة التي تلى العامة . كأنك ، فهملك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق الفراش والذباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو واثب عليك ، أن التدبير فيه مختلف أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو مزوجة .

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والخلق .

(٢) ط ه والتمثيل « والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ في أمرِ ابتداءِ الدنيا إلى انقضاءِ مدَّتِها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارُّ بالنافع ، والمكروهُ بالسارُّ ، والضَّعةُ بالرَّفعة ، والكثرةُ بالقِلَّةُ . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هَاكَ الخالقُ ، أو كان الخيرُ مَحْضاً سَقَطَتِ المِحنةُ وتَقَطَّعتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَمِ الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحِكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالمِ تثبُّتٌ وتوقُّفٌ وتعلُّمٌ ، ولم يكن علمٌ ، ولا يُعرف بابُ التبيين ، ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعةٍ ^(١) ، ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شُكْرٌ على محبوبٍ ، ولا تفاضُلٌ في بيانٍ ، ولا تنافسٌ في درجةٍ ، وبطلت فرحةُ الظَّفَرِ وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهرها مُحَقٌّ يَجِدُ ^(٢) عزَّ الحقِّ ، ومُبْطِلٌ يَجِدُ ذِلَّةَ ^(٣) الباطل ، وموقنٌ يَجِدُ ^(٤) بَرْدَ اليقين ، وشاكٌّ يَجِدُ ^(٥) نقصَ الحيرةِ وكَرْبَ الوجوم ؛ ولم تكن للنفوسِ آمالٌ ولم تتشعَّبْها الأطماع . ومن لم يعرف كيف الطَّمَعُ لم يعرف اليأس ، ومن جهل اليأسَ جهلَ الأمن ، وعادت الحالُ من الملائكةِ الَّذِينَ هم صفوةُ الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السُّبُعِ والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حالِ النجومِ في السُّحرةِ ؛ فإنَّها أنقص من حالِ البهائمِ في الرِّتعةِ . ومن هذا الذي يسرُّه أن يكون

(١) ط : « التدبير » موضع « التبيين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « يجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « يجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق يجد » وهو تحريف .

الشمس والقمر والنَّارَ والثلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم ؛ أو يكون المجرَّة بأسرها ، أو مكبلاً من الماء أو مقداراً من الهواء ؟ وكلُّ شئ في العالم فإما هو للإنسان ولكلِّ مختبرٍ ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيين^(١) والروية .

وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ الْبَهِيمَةِ بِالْعُلُوفَةِ ، وَلَذَّةُ السَّبْعِ بِلَطْعِ الدَّمِ . وَأَكَلَ اللَّحْمَ - مِنْ سُرُورِ الظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ ؛ وَمِنْ انْفِتَاحِ بَابِ الْعِلْمِ بَعْدَ إِذْمَانِ الْقَرَعِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ سُرُورِ السُّودِّ وَمِنْ عِزِّ الرِّيَاسَةِ ؟ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ حَالِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَمِنْ عِزِّهِمَا وَسَاطِعِ نَوْرِهِمَا . وَأَيْنَ تَقَعُ لَذَّةُ دَرْكِ الْحَوَاسِّ الَّتِي ٩٦ هِيَ مِلَاقَةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَمِلَاقَةُ الصَّوْتِ الْمُسْطَرِبِ وَاللَّوْنِ الْمَوْنِقِ ، وَالْمِلْمَسَةِ^(٢) اللَّيِّنَةِ - مِنَ السُّرُورِ بِتَفَاضِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَبِحَوَازِ التَّوْقِيعِ ، وَبِمَا يُوجِبُ الْخَاتَمَ مِنَ الطَّاعَةِ وَيُلْزِمُ مِنَ الْحُجَّةِ ؟ !

وَلَوْ اسْتَوَتْ الْأُمُورُ بَطَلَ التَّمْيِيزُ ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ كَلْفَةٌ لَمْ تَكُنْ مَثُوبَةً ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِبَطْلِ ثَمَرَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْيَقِينِ بِأَنَّهُ الْوَزَرُ وَالْحَافِظُ ، وَالسَّكَالِيُّ وَالِدَافِعِ^(٣) ، وَأَنَّ الَّذِي يَحَاسِبُكَ أَجُودُ الْأَجُودِينَ ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَأَنَّهُ [الَّذِي] يَقْبَلُ الْيَسِيرَ وَيَهْبُ السَّكِينُ ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَشْتَبِيهِ الْغَرِيرُ وَالْجَاهِلُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ ، لِبَطْلِ النَّظَرِ وَمَا يَشْجُدُ عَلَيْهِ^(٤) ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَلِتَعَطَّلَ

(١) ط : « التبيين » .

(٢) ط : « واللبسة » .

(٣) ط : « والسكافي والرافع » .

(٤) الشجذ : السوق العنيف .

الأرواح من معانيها ، والعقول من ثمارها ، ولعَدِمَت الأشياءُ
حظوظها وحقوقها .

فَسُبْحَانَ من جعل منافعها نعمةً ، ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسّمها بين مُلِدٍّ ومؤْمٍ ، وبين مؤنسٍ ومُوحشٍ ، وبين صَغِيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبيرٍ ، وبين عدوٍّ يرصدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالِمٍ يَمْنَعُكَ ،
وبين مُعِينٍ يعضدُك ، وجعل في الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تتمُّ
النعمة ، وفي بطلانٍ واحدٍ منها بطلانُ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع ^(١) إنما هو واحدٌ ضُمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أبعاضٌ ، ولأنَّ كلَّ جُثَّةٍ فن أجزاء ، فإذا جَوَزَتْ رَفَعَ واحدٍ
والآخر مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظّه ونصيبه ، فقد جَوَزَتْ رَفَعَ
الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّل بأحقَّ من الثاني في الوقت ^(٢) الذي رجوت فيه
إبطالَ الأوّل ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمّنة والأسبابُ المقيّدة ^(٣) ؛ ألا ترى أنَّ
الجبَلَ ليس بأدَلَّ على الله تعالى من الحصاة ، وليس الطاووسُ المستحسنُ
بأدَلَّ على الله تعالى من الخنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإن اختلفا في جهة
البرودة والسُّخونة ، فإنَّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة .

وأظنُّكَ ممَّن يرى أنَّ الطاووسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المضمّنة » مكان « المضمّنة » ، و « المقيّدة » مكان « المقيّدة »
وهو تحريف .

التُّدْرُجُ^(١) أعزُّ على الله تعالى من الحِدَاةِ ، وأنَّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإِنَّمَا هذه أمورُ فرَّقها الله تعالى في عيون الناس ، وميَّزها في طبائع العباد ، فجعلَ بعضها بهم أقربَ شَبهاً ، وجعلَ بعضها إنسيّاً ، وجعلَ بعضها وحشيّاً ، وبعضها غاِظيّاً ، وبعضها قاتلاً . وكذلك الدُّرَّةُ وَالْحَرْزَةُ والتمرَّةُ^(٢) والجَمرةُ .

٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذْهَبْ إلى ما يريك العقلُ .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحِجَّةُ . وقد علمنا أنَّ خَزَنَةَ النَّارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خَزَنَةِ الجَنَّةِ ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدون ملك السَّحاب ، وإنَّ أُنانا بالغَيْثِ وجلب الحَيَاءِ^(٣) ؛ وجبريلُ الذي يَنْزِلُ بالعذاب ، ليس بدون ميكائيل الذي ينزل بالرحمة ؛ وإِنَّمَا الاختلاف في المطيع والعاصي ، وفي طبقات ذلك ومواقفه . والاختلاف بين أصحابنا أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَوَوْا في المعاصي اسْتَوَوْا في العقاب ، وَإِذَا اسْتَوَوْا في الطاعة اسْتَوَوْا في الثواب ، وَإِذَا اسْتَوَوْا في عدم الطاعة والمعصية اسْتَوَوْا في التفضل . هذا هو أَصلُ المقالة ، والقُطْبُ الذي تدورُ عليه الرُحى .

(١) للفريق أمين المعلوم بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل : « التمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياة » وهو تمصيف ما في ل . والحيا : الحصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زيد بن أسلم أن التين دمشق ، والزيتون فلسطين . وللغالية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه ^(١) وذكره . وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم . وما تعرف دمشق إلا بدمشق ، ولا فلسطين إلا بفلسطين . فإن كنت إنما تقف من ذكر التين على مقدار طعم يابس ورطبه ، وعلى الإكتنان بورقه وأغصانه ، والوقود بعيدانه ، وأنه نافع لصاحب السؤل ، وهو غذاء قوى ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمة ، وأنه ليس شيء حلو إلا وهو ضار بالأسنان غيره ، وأنه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ، وبورقها ستر السوء عند نزول العقوبة ، وأن صاحب البواسير يأكله ليزلق عنه الثفل ، ويسهل عليه مخرج الزبل ^(٢) ، وتقف من الزيتون على زيتيه والاصطباح به ، وعلى التأدم بهما والوقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما - فقد أسأت ظناً بالقرآن ، وجهلت فضل التأويل . وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل ، وأقسم بهما ونوه بذكرهما .

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر ، وتأملت تأمل متفكر بعد

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثفل » موضع « الثفل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما في ل .

أَنْ تَكُونَ ثَاقِبَ النَّظَرِ سَلِيمَ الْآلَةِ ، غَوَّاصاً عَلَى الْمَعَانِي ، لَا يَعْتَرِيكَ مِنَ الْخَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ صِحَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنَ الشَّوَاغِلِ إِلَّا مَا زَادَ فِي نَشَاطِكَ ، لَمَلَأْتَ مِمَّا تُوجِدُكَ الْعِبْرَةُ مِنْ غَرَائِبِ الطَّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالْجُلُودِ الْوَاسِعَةِ السَّكْبَارِ ، وَلَرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَعَاجِيبِ ، وَمِنْ تَقْلُبِهِ فِي طَبَقَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَلَرَأَيْتَ لَهُ مِنَ الْغُزْرِ وَالرَّيْعِ ، وَمِنْ الْحَلَبِ وَالذَّرِّ وَاتَّبَعْتَ عَلَيْكَ ^(١) مِنْ كَوَامِرِ الْمَعَانِي وَدَفَائِنِهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الْحُكْمِ وَبَيِّنَاتِ الْعِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعَجُّبُكَ تَمَّ وَقَفَ عَلَى مَا فِي الذِّيكِ مِنَ الْخِصَالِ الْعَجِيبَةِ ، وَفِي السَّكَلِ مِنَ الْأَمْوَرِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ الْمَنَافِعِ ، وَفَنُونَ الْمَرَافِقِ ؛ وَمَا فِيهِمَا ^(٢) مِنَ الْمَحَنِّ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أُوْدِعَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، الَّتِي مَتَى تَجَانَّتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَبِيرُ مَا تَسْتَعْظَمُ ، وَقُلْ فِي عَيْنِكَ كَثِيرٌ مَا تَسْتَكْثِرُ . كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ شَيْئاً وَإِنْ حَسُنَ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

(كَلِمَاتُ اللَّهِ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ والكلماتُ في هذا الموضع ، ليس يُريدُ بها القولَ والكلامَ المؤلَّفَ من الحروف ، وإنما يريدُ النِّعَمَ والأعاجيبَ ، والصفاتَ ^(٣) وما أشبه ذلك ، فَإِنَّ كَلَاماً مِنْ هَذِهِ الْفَنُونِ

(١) ط : « ولا ينبغي » .

(٢) ط : « فيها » .

(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشيء .

لو وقف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفكر تامُّ الأداة ، لما برح أن تحسره ^(١) المعاني وتغمره الحكَم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجلَّةُ العُظماءُ في التمثيل بين الملائكة والمؤمنين ، وفي فرق ما بين الجن والإنس . وطباعُ الجن أبعدُ من طباعِ الإنسان ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباعِ الكلب . وإِنَّمَا ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويَحْتَمِلُ إلى أنكَ لو [كنت] سمعتَهما يمثلان ما بين الشَّدرِج والطاؤس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بين خصالِ الذرَّة والحامة ، والفيل والبعير ، والشَّعَلِ والذئب أعجب . ولسنا نغنى أنَّ للذرة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريفه ^(٢) ، ولا أنَّ لها غناء الفرس في الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ اسكنَّا إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس ، والحسُّ اللطيف من الشيء السخيف ^(٣) ، والنَّظَرُ في العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنسان والجنِّ والملائكة ، لم ^(٤) نذهب إلى ضيخم البدن وعِظَمِ الحجم ، ولا إلى المنظر الحسن ولا إلى كثرة الثمن . وفي القرد أعاجيبُ وفي الدُّبُّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفُقيٍّ إلَّا بقدرِ ما تتكسَّب به [أصحاب ^(٥)] القردة ، وإِنَّمَا قصدنا إلى شديين يَشيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ تَمَّا يستخرج العلماء من خفيِّ أمرهما . ولو جمعنا بين الديك وبين بعض

(١) ط : « تحسره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعاني » . وأثبت ما في ل . يقال : حشر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب مبرج : أى مخطط في التواء . . وفي ل : « تقاريحه » . وانظر ه : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف في الشيء السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) في الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القول قبل أن يبلغ حدَّ الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعضَ مدعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوط قدرِ السكلب ونذالته ، وبَلَه الدَّيْكَ وغبأوته ، وأنَّ السكلبَ لا بهيمةٌ ٩٩ تامَّة ولا سبعٌ تامٌ ، وما كان ليخرجه من شيءٍ من حدود السكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعضُ الشبه من شيء ولا يكون ذلك مُخرِجاً لهما من أحكاميهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبَّه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحية وبالنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذمُّوا قالوا : هو السكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجعل ، وهو القرنبي ، ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم ، ولا يُخرجون بذلك ^(١) الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسَمَّوا الجارية غزالا ، وسَمَّوها أيضاً خشفاً ، ومُهَرَّةً ، وفاخِةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَّعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والحمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسَمَّوها بالقوس والسَّنبلة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني ^(٢) :

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلي ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته في البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية في المفضليات : « لصحوت » وقبلة :

فَصَحَوْتُ وَالنَّمْرُ يُحَسِّبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ^(١)
وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نِعْمَتِ الْعَمَّةِ لَكُمْ
النَّخْلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] » . وهذا الكلام صحيحٌ المعنى ، لا يعيبه
إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مجاز الكلام . وليس هذا ممَّا يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقْيِسَهُ ،
وَلَمَّا نَقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمُ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَنْتَهِي إِلَى
حَيْثُ انْتَهَوْا .

وَنَرَاهُمْ يَسْمُونُ الرَّجُلَ جَمَلًا وَلَا يَسْمُونَهُ بَعِيرًا ، وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَاقَةً ؛
وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ ثَوْرًا وَلَا يَسْمُونُ الْمَرْأَةَ بَقْرَةً ، وَيَسْمُونُ الرَّجُلَ حَمَارًا وَلَا يَسْمُونُ
الْمَرْأَةَ أَتَانًا ؛ وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ نَعِجَةً وَلَا يَسْمُونَهَا شَاةً . وَهُمْ لَا يَضْعَوْنَ نَعِجَةً اسْمًا
مَقْطُوعًا ، وَلَا يَجْعَلُونَ [ذَلِكَ ^(٢)] عِلَامَةً مِثْلَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَيَسْمُونُ الْمَرْأَةَ عَنَزًا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا
مِنْ أَجْلِهِ ^(٣) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ . إِنَّمَا سَمَّوْهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا
وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالٍ مَّا فِى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدْنَا لَهُ الْخَوَاصَّ الْخَمْسَ
وَوَجَدُوا فِيهِ الْخَمْسَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَوَجَدُوهُ يَأْكُلُ اللَّحْمَ وَالْحَبَّ ، وَيَجْمَعُ

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
وسماع مدجنة تعلمنا حتى ننام تناوم العجم

(١) صوابه « لصحوت » كما فى المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) فى الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بين ما تقتاته البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد ،
وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، وجبن الصَّفْرِد ، وجمع الدَّرَّة ، وصنعة ١٠٠
السُّرْفَة (١) وجود الديك ، وإلف الكلب ، واهتداء الحمام . وربما وجدوا
فيه ممَّا في البهائم والسباع خُلُقَيْن (٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغ أن يكون جملاً
بأن يكون فيه اهتداؤه وغيرته ، وصولته وحِقْدُهُ ، وصبرُهُ على حَمْل الثَّقَل ،
ولا يلزم شبه الذئب بقدر ما يتَهَيَّأُ فيه من مثل غدره ومكره ، واسترواحه
وتوحُّشه ، وشدة نُكْرِهِ . كما أن الرجل يصيبُ الرأى الغامضَ المرَّةَ والمرتين
والثلاث ، ولا يبلغ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نكراء أو صاحبُ
بَزَلَاء (٣) ، وكما يخطئ الرجل فيفحشُ خطاؤه (٤) في المرَّةَ والمرتين والثلاث ،
فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبيٌّ وأبلهٌ ومنقوص .

وسمَّوه العالمَ الصغيرَ لأنهم وجدوه يصور كلَّ شيءٍ بيده ، ويحكى
كلَّ صوتٍ بِفَمِهِ (٥) . وقالوا : ولأنَّ أعضاءه مقسومةٌ على البروج
الاثنى عشر والنجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نِتاج النار ، وفيه السوداء
وهى من نِتاج الأرض ، وفيه الدَّم وهو من نِتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو
من نِتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة (٦) .

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه في ل . ويقال في المثل : « أصنع من سرفة » .

الدميرى : دويبة سوداء الرأس وساؤها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقائق
العبدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال النّاس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلّتين » وهو الأشبه
بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم :
الدهاء والفتنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشّدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما في ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعلوه العالم الصغير ، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاقه وطبائعه .
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد
 والوقف ^(١) وفيه طبائع الفطنة والغباوة ، والسلامة والمكر ^(٢) ، والنصيحة
 والغش ، والوفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحب والبغض ، والجِدُّ
 والهزل ، والبخل والجود ، والاقتصاد والسرف ، والتواضع والكبر ،
 والأنس والوحشة ، والفكرة ^(٣) والإمهال ، والتمييز والخبط ، والجن
 والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز ^(٤) ،
 والادّخار والتوكل ، والقناعة والحرص ، والرغبة والزهد ، والسخط
 والرضا ، والصبر والجزع ، والذكر والنسيان ، والخوف والرجاء ،
 والطمع واليأس ، والتنزه والطبع ، والشك واليقين ، والحياء والقحة ،
 والكتمان والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ،
 والطلب والهرب ، والحقد وسرعة الرضا ، والحدة وبُعْدُ الغضب ،
 والشُرور والهم ، واللذة والألم ^(٥) والتأمل والتمنى ، والإصرار والندم ،
 والجماح والبداوات ^(٦) ، والعى والبلاغة ، والنطق والحرص ، والتصميم
 والتوقف ^(٧) والتغافل والتفاطن ، والعفو والمكافأة ، والاستطاعة
 والطبيعة ^(٨) وما لا يحصى عدده ^(٩) ، ولا يُعرف حدّه .

(١) ط : « واتقى » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكفى » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عدّه » .

فالكلبُ سبعٌ وإن كانَ بالناسِ أنيساً ، ولا تخرِجُهُ الحَصَلَةُ والحَصَلَتَانِ ١٠١
 ممَّا قاربَ بعضَ طبائعِ الناسِ ، إلى أن يخرِجَهُ من الكَلْبِيَّةِ . قال : وكذلك
 الجميع . وقد عرِفَتْ شَبَهُه باطنُ الكلبِ ^(١) بباطنِ الإنسانِ ، وشَبَهُ ظاهِرِ
 القردِ بظاهرِ الإنسانِ : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميضِ عينِهِ ، وفي ضِحْكِهِ
 وفي حكايتِهِ ، وفي كَفِّهِ وأصابعِهِ ، وفي رَفْعِهَا ووضعِهَا ، وكيف يتناولُ بها ،
 وكيف يجهزُ اللُّقْمَةَ إلى فيه وكيف يكسِرُ الجَوَزَ ويستخرجُ لَبَّهُ ^(٢) وكيف
 يَلْقَنُ كلَّ ما أَخَذَ به ^(٣) وأُعِيدَ عليه ، وأنه من بينِ جميعِ الحيوانِ إذا سقط
 في الماءِ غرقَ مثلَ الإنسانِ ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفةِ فيه يغرقُ ، إلا ^(٤)
 أن يكتسبَ معرفةَ السباحةِ ، وإن كان طَبْعُهُ أوفى وأكملُ فهو من هاهنا
 أنقصُ وأكلُّ . وكلُّ شَيْءٍ فهو يسبَحُ من جميعِ الحيواناتِ ، ممَّا يوصفُ بالمعرفةِ
 والنِّطْنةِ ، وممَّا يوصَفُ بالغَاوَةِ والبَلَادَةِ ؛ وليس يصيرُ القردُ بذلكِ المقدارِ
 من المقارَبَةِ إلى أن يخرُجَ من بعضِ حدودِ القروُدِ إلى حدودِ الإنسانِ .

(عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيلِ بينِ الديك والكلبِ أنَّه حارسٌ
 محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناسِ فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبَدُّلُهُ .
 ولقد سألَ زيادُ ليلةً من الليالي : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بَلَجُ بْنُ زُشْبَةَ
 الجُشَمِيِّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يسعى عليهمُ ومحترسٍ من مثله وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .

(٣) ط : « يلقى كلمها أخذ به » وهو تحريف . وفي ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .

(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر ^(١) قال هذا الشعر في الفلاس النهشلي ^(٢) ، حين ولي شرطة الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلى على اللوم يا ابنة مالك وذمى زماناً ساد فيه الغلافسُ
وساع مع السلطان يسعى عليهم ومُحترس من مثله وهو حارسُ

وليس يُحكم لصغار المضار على كبارها ^(٣) بل الحكم للغامر على المغمور ^(٤) والقاهر على المقهور . ولو قد حكينا ما ذكر هذا الشيخ من خصال الكلب وذكر صاحبه من خصال الديك ، أيقنت أن العجلة من عمل الشيطان ، وأن العجب بئس صاحب .

وقلت : وما يبلغ من قدر الكلب ومن مقدار الديك ، أن يتفرغ لهما شيخان من جلة المعتزلة ، وهم أشراف ^(٥) أهل الحكمة ؛ فأى شيء بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدر جزء لا يتجزأ من رمل عالج ، والجزء الأقل من أول قطع الذرة للمكان السحيق ، والصحيفة التي لا عمق لها ، ولأى شيء يُعنون بذلك ، وما يبلغ من ثمنه وقدر حجمه ، حتى يتفرغ للجدال فيه الشيوخ الجلة ، والسكهل العلية ، وحتى يختاروا النظر فيه على التسييح والتهيل ، وقراءة القرآن وطول الانتصاب في الصلاة ؛ وحتى يزعم أهله

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار

١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقي ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة المخزومي أخى عمر بن أبي ربيعة . . وخرج الفلاس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للغامر على المغمور » وما أثبتته من ط أشبه .

(٥) ل : « أشراف » .

أنَّه فوقَ الحجِّ والجهادِ ، وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهادٍ^(١) . فإنَّ زعمتَ أنَّ ذلكَ كلَّه
سواءٌ ، طالبتَ الخُصومةَ معَكَ ، وشغلَّتنا [بهما] عَمَّا هو أولىٰ بنا فيكَ . على
أنَّكَ إذا عَمَمْتَ ذلكَ كلَّه بالذِّمِّ ، وجلَّلتَه بالعيبِ ، صارتَ المصيبةُ فيكَ
أجلَّ ، والعزاءُ عنها أَعسرَ . وإنَّ زعمتَ أنَّ ذلكَ إنَّمَا جازَ لأنَّهم لم يذهبوا
إلى أثمانِ الأعيانِ في الأسواقِ ، وإلى عظمِ الحِجَمِ ، وإلى ما يروقُ العينَ
ويلائمُ النفسَ ، وأنَّهم إنَّمَا ذهبوا إلى عاقبةِ الأمرِ فيه ، وإلى نتيجتِهِ ،
وما يتولَّدُ عنه من علمِ النِّهاياتِ ، ومن بابِ الكلِّ والبعضِ ، وكانَ ويكونَ ،
ومن بابِ ما يحيطُ به العلمُ أو ما يفضلُ عنه ، ومن فرقٍ [ما^(٢)] بينِ مذاهبِ
الدُّهريةِ ومذاهبِ الموحِّدينَ . فإنَّ كانَ هذا العذرُ مقبُولاً ، وهذا الحِكمُ
صحيحاً ، فكذلكَ نقولُ^(٣) في السِّكابِ ، لأنَّ السِّكابَ ليسَ له خطرٌ ثمينٌ
ولا قَدْرٌ في الصِّدرِ جليلٌ ؛ لأنَّه إنَّ كانَ كالبِ صيدَ فديتِهِ أربعونَ درهماً ،
وإنَّ كانَ كلبَ ضَرعٍ فديتُهُ شاةٌ ، وإنَّ كانَ كلبَ دارٍ فديتُهُ زنبيلٌ من
ترابٍ ، حَقٌّ على القاتلِ أنْ يُؤدِّيَه ، وحَقٌّ على صاحبِ الدارِ أنْ يقبلَه ،
فهذا مقدارُ ظاهرِ حاله [ومُفتَّشِه] . وكوأمينُ خِصاله ، ودَفْأُنُ الحِكمةِ فيه .
والبرهاناتُ على عَجيبِ تدبيرِ الربِّ تعالى ذكرُهُ فيه ، على خلافِ ذلكِ ؛
فلذلكَ استجازوا النَّظَرَ في شأنه ، والتمثيلَ بينَه وبينِ نظيره .

وتعلمُ أيضاً معَ ذلكَ أنَّ السِّكابَ إذا كانَ فيه ، معَ خُموله وسقوطِهِ ،
من عَجيبِ التدبيرِ والنِّعمةِ السَّابعةِ والحِكمةِ البالغةِ ، مثلُ هذا الإنسانِ

(١) ل : « كل أثره وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحتق بأن يفكر فيه ،
ويحمد الله تعالى على ما أودعه من الحكمة العجيبة ، والنعمة السابعة .
وقلت : ولو كان بدل النظر فيهما النظر في التوحيد ، وفي نفي
التشبيه ، وفي الوعد والوعيد ، وفي التعديل والتجوير ، وفي تصحيح الأخبار ،
والتفضيل بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوب .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجب أنك عمدت إلى رجال لا صناعة لهم ولا تجارة إلا الدعاء إلى
ما ذكرت ، والاحتجاج لما^(١) وصفت ، وإلا وضع الكتب فيه والولاية
والعداوة فيه ، ولا لهم لذة ولا هم ولا مذهب ولا مجاز إلا عليه وإليه ؛
١٠٣ فحين أرادوا أن يقسّطوا بين الجميع بالحِصص ، ويعدّلوا بين الكل بإعطاء
كل شيء نصيبه ، حتى يقع التعديل شاملاً ، والتقسيط جامعاً ، ويظهر
بذلك الخفي من الحكم ، والمستور من التدبير ، اعترضت بالتعنت
والتعجب ، وسطرت الكلام ، وأطلت الخطب ، من غير أن يكون
صوب رأيك أديب ، وشايحك حكيم .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبت أغاظ منه ، وتعرّضت لأشد منه
ولسكننا نستأني بك وننتظر أوبتتك . وجدنا لجميع أهل النقص ، ولأهل
كل صنف منهم نسكاً يعتمدون عليه في الجمال ، ويحتسبون به في الطاعة
وطلب المثوبة ، ويفزعون إليه ، على قدر فساد الطباع ، وضعف الأصل ،

(١) في الأصل : « بما » .

واضطراب الفرع ، مع خبث المنشأ ، وقلة الثبوت والتوقف ، ومع كثرة الثقل والإقدام مع أول خاطر : فُنسك المريب المرتاب من المتكلمين أن يتحلّى برمي الناس بالرّيبة ، ويزيّن بإضافة ما يجد في نفسه إلى خصمه ، خوفاً من أن يكون قد فطن له ، فهو يسرُّ ذلك الداء برمي الناس به .

ونُسك الخارجى الذى يتحلّى به ويزيّن بجماله ، إظهار استعظام المعاصى ، ثم لا يلتفت إلى مجاوزة المقدار وإلى ظلم العباد ، ولا يقف على أن الله تعالى لا يحبُّ أن يظلم أظلم الظالمين ، وأنَّ في الحقِّ ما وسع الجميع .

ونُسك الحراسانى أن يُحجَّ وينام على قفاه ، ويعقد^(١) الرّياسة ، ويتهيأ للشّهادة ، ويبسط لسانه بالحسبة . وقد قالوا : إذا نسك الشّريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر . وتفسيره قريب واضح .

ونُسك البنوى^(٢) والجنديّ طرح الديوان ، والزّراية على السّلطان^(٣) . ونسك دهاقين السّواد ترك شرب المطبوخ^(٤) . ونُسك الخصى لزوم طرسوس وإظهار مجاهدة الروم . ونُسك الرافضى ترك النيذ . ونسك البستانى ترك سرقة الثمر . ونُسك المغنى الصّلاة في الجماعة وكثرة التسبيح ، والصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودىّ التشدّد في السّبت وإقامته .

والصوفىّ المظهر للنسك من المسلمين ، إذا كان فضلاً يبغيض العمل

(١) ط : « يفقد » وليس بشيء .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسّلطان » ل : « والزيارة على السّلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من المنصف » . وفي مادة نصف « وكظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصرانيُّ فسلًا ندلاً مبغضاً للعمل ، ترهب ولبس الصوف ؛ لأنه واثق أنه متى لبس وتزياً بذلك الزى وتحلّى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السّما ، أنه قد وجبَ على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفّوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلم المريب أهل البراءة ، ظنَّ أنه قد حوّل ربيته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمانة ، ووقفَ على النهاية . فاحذر أن تكونَ منهم واعلم أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعتهم في هذا المذهب .

باب

نما قدّمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجزأ من الليث ، وأجبن من الصّفرّد ، وأسخى من لافضة ، وأصبر على الهون^(٢) من كلب ، وأحذر من عقّعت ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرقة^(٣) وأظلم من حيّة ، وأغدر من الذئب ، وأخبث من ذئب خمر^(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحقُّ من حُبّارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذب من فاختة ، وأأم من كلب على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمير » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماوارك من شجر وغيره .

وَأَجْمَعُ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَأُضِلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِي ^(١) ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنَ الظَّلِيمِ ، وَأُضِلُّ مِنْ وَرَلٍ ^(٢) وَأُضِلُّ مِنْ ضَبٍّ ، وَأُضِلُّ مِنَ الْحَيَّةِ .

فيعبرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسان والإساءة ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ مِنَ الْمَلُومِينَ وَالْمَشْكُورِينَ ، ثُمَّ يَعْبُرُونَ بِهَذَا الْبَابِ الْآخَرَ بِدُونِ هَذَا التَّعْبِيرِ ، وَيَجْعَلُونَ خَبَرَهُمْ ^(٣) مَقْصُوراً عَلَى مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْغَرِيزَةِ وَالْقُوَى فيقولون : أَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ ، وَأَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ ، وَأَطُولُ ذِمَاءً مِنْ ضَبٍّ ، وَأَصْحُ مِنَ الظَّالِمِ .

والثَّانِي يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْحَمْدِ وَالذَّمِّ ، وَالْأَوَّلُ يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ اللَّائِمَةِ وَالشُّكْرِ ^(٤) . وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ ، لِأَنَّ كُلَّ مَشْكُورٍ مَحْمُودٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَحْمُودٍ مَشْكُوراً ؛ وَكُلُّ مَلُومٍ مَذْمُومٍ وَلَيْسَ كُلُّ مَذْمُومٍ مَلُوماً . وَقَدْ يَحْمَدُونَ الْبَلَدَةَ وَيَذْمُونَ الْآخَرَى ، وَكَذَلِكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الْيَوْمِ وَلَا عَلَى جِهَةِ الشُّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْأَجْرَ ^(٥) لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى جِهَةِ التَّخِيرِ وَالتَّكْلُفِ ، وَإِلَّا عَلَى مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْإِسْطَاعَةِ ^(٦) وَالْأَوَّلُ إِنَّمَا يُنَالُ بِالْخَلِيقَةِ وَبِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ أَنْ يُسَمَّى عَقْلاً ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ قُوَّةٍ تُسَمَّى إِسْطَاعَةً . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب ما في ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه ما في ل .

(٥) ط : « الآخر » وهو تصحييف .

(٦) ط : « ما لا يقال التَّعْنِي بِالْإِسْطَاعَةِ » وهي عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها^(١) ومثالبها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرها ، وغدرها وبذائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، ونتنها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهى عن اتخاذها وإمسакها ، ومن الأمر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياتها وقلة ردّها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها ونذاتها ، وقبحها وقبح معاضلتها^(٤) ومن سماجة نباحها وكثرة أذاها ، وتقدر المسلمين من دنوها^(٥) [وأنها تأكل لحوم الناس] ، وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق : كالبعل في الدواب كالراعي في الحمام^(٦) ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيّة ولا جنيّة ، وأنها من الجن^(٧) دون الجن ، وأنها مطايا الجن ونوع من المسخ ، وأنها تنبش القبور وتأكل الموتى ، وأنها يعتريها الكلب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكمنا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها ، وصنف منائنها ، وأخذنا من ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إياها^(٨)

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معايب بمعنى العيب ، فيأوه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثالي معيشة ومعاش .

(٢) ط : « وخيبتها » والكلب يوصف بالجن .

(٣) الرد : النفع . ماعدال : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والراعي من الحمام » وهو تصحيف نبت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط : « وتفدية الرجال إياها » وهو تحريف .

واستبصارهم بها ، وذكر كسبها وحراستها ، ووفائها وإفهامها وجميع منافعها ، والمرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والفطن العجيبة والحسن اللطيف (١) والأدب المحمود . وذلك سوى صدق الاسترواح وجودة الشم ، وذكر حفظها ونفاذها واهتمامها ، وإثباتها لصور أربابها وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحق الكرام ، وإهانتها للثام ، وذكر صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدة منعها معاقدة الذمار منها (٢) ، وذكر يقطتها وقلة غفلتها (٣) وبُعْد أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قبولها وإلقاحها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأخوالها ، وترددها في أصناف السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لقنها وحكايتها ، وجودة ثقافتها ومهنتها (٤) وخدمتها ، وجددها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة والأحاديث المأثورة ، وبالكُتُب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب الفأل فيها ، وبإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها (٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسمياتها وشياتها ، وعن دوائها وأدوائها

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منبها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلال والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنتها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتي لا تلقن منها^(١) وعن أعراقها والخارجي منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للحوم الناس فقال :
قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بحَوْلِهِ وقوّته أخزى ابنَ عَمْرَةَ ما لكا
فَنُ كَانَ عَنْهُ بِالْمَغِيبِ سائِلًا فقد صارَ في أرض الرُّصافةِ هالكا ١٠٦
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنْشُنُهُ إذا اجْتَبَنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حالكا^(٤)

وقال نَفِيعُ بن صفَّارِ المحاربي^(٥) من ولد مُحاربِ بن خُصَفة^(٦)
في حربِ قيسٍ وتغلب :

أَفْنَتَ بَنَى جُشَمِ بن بكرٍ حَرِينَا حَتَّى تَعَادَلَ مَيْلُ تَغْلِبِ فَاسْتَوَى
أَكَلَ الكلابُ أَنْوَفَهُمْ وَخُصَاهُمْ فَلَتَبَكَ تَغْلِبُ لِلْأَنْوَفِ وَلِلْخُصَى
وقال أبو يعقوب الخُزَيْمِيُّ ، وهو إِسْحاقُ بن حَسَّانَ بن قوهي^(٧) في
قتلى حربِ بَغْدَاد :

-
- (١) ط : « لا تلقى منها » وهو تحريف .
(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل « العريق » كما في البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .
(٣) ط : « سبرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلحا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقته الحجاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفي سنة ١٢٠ كما في تقريب التهذيب ص ٢٨ .
(٤) ل : « ينشئه » مكان « ينشئه » ط : « إذا اجتن مستورا » .
(٥) ط : « نفع بن الصفار المحاربي » وأثبت ما في ل .
(٦) ط : « خصفة » والصواب « خصفة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمة » وهو إسحاق بن حسان بن موسى « والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآ له فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعمان بن خريم =

وهل رأيتَ الفتيانَ في باحةِ المعركِ مَعْفُورَةً مَنَاحِرُهَا (١)
كلّ فتى مانعٍ حقيقته يشقى به في الوغى مَسَاعِرُهَا
باتت عليه الكلابُ تنهشه مخضوبةً من دمٍ أَظَاغِرُهَا
وقال أبو الشمقمق (وهو مروان بن محمد ، مولى مروان بن محمد ،
ويكنى أبا محمد) (٢) :

يوسفُ الشاعرُ فرخٌ وجَدُّوه بالأبْلَه
حَلَقِيٌّ قَدْ تُلَقَّى كامنًا في جوفِ جُلَّة (٣)
خيَطُوها خشيّةَ الكلبِ عليه بِمِسْلَه

وذكر لي عن أبي بكر الهذلي ، قال : كنّا عند الحسن إذ أقبل وكيع
ابن أبي سود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقول في دم البراغيث يُصيب
الثوب : أبيض فيهِ ؟ فقال : يا عجباً مَن يَلِغُ في دمائِ المسلمين كأنّه كلبٌ ،
ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلّج في مشيته كتخلّج المجنون ،
فقال الحسن : إنّ لله في كلّ عضوٍ منه نعمةٌ فيستعين بها على المعصية ، اللهم
لا تجعلنا مَن يتقوّى بنعمتك على معصيتك !!

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم » ، ثم قال : « وله مدائح في محمد بن منصور
ابن زياد ويعني بن خالد وغيرها . هـ . السجستاني : الخرمي أشعر المولدين » .
وانظر لخرم الناعم قاموس الزركلي ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميداني ٢ : ٢٨١ . والنصيبة في
تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٦ - ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » - ولعلها « ساحة » - موضع « باحة » .

(٢) ترجمته في تاريخ بغداد ٧١٢٨ وابن خلكان ، في تضاعيف ترجمة يزيد
ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبي نواس ، ودخل
بغداد في أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلق يلقى » . وانظر شفاء الغليل للخفاجي في تفسير الحلق . والبلق لعله
منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحق ، و« كامنًا » هي في الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياء من الحيوان تُضاف إلى نتن الجلود وخبث الرائحة ، كريح أبدان الحيات ، وكنتن الثيوس وصنن عرقها ، وكنتن جلد الكاب إذا أصابه مطر . وضروب من النتن في سوى ذلك ، نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال روح بن زنباع الجذامي في امرأته ، وضرب بالكلب المثل :
ريح الكرائم معروف له أرج وريحها ريح كلب مسه مطر
قال : وكانت امرأة روح بن زنباع أم جعفر بنت التعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبد الملك زوجها إياها ، وقال : إنها جارية حسناء ، فاصبر على
بداء لسانها .

وقال الآخر :

وريح تجروب وريح جلّه وريح كلب في غداة طلة^(١)

وأشدد أبو زيد في ذلك :

كأن ريحهم من خبث طعمتهم وريح الكلاب إذا ما بلّها المطر^(٢)

ومما ذكر به الكلب في أكله العذرة ، قول الراجز :

* أحرص من كلب على عقي صبي^(٣) *

وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [في ذكره] لابنه السرتندي :

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقي » والصواب بالقاف كما في ل . والعقي بالكسر : ما يخرج من

بطن الولد حين يولد .

مَالِ السَّرْنَدَى أَطَالَ اللَّهُ أَيْمَتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بِقَفَرِ الْبَيْدِ وَأَدْلَجَا^(١)
 جَمَعَ خَبِيثٌ يُعَاطِي الْكَلْبَ طَعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَلَجَا^(٢)
 رَبَّيْتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَصْرُبُهُ
 وَالْكَلْبُ يَلْحَسُ مِنْ تَحْتِ اسْتِهِ الرَّدْجَا^(٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقي بكسر
 العين ، ويقال عقى الصبي يعقى عقياً ، فإذا شدد بطنه للسمن قيل قد ضرب
 ليسمن^(٤) . والعقي وهو العقية الغيبة ، وإيأه عني ابن عمر حين قيل له :
 هلاً بايعة أخاك ابن الزبير ؟ فقال : إن أخى وضع يده في عقية^(٥) ودعا
 إلى البيعة . إني لا أنزع يدي من جماعة وأضعها في فرقة^(٦) .

وفي الحديث المرفوع : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » . وهذا
 المثل في الكلب .

ويقال : « أبخل من كلب على جيفة » . وقال بعضهم في الكلب :
 الجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ، ويأكل العذرة ويرجع في قيئه ،
 ويشغرب ببوله فيصير في جوف فيه وأنفه ، ويحذفه تلقاء^(٧) خيشومه .

(١) ط : « يغرب البيد » .

(٢) ط : « ريع خبيث » وهو تحريف . والمجمع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكدر
 يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفي « أطعمه » وأثبت ما يقتضيه كلام الجاحظ الآتي .

(٤) في الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفي ط : « ضرب » مكان « قد ضرب »
 وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب في ل .

(٦) ط : « واضعا في فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تَسْتَسْقِطُونَ الْكَلْبَ^(١)
وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أُنْتِنُ من العذرة ، والعذرة شرٌّ من
القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العييط
الغريض الغضّ .

(مأكل السبع)

والأسد سيّد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع
الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة .
ويبدأ بعد شرب الدّم فيقْرِ بطنه ويأكل ما فيه من الغثينة والثفل^(٢)
والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(ما قيل في السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ في النجدة والبسالة ، وفي شِدَّة الإقدام^(٤)
١٠٨ والصَّولة ، فيقال : « ما هو إلّا الأسد على برائه » و « هو أشدُّ من الأسد »
و « هو أجراً من الليث العادى » و « فلان أسدُّ البلاد » و « هو الأسد
الأسود^(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطلب أسدُ الله . فكفأك من نُبُل الأسد
أنّه اشتقَّ لحمزة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للملك أصيّد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسفلون » وهو تصحيف .

(٢) ط : « القيئة » والثفل وهو تحريف مافى ل .

(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط : « وهو في شدة الإقدام » وكلمة « هو » متحمة .

(٥) ط : « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكبر وبقلّة الالتفات ، وبأن أنفه فيه أسلوب^(١) ولأنّ الأسد يلتفت معاً لأنّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم^(٢) :

هلاً إذا مطّر السماء عليكم^(٣) ورفعت رأسك مثل رأس الأصيل
وقال الآخر :

يذودون كلباً بالرياح وطيناً وتغلب والصيّد النواظر من بكر
وقال الآخر :

وكم لي بها من أبٍ أصيلٍ نَمَاهُ أبٌ ماجدٌ أصيلٌ^(٤)
وبعد فإنّ الذي يأكل الجيفة لم يبعد من طبع كثير من الناس ؛ لأنّ
من الناس من يشتهي اللحم الغائب ، ومنهم من يشتهي النَمَكُسُود^(٥) .
وليس بين النَمَكُسُود وبين المصلوب اليابس كبير فرق ، وإثما يذبحون
الديكة والبَطَّ والدجاج والدراج من أوّل الليل ، ليسترخي لحمها ،
وذلك أول التّجيف^(٦) .

فالأسد أجمع لهذه الخصال من الكلاب ، فهلاً ذكرتم بذلك الأسد
وهو أنبه ذكراً وأبعد صيتاً .

وأما ما ذكرتم من نَبَن الجلد ومن استنشاق البول ، فإنّ للتيس في
ذلك ما ليس للكلاب ، وقد شاركه في الحذف ببوله تلقاء أنفه ، وبأينه
بشدة الصّنان ؛ فإنّ الأمثال له أكثر ذكراً . وفي العز أيضاً عيوب .

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . في أسلوب » وسويت العبارة كما ترى .
والأسلوب : الشموخ في الأنف .

(٢) في الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائي ، والبيت من أبيات ستة لها خبير
في آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماءكم بها » ، وفي الديوان :

* ها إنما مطرت سماءكم دما *

(٤) ط : « نماه لمجد أب أصيل » .

(٥) انظر للنمكسود ماورد في تذكرة داود .

(٦) ماعدل والأمبروزيانا « التجيف » .

وفى توجيه التيس ببوله إلى حاقّ خيشومه قال الشاعر لبعض
من يهجوّه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسمّى فأسماك بالقحر^(١)
وما القَحْرُ إلّا التيسُ يَعْتِكَ بولُه عَلَيَه فيمضى فى لَبَانٍ وفى نحر^(٢)
وقال آخر فى مثل ذلك^(٣) :

أَعْمَانُ بْنُ حَيَّانَ بْنِ لَوْم عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبُولُ
ولو أُنّى أَشَافِهُه لَشَالَتْ نَعَامَتُه ويفهم ما يقول
وبعد فما يُعَلِّمُ من صنيع العز^(٤) فى لبنا وفى الارتضاع من خلفها
١٠٩ إلّا أَقْبَحَ .

وقال ابن أَحْمَرَ الباهلُ فى ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنَى مَهْمٍ وَجَاهِلِهِمْ كالعز تعطف روقها وترتضع^(٥)
وقلتم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السَلْمَى^(٦) بعضَ الكِرَامِ ، حينَ عُرِلَ عن
يَنْبُعَ ، فقال لمن ظنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا عُرِلَ لمكانه :
رَكِبُوكَ مُرْتَحَلًا فَظَهَرُوكَ مِنْهُمْ ذَبِيرُ الحِرَاقِفِ والفَقَارِ مُوقِعُ
كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُ خَانِقِيهِ وَيَنْتَحَى نحوَ الذين بهم يَعِزُّ وَيَمْنَعُ

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف ما فى ل ، والقحر أصل معناه البير المسن .

(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه
أى لم ينهه عنه شيء . . . وفى ل : « ويمضى فى اللبان وفى النحر » .

(٣) هو المزارر الفقعى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .

(٤) ل : « فاعلم صنيع » .

(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وحاملهم » وتصحيحه مما سياتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ ومنه يون
الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطع الإبل معه رعيانه وأربابه .

(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هرومة النهري :

فما عادت للذي يمن رءوسا ولا ضرت بفرقتها زاراً
كعنز السوء تنطح من خلاها وترأم من يحد لها الشفارا

وما نعلم الرجوع في الجرة ، وإعادة الفرث إلى الفم ليستقصى مضغه
إلا أسمع^(١) وأقدر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا لشيء من اللحمان أشد أكلاً
ولا أشد عجباً به منكم^(٢) ، ولا أصلح لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفتانها ومسائها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود الماشية في الجرة ، ورجوعها
في الفرث تطحنه وتسيغه ، الرجوع في القيء . وقد زعمتم أن جرة البعير
أنتن من قيء الكلاب لطول غبؤها^(٣) في الجوف ، وانقلابها إلى طباع
الزبل ، وأنها^(٤) أنتن من التلث . وإنما مثل الجرة مثل الرقيق الذي ذكره
ابن أحر فقال :

هذا الشاء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل^(٥)
فلئتما مثل القيء مثل العذرة ؛ لأن الرقيق الذي زعمتم ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف ما في ل .

(٢) وضعت كلمة (به) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريباً
وكما في ل .

(٤) في ط : « وأنه » وفي ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألدُّ من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسن موقعا من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايل موضعه ، ومتى زایل فمَ صاحبه إلى بعض جلده اشتدَّ نذنه وعادَ في سبيل القيء .

١١٠ فالريقُ والجِرَّةُ في سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القيءَ والعذرةَ في سبيلٍ واحد . ولو أن الكلبَ قلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينةٍ له ، لكان في ذلك أحقُّ بالنظافة من الأنعام في جرَّتِها ، وحشيتها وأهليتها ، وإنَّ الأرانِبَ لتَحِيضُ حِيضاً نَدِناً ، فما عاف لحمها أصحابُ التقديرِ ^(١) لمشاركتها الأنعامَ في الجِرَّةِ .

فقال صاحب الكلب : أمّا ما عبتُموه من أكلِ العذرةِ ، فإنَّ ذلك عامٌّ في الماشيةِ المتخيرةِ لحمها على اللُّحْنانِ ؛ لأنَّ الإبلَ والشيَّاه ^(٢) كلَّها جَلَّالَةٌ وهُنَّ على يابسٍ ما يخرج من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنَّها إذا تعودت أكلَ ما قد جفَّ ظاهره وداخله رطبٌ ، رَجَعَ أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعذرةِ ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ التي لم يَأْتِ عليها الاستمراءُ والهضمُ ، حتَّى تلتَمِسَ الديدانَ التي فيها ، فتجمع نوعين من العذرةِ ^(٣) لأنها إذا أكلت ديدانَ العذرةِ فقد أتتْ على النَّوعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَم ^(٤) في هجائه الأنصارَ بخبيث الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقرز » وهو الاشتزاز . والتقدير من تقذر الشيء : عده قذرا .

(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فغزله وأطرحه . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فَضْرَبَ الْمَثَلَ بِالِدَّجَاجِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ، وَتَرَكَ ذِكْرَ الْكِلَابِ وَهِيَ
لَهُ مُعْرِضَةٌ فَقَالَ :

وَلِلْأَنْصَارِ أَكَلُ فِي قُرَاهَا لِحَبِثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ (١)
وَلَوْ قَالَ :

وَلِلْأَنْصَارِ أَكَلُ فِي قُرَاهَا لِحَبِثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
لَكَانَ الشُّعْرُ صَحِيحاً مُرَضِياً .

وَعَلَى أَنَّ الْكِلَابَ مَتَى شَبِعَتْ ، لَمْ تَعْرِضْ لِلْعَذْرَةِ . وَالْأَنْعَامُ الْجَلَّالَةُ
وَكَذَلِكَ الْخَافِرُ ، قَدْ جَعَلَتْ ذَلِكَ كَالْحَمَضِ إِذَا كَانَتْ لَهَا خَلَّةٌ ، فَهِيَ مَرَّةً
تَتَغَذَّى بِهِ وَمَرَّةً تَتَحَمَّضُ . وَقَدْ جَاءَ فِي لُحُومِ الْجَلَّالَةِ مَا جَاءَ .

(رَغْبَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَشْرَافِ فِي الدَّجَاجِ)

وَمُلُوكُنَا وَأَهْلُ الْعَيْشِ مِنَّا ، لَا يَرْغَبُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ اللَّحْمَانِ رَغْبَتَهُمَا
فِي الدَّجَاجِ ، وَهَمَّ يَقْدُمُونَهَا عَلَى الْبَطِّ وَالنَّوَاهِضِ ، وَالْقَبَجِ وَالْدَّرَاجِ . نَعَمْ
وَعَلَى الْجِدَاءِ وَالْأَعْنَقِ الْحُمْرِ مِنْ بَنَاتِ الصَّفَايَا . وَهَمَّ يَعْرِفُونَ طَبْعَهَا وَسُوءَ
قُوَّتِهَا (٢) ، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ يَأْكُلُونَ الرِّوَاعِيَّ كَمَا يَأْكُلُونَ الْمُسَمَّنَاتِ .

(الشَّبُوطُ أَجُودُ السَّمَكِ)

وَأَطْيَبُ مَا فِي الْأَنْهَارِ مِنَ السَّمَكِ ، وَأَحْسَنُهَا قُدُوداً وَخَرَطاً ، وَأَسْبَطُهَا
سَبُوطاً (٣) ، وَأَرْفَعُهَا ثَمناً وَأَكْثَرُهَا تَصَرُّفاً فِي الْمَالِحِ وَالطَّرِيِّ ، وَفِي

(١) ل : « كَخَبِث » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) ط : « وَشَهْوَتَهَا » .

(٣) ل : « سَبَاطَةٌ » يُقَالُ سَبَطَ سَبَاطَةً وَسَبُوطَةً وَسَبُوطاً .

القريس والنشوط^(١) ، وليس في الماء سمكة رفيعة الذكر ولا ذات نحول ، إلا وهي أحرص على أكل العذرة منها ، وإنها [في ذلك]^(٢) لأشد طلباً لها من الخنزير في البر ، والجري في البحر .

(لحم الخنزير)

وقد علم الناس كيف استطابة أكل لحوم الخنازير ، وأكل^{١١٦} الخنازير لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقيصرة يقدمونها ويفضلونها . ولولا التعب لجري عندنا بجراه عند غيرنا .
وقد علم الناس كيف استطابة أكل الجري لأذناها^(٣) .

(ما قيل في الجري)

وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العُميان ، وجيد في السكوشان^(٤) ودواء للكليتين^(٥) ، وصالح لوجع الظهر وعجب الذنب ، وخلاف على اليهود ، وغيظ على الروافض ؛ وفي أكله إحياء لبعض السنن ، وإماتة بعض البدع ، ولم يُفلج عليه مُكثِر منه قط ، وهو حنة بين المتبدع

(١) في القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفي مبادئ اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهي في ط « القريش » وفي ل : « القريس » وهما كلمتان محرفتان . وأما النشوط فهي كلمة ساقطة من ط . والنشوط : سمك يعمر في ماء وملح .

(٢) التكلة من الأميروزيانا .

(٣) في ط : « لأذناها محشوا » وفي ل : « لأذناها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان مقحمتان فأسقطتهما . واللام في « لأذناها » بمعنى إلى .

(٤) السكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « في الكليتين » وهو تحريف .

والسُّنِّي ، هلك فيه فِتْنَتَانِ ^(١) مذ كانت الدنيا : محلُّ ومحرَّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلد ، ناقصُ الدماغ ، يلتهم العذرة ويأكل الجرذان ^(٢) [صحاحاً والفأر] ، وزهْمٌ لا يُسْتَطَاعُ أَكْلُهُ إِلَّا مُحْسِيًّا ^(٣) ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المسخ ، لا يطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرى كلُّه إِلَّا ذَنْبُهُ ^(٤) .

والأصناف التي تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجَلَالَاتِ من الأنعام والجِرَى والشَّبُوطِ من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاجُ والرنخمُ والهداهد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرنخمة لذلك ، أن سمّوها الأنوق ، حتى سمّوا كلَّ شيءٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدَرَّى وَاکْتَحَلَ بِحَارْتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَتَنَلْ

* رَزَقَ الْأَنْوَقَيْنِ الْقَرْنَبِيَّ وَالْجَلْعَل ^(٥) *

(١) ط : « فتيان » وليس بشيء .

(٢) ط : « يلتقم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما في ل . وانظر ماسياني في ٥ : ٤٥٢ و ٣٥٩ : ٦ ، وكتاب الطبخ للبغدادى ٦٤ حيث ذكر صفة المحسى . وفي سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنبه » .

(٥) في الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر في الجعل)

ولشدّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يَبِيتُ فِي مَجْلِسِ الْأَقْوَامِ يَرْبُوهُمْ كَأَنَّهُ شُرْطَى بَاتَ فِي حَرَسِ
وكذلك قال الآخر (١) :

إِذَا أَتَوْهُ بِطَعَامٍ وَأَكَلَ (٢) بَاتَ يَعْشَى وَحْدَهُ أَلْفَى جُعَلَ
هَذَا الْبَيْتُ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ مَقْدَارِ النَّجْوِ ، فَهَجَاهُ بِذَلِكَ ، وَعَلَى أَنَّ الْجُعَلَ
يَقْتَاتُ الْبَرَّازَ .

وفي مثل ذلك يقول ابن عبدل - إن كان قاله - وإنما قلت هذا
لأن الشعر يرتفع عنه .
والشعر قوله :

نِعْمَ جَارُ الْخَنْزِيرَةِ الْمَرْضِعُ الْغُرُ ثِي إِذَا مَا غَدَا أَبُو كَلْثُومِ (٣)
ثَاوِيًا قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقٍ مِنْ ثَرِيدٍ مَلْبَقٍ مَأْدُومِ (٤)
ثُمَّ أَنْحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّامِ سِرِّ فَأَلْقَى كَالْمُعْلَفِ الْمَهْدُومِ (٥)
بِضَرْبٍ تَرَى الْخَنَازِيرَ مِنْهُ عَامِدَاتٍ لَتَلَّهُ الْمَرْكُومِ

وقال الراجز [في مثل ذلك] :

قَدْ دَقَّهْ ثَارِدُهُ وَصَوْمَعَا (٦) مُثِمَّتَ أَلْبَانَ الْبَخَاقِي جَعَجَعَا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثي » ، وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجعره » وهو على الصواب في ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف ما في ل . في القاموس : ثريدة مصومعة : مدققة الرأس .

جَعَجَعَةُ الْعَوْدِ ابْتَغَى أَنْ يَنْجِعَا ^(١) ثَمَّتْ خَوَى بَارِكًا وَاسْتَرْجَعَا

* عَنْ جَاثِمٍ يُحْسَبُ كَلْبًا أَبْقَعَا ^(٢) *

وفى طلب الجعل للزبل قال الراجز (وهو أبو العُصْن الأسدى) :

ما ذا تَلَأَقَى طَلَحَاتُ الْحَرْجِ مِنْ كُلِّ ذَاتٍ يُخْنَقُ غَمَلُجِهِ ^(٣)

ظَلَّ لَهَا بَيْنَ الْحَلَالِ أَرْجَهُ ^(٤) مِنَ الضُّرَّاطِ وَالْفُسَاءِ السَّمِجِهِ ^(٥)

فَجِئْتُهَا قَاعِدَةً مَنْشِجِهِ ^(٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدَحْرَجِهِ

وقال يحيى الأغر : تقول العرب « سَدَّكَ بِهِ جُعَلُهُ » ^(٧) . وقال الشاعر :

إِذَا أَتَيْتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعَلٌ إِنَّ الشَّقَّ الَّذِي يُغَرِّى بِهِ الْجُعَلُ ^(٨)

يضرب هذا المثل للرجل إذا لصقَ به من يكره ، وإذا كان لا يزال يراه

[وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجعل لمن بات في الصحراء ، فكلما قام

لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرنى)

وفى القرنى يقول ابن مقبل :

(١) ط : « جمجمة العواء تبغى تنجما » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .

(٢) فى القاموس : « البقع محرقة فى الطير والكلاب كالبلق فى الدواب » وفيه :

« البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ط : « نخنق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقه تشنق بها الجارية .

(٤) ل : « بين الحجال »

(٥) ل : السهجة .

(٦) ل : « مفسحة » .

(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هى سدك - بمعنى لزم - كما فى ل . وفى الأمثال :

« ألصق من جعل » .

(٨) شب ، أى أتيح . وغنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرق الجاراتِ بالليل قابعاً قبوع القرنبي أخلفته مجاعره^(١)
والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرنبي : دويبة فوق الخنفساء ودون
الجعل ، وهو والجعل يتبعان الرجل إلى الغائط .

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطير الذى يضارع الرخمة فى ذلك الهدهد ، متن البدن وإن لم
تجدّه ملطخاً بشئ من العذرة ؛ لأنه يبنى بيته ويصنع أفحوصه من الزبل ،
وليس اقتيائه منه إلا على قدر رغبته وحاجته فى ألا يتخذ بيتاً ولا أفحوصاً
إلا منه ، فخامرّه [ذلك] الثنّ فعلق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه ؛ إذ كان
هذا الصنيع عامّاً فى جنسه^(٢) .

وتعترى هذه الشهوة الذبان ، حتّى إنّها لو رأت عسلاً وقذراً ، لكانت
إلى القذر أسرع . وقال الشاعر^(٣) :

قفّاً خلف وجهه قد أطيل كأنه قفامالك يقصى الهموم على بثق^(٤)
وأعظم زهواً من ذباب على خيراً^(٥) وأبخل من كلب عقور على عرق^(٦)
ويزعمون أنّ الزنبور لهج بصيد الذبان ، ولا يكاد يصيده^(٧) إلا وهو

(١) ط وأمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . « محاجره » وأثبت ما فى ل .

(٢) ط : « إذ كان هذا التضعيع عامّاً فى جنبه » وهو تحريف ما فى ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانى كما سيأتى وكما فى البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار

١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠ . والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى .

(٤) البثق : منبعث الماء . ماعدال : « ثبق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه . فإذا أكل لحمه فمراق - كمراب - أو
كلاهما لكليهما .

(٧) ط : « يصيد » والوجه ما فى ل .

ساقط على عذرة لفرط شهوته لها [ولا ستفراغها] ، فيعرف الزنهور ذلك ، ١١٣
 فيجعل غفلته فرصة ونهضة . قالوا : وإنما قلنا ذلك لأننا لم نجد يوم صيده
 وهو ساقط على ثمرة ، فما دونها في الخلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشَّعْمَق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمْ الْأَحْمَقُ رَأْسُ الْأَنْتَانِ وَالْقَذِيرَ
 وَابْنُ عَمِّ الْحَمَارِ فِي صُورَةِ الْفِيلِ — لِي وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقَرِ
 يَمْشِي رُويْدًا يَرِيدُ خَلْقَتَكُمْ كَمْشَى خِنْزِيرَةٍ إِلَى عَذْرِهِ (١)
 وَقَالَ حَمَادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْعَقِيلِ :

مَا صَوَّرَ اللَّهُ شِبْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صَوْرًا
 أَشْبَهَ بِالْخِنْزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا (٢)
 وَلَا رَأْيًا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا (٣)
 لَوْ طُلِيتْ جِلْدَتُهُ عَنَبْرًا لَنَدَنَّتْ جِلْدَتُهُ الْعَنَبْرًا (٤)
 أَوْ طُلِيتْ مِسْكًَا ذَكِيًّا إِذَنْ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا
 وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ :

إِذَا مَا مَدَحْتُ فَنِيَّ مِنْ خِرَا أَلَيْسَ جَزَائِي أَنْ أُعْطِيَ الْخِرَا (٥)

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلُمُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كَانَ مُتَنِّ الْعَرَقِ :

(١) ط : « يريد خلقتكم مثي » والوجه ما في ل .

(٢) المكسر - كنزل - : الأصل والخبر .

(٣) اللطفس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتمهد نفسه . وطفس كقذر وزنا ومعنى .

(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفدت » .

(٥) ط : « من خري » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارِضِي تَأَلَّقَا ^(١) وَرَعَدَتْ حَافَتَهُ وَبَرَقَا
أَهْلَكَتُ جُلْمُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَانَ لِحَمَقَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبِثْ شَيْءٌ عَرَقَا وَخِرَقَا ^(٢) *

وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَارٍ :

يَا ابْنَ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فَمَثُلُ الْكَلْبِ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ ^(٣)
بَلْ لَعَمْرِي لَا أَنْتَ شَرٌّ مِنَ السَّكَابِ وَأُولَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَلِرِيحِ الْخِنْزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا ابْنَ الطَّيَّانِ ذِي التَّبَّانِ
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ :

غَزَا ابْنَ مُعْمِرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ ثَنَاءً كَرِيحِ الْجَوْرِبِ الْمُتَخَرِّقِ ١١٤

وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَارٍ ^(٤) :

قُلْ لَشَقِيٍّ الْجَدُّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَغْرِ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ ^(٥)
لِلْقِرْدِ بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَخْفِلْ بِرِغْمِ الْقِرْدِ أَوْ تَعْسِهِ ^(٦)
لِلْقِرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارُ بِهِ فَمَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ ^(٧)
يَا ابْنَ اسْتِهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَعْمَةٍ بَنَاهِ يَا قِرْدُ أَوْ ضِرْسِهِ
نَهَارُهُ أَخْبِثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبِثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط : « إِذَا عَارِضِي تَأَلَّقَا » .

(٢) ط : « أَحْرَقَا وَعَرَقَا » .

(٣) في ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . والشعر من الخفيف لحقه التثنية في البيت الأول والثالث . وانظر الأغاني ٣ : ٢١ .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنخيص ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . » في رمسه وأمه الشلافة الرجسة « وهو تحريف .

(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نخسه » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « مَالِ الَّذِي أَدْنَاكَ » .

وليس بالمقلع عن غيِّه (١) حتى يُدلى القردُ في رمسه
 ما خلقَ الله شبيهاً له من جنِّه طراً ومن إنسه
 والله ما الخنزيرُ في نَنِّه من رُبْعِه بالعُشرِ أو خُمُسِه
 بل ريحُه أطيبُ من ريحِه ومُسّه ألينُ من مسّه
 ووجهُه أحسنُ من وجهِه ونفسُه أنبلُ من نفسِه
 وعودُه أكرمُ من عودِه (٢) وجنسُه أكرمُ من جنسِه

وأنا حفظك الله تعالى أستظرف وضعه الخنزيرَ بهذا المكان وفي هذا
 الموضع ، حين يقول : وعودُه أكرمُ من عودِه .

وأيُّ عودٍ للخنزير (٣) ؟ ! قَبَّحه الله تعالى ، [وقبح من يشبهه أكله] .
 وقال حمادُ عجرد في بشارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رؤياً فأولَّها (٤)
 رأى العمى نعمةً لله سابعة
 وقال : لو لم أكنُ أعمى لكنتُ كما
 أكدُّ نفسي بالتطمين مجتهداً
 أو كنتُ إن أنا لم أفنع بفعلِ أبي
 كما خوت دائباً أشقى شقاءهم
 فقد كفاني العمى من كلِّ مكسبةٍ
 بلا مشورةٍ لإنسانٍ ولا أثرٍ
 عليه ، إذ كان مكفوفاً عن النظرِ
 قد كان بُردٌ أبا في الضيقِ والعُسْرِ
 إمّا أجيراً وإمّا غيرَ مؤتجرٍ
 قصَّابَ شاءَ شقَّ الجدِّ أو بقَرٍ
 في الحرِّ والبردِ والإدلاجِ والبُكرِ
 والرزقُ يأتي بأسبابٍ من القدرِ (٥)

(١) كذا في معاهد التنصيص . وفي ط : « غيله » ول : « فعله » .

(٢) ط : « أحسن » وارتضيت ماق ل ومعاهد التنصيص .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم . ووضع الكلام بهذه
 الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، سعتدا ماق ل .

(٤) ل : « فقال بها » .

(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

- ١١٥ فصرتُ ذَانَشَبٍ من غير ما طلب
إِلَّا بِمَسْأَلَتِي إِذْ كُنْتَ فِي صِغَرِي ^(١)
- أَضْمُ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ فَأَذْخَرَهُ ^(٢)
مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ زَمِينًا
- فَقُلْ لَهُ لَا هَدَاهُ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
فَإِنَّهَا عُرَّةٌ تُرْبِي عَلَى الْعُرَرِ ^(٣)
- لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ
يَا ابْنَ الْتِي نَشَرْتَ عَنْ شَيْخٍ صَبِيئَتَهَا
- أَمَّا يَكْفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ ^(٤)
- نَفَثَكَ عَنْهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَا يَرْثِيهَا إِلَّا نَوْبَانِ ذِي الْهَامَاتِ وَالْعُجَرِ ^(٥)
- يَا بَدْعُهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ ^(٦)
- يَا بَدْعُهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ ^(٧)
- يَا بَدْعُهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ ^(٨)
- يَا بَدْعُهَا عَقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
مَا فِي حِرَامِكَ مِنْ نَتْنٍ وَمِنْ دَفَرٍ ^(٩)
- وَوَصَفَ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ حُشًا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :
- وَلِي كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللَّهِ يَطْرُقُنِي أَرْوَاحُ وَادِي خَبَالٍ غَيْرِ فَتَّارٍ ^(٩)

(١) ط : « إِلَّا بِمَسْأَلَتِي إِنْ كُنْتُ فِي صَفَرٍ » وهو تحريف .

(٢) ط : « فَأَحْرَزَهُ » .

(٣) العرر : المساوي والمثالب . في ط : « لَاهْدَاكَ اللَّهُ » .

(٤) ط : « لَأَقْدَ » وهو تحريف ، وفيها « قَدْ وَفَقْتَ فِي النَّظَرِ » .

(٥) ط : « عَنْ شَيْخٍ مِيتَتَهَا لَا يَرْمِيَانِ يَذِي » وهو تحريف .

(٦) كَذَا فِي ل . وفي ط : « دَفَرٍ » بِالذَّالِ . وَهِيَ بِمَعْنَى . فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ ١٥٧ :

« الدَفَرُ : شِدَّةُ رِيحِ الشَّيْءِ الطَّيِّبِ وَالشَّيْءِ الْخَبِيثِ » .

(٧) ط : « فَسَلْ أَسِيدًا أَوْ فَاسَأَلًا » .

(٨) اليعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زينة الذئب أو الأسد . ومن

أَمْثَلِهِمْ : « هُوَ أَذَلُّ مِنَ الْيَعْرِ » . وَقَدْ جَاءَ بِحَرْكَاءٍ فِي هَذَا الشَّعْرِ . وَفِي ط :

« وَفِي نَذَالَةِ النَّفْسِ وَالْخَنْزِيرِ وَالنَّقَرِ » .

(٩) كَذَا فِي ل . وَفِي ط : « وَارَى خِيَالًا » ، وَفِي س : « وَادِي خِيَالٍ » وَفِي م :

« وَادِ خِيَالٍ » .

له بدائعُ نَنْتَ ليس يَعْرِفُهَا^(١) من البريّة إِلَّا حَازَنَ النَّارِ
 إِذَا أَتَانِي دَخِيلٌ^(٢) زَادَنِي بِدْعًا كَأَنَّهُ لَهْجٌ عَمْدًا بِإِضْرَارِي
 قد اجْتَوَانِي له الحِلَّانُ كُلُّهُم وبَاعَ مَسْكَنَهُ مِن قُرْبِهِ جَارِي
 فَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْبِرِّ سَامَ أَقْتَلَهُ أَوْ الصُّدَاعَ فَرُّهُ يَدْخُلُنْ دَارِي
 اسْتَكْتَفَ النَّتْنُ فِي أَنْفِي لِكثَرَتِهِ فليس يُوْجِدُنِيهِ غَيْرُ إِضْمَارِي^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول^(٤) : ويلك ، ما حفظت بيتَ شعري قط ؟ فقال : بيتاً
 واحداً اشتبهته بحفظته . ف قيل له : فهاته . فقال : أما إني^(٥) لا أحفظُ إِلَّا بيتاً
 واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فَأَنْشَدَهُ ، فَأَنْشَدَهُم :
 كَأَنَّمَا نَسَكْهَتْهَا مِدَّةٌ تَسِيلُ مِنْ مَخْطَةِ مَجْدُومٍ
 وزعم أصحابنا أَنَّ رجلاً من بني سعد - وكان أَتَى النَّاسَ إِبْطَاءً - بَلَغَهُ أَنَّ
 ناساً من عبد القيس يتحدّثونه برجلٍ منهم ، فضى إليهم شداً ، فوافاهم ١١٦
 وقد أَزِيدَ^(٦) إبطاه ، وهو يقول :
 أَقْبَلْتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعَتَيْنَا^(٧) بِذِي حُطَاطٍ يُعْطِشُ الْمُخْنُونَا^(٨)

(١) كذا في ط . وفي ل : « يعجزها » وليس بشئ .

(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .

(٣) يوجدينه : يجعلني أشعر بوجوده . وفي ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .

(٤) روى الجاحظ خبراً له في البيان ٣ : ٢٢٦ . وفي البغلاء ٩٩ ما يفيد أن المحلول

مولي لتمام بن جعفر .

(٥) في الأصل : « أما أنا » .

(٦) ط : « زيد » .

(٧) في معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما . . وفي

ط : « باعطينا » محرفة .

(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنن في الإبل

وهو لها كالزكام للناس . . وفي ط : « بلى حضيض يعطش المخنونا »

وهو تحريف .

يَزُورِي لَهُ مِنْ نَتْنِهِ ^(١) الْجَيْنَا حَتَّى تَرَى لَوَجْهَهُ غُضُونَا
* نُبَيِّتَ عَبْدَ الْقَيْسِ يَا بَطُونَا *

قال : ومتح أعرابيٌّ على بئرٍ وهو يقول :
يَارِيهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنِّي جَانِي عُبَيْثُرَانِ ^(٢)
وقال آخر :

كَأَنَّ إِبْطَىٍّ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى نَفْحَةُ خُرْمٍ مِنْ كَوَامِيخِ الْقُرَى ^(٣)
ويقال إنَّه ليس في الأرض رائحةٌ أتنُّ ، ولا أشدُّ على النفس ،
من بَخَرِ فَمٍّ أَوْ نَتْنِ حَرٍّ ، ولا في الأرض رائحةٌ أعصمُ لِرُوحٍ من
رائحةِ النِّفَاحِ .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعَافُونَ تَسْمِيدَ بَقُولِهِمْ قَبْلَ
مُجْزَمِهَا وَتَفْتُقِ بَزُورِهَا ^(٤) ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضعِ اللَّبِّ مِنْهَا
حَتَّى رُبَّمَا ذَرُّوا عَلَيْهَا السَّمَادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى يَشْرَبَ
اللَّبُّ ^(٥) قُوَى الْعَذْرَةِ ، بَلْ مِنْ لَهِمْ بِالْعَذْرَةِ ؟ ! وَعَلَى أَهْلِهِمْ مَا يَصِيبُونَهَا
إِلَّا مَغْشُوشَةً مُفْسَدَةً . وكذلك صَنِيعُهُمْ فِي الرِّيحَانِ . فَأَمَّا النَّخْلُ
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا ^(٦) أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْذَاعَ طَلِيًّا ^(٧) لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِدُونَ بِهَا

(١) ط : « من شمه » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من
القيصوم ونوره مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا
أن له شمراخا مدلى ، عليه نور أصفر شبيه بالذى يكون في وسط الأقحوان .
ويوضع في المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى في ط :
« عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى في ط : « لقحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « يذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما فى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الحَمَامَاتِ وَأَتَاتِينَ الْمِلَالِ^(١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سِمادهم الأبعادُ كُلُّهَا والأخْنَاءُ إِذَا جَفَّتْ . وما بينَ الثَّلَطِ جَافًا والْحِثَاءِ يَابِسًا ، وبينَ الْعَذْرَةِ جَافَةً وَيَابِسَةً فَرَقَ . وعلى أَنَّهُمْ يَعَالِجُونَ بِالْعَذْرَةِ وَبُحْرَى السَّكْبِ ، من الذُّبْحَةِ وَالْحَانُوقِ^(٢) فِي أَقْصَى مَوَاضِعِ التَّقَرُّزِ^(٣) وَهُوَ أَقْصَى الْحَلْقِ ، ومَوَاضِعِ اللِّهَاءِ^(٤) ، وَيُضْعَوْنَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الشُّوكَةِ ، وَيَعَالِجُونَ بِهَا عُيُونَ الدَّوَابِّ .

(أَقْوَالُ الْمَسْبَحِ الْكِنَاسِ)

وَقَالَ مَسْبَحُ^(٥) الْكِنَاسِ : إِنَّمَا اشْتُقَّ الْخَيْرُ مِنَ الْخُرَى . وَالْخُرَى فِي النَّوْمِ خَيْرٌ . وَسَلْحَةُ مُدْرِكَةُ الْذِّمِّ مِنْ كَوْمِ الْعُرُوسِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ . وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا بِهِ قُعَاصُ وَزُكَّامٍ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وَإِذَا ذَلِكَ قَدْ طَاوَلَهُ ، وَقَدْ كَانَ بُلْغَى أَنَّهُ كَانَ هَجَرَ الْجُلُوسِ عَلَى الْمَقْعَدَةِ وَإِتْيَانِ الْخَلَاءِ ، فَأَمَرْتُهُ بِالْعُودِ إِلَى عَادَتِهِ ، فَمَا مَرَّتْ بِهِ أَيَّامٌ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ^(٦) عَنْهُ . وَزَعَمَ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْتَنَةٌ الْحَيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَمَرَهُمْ ذَلِكَ لَنْتَنِ الْحَيْطِ بِهَمْ ، وَقَدْ حَقَّ حِسْهُمْ لَهُ طَوْلُ مُكْنَتِهِ ١١٧ فِي خِيَاشِيمِهِمْ . قَالَ : فَمَنْ ارْتَابَ بِخَبْرِي ، فَلْيَقِفْ فِي الرَّدِّ إِلَى أَنْ يَمْتَحَنَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ بَيْتِ مَطِيبٍ ، وَلِيَتَشَمَّ^(٧) تَشَمُّمَ

(١) المليل : الخبز واللحم وضعت في الملة . والملة : الرماد الحار . وفي ل : « القلال » .

(٢) الذُّبْحَةُ : وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ أَوْ دَمٌ يَخْنَقُ فَيَقْتُلُ . وفي ط : « الخانوق » موضع الخانوق .

(٣) ط : « التفز » وهو تصحيف ما في ل .

(٤) ط : « ومَوَاضِعِ اللِّهَاتِ » وهو تحريف .

(٥) ط : « مسيح » .

(٦) ط : « حتى ذهب عنه » .

(٧) ط : « ليشم » .

المتشَبِّث . عَلَى أَنَّ الْبَقَاعَ تَتَفَاوَتُ فِي النَّتَنِ . فَهَذَا قَوْلُ مَسِيحٍ ^(١) الْكِنَّاسِ .

(عصبية سامويه وابن ماسويه)

وَزَعِمَ لِي سَلْمَوِيَّةُ وَابْنُ مَسَوِيَّةٍ مُتَطَبِّبَا الْخُلَفَاءَ ^(٢) ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ جِيْفَةٌ أَتْنُ نُتْنَاءُ وَلَا أَثْقَبُ تُقْبَوْبًا مِنْ جِيْفَةٍ بَعِيرٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ الَّذِي وَهَمَهُمَا ذَلِكَ عَصَبِيَّتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبِغَضُّمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الْمَذْكُورُ فِي السُّكْتِ بِرَاكِبٍ ^(٣) الْبَعِيرِ . [وَيَقَالُ إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ الْجِيْفِ أَتْنُ ؟ فَقِيلَ : جِيْفُ السُّكْلَابِ . فَأَمْتَحِنْتُ فَقِيلَ لَهُ : أَتْنُ مِنْهَا جِيْفُ السَّنَانِيرِ ، وَأَتْنُ جِيْفُهَا الذُّكُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَيْنَ جِيْفَتَيْ سَنُورَيْنِ ذَكَرَيْنِ ^(٤)] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النَّتَنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لَعَلَّكَ إِنْ تَفَقَّدْتَهُ أَنْ تَوَافَقَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النَّتْنُ فَإِنِّي لَمْ أَشْمَ شَيْئًا أَتْنُ مِنْ رِيحِ حُشٍّ مُقَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْحَصِيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمِ الْمُرَادِفَةَ الْمُرَاكِبَةَ ^(٥) وَلِرِيحِ الْقَارِ وَرِيحِ هَوَاءِ الْحُشِّ ^(٦) وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحٍ

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدام المعتصم . ترجم له القفطي ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أويوحنا . خدام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما في الفهرست ٢٩٥ ليسك ، ٤١١ مصر . وفي ط : « مطيب الخلقاء » وصحته في ل .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) في المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبواهم المراكبة » .

(٦) ط : « ولريح القار وريح دوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهة من التَّن من مذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الحلاء غير مكشوف ، وكان مغموماً غير مفتوح . فأما الطيب فإن لم أشم رائحة قط أحيا للنفس ولا أعصم للروح ، ولا أفتق ولا أغنج ، ولا أطيب خمرة من ريح عروس^(١) ، إذا أحكمت تلك الأخلاط ، وكان عرف [بدنها] ورأسها وشعرها سليماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة .

(ما قيل في الظربان)

ومما قالوا في التَّن ، وفي ريح جحر الظربان خاصة ، قول الحكم ابن عبدل :

ألقيت نفسك في عروض مشقة	ولحصد أنفك بالمناجل أهون ^(٢)
أنت امرؤ في أرض أمك فلفل	جم وفلضنا هناك الدندن ^(٣)
فبحق أمك وهى منك حقيقة	بالبر واللطف الذى لا يخزن
لا تدن فاك من الأمير ونحه	حتى يداوى ما بأنفك أهرن ^(٤)
إن كان للظربان جحر متين	فلجحر أنفك يا محمد أنتن

(١) ل : « مشقة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدندن : ما سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبيك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧

وفى ط : « أهون » والصواب فى ل وفيما سأتى قريباً ، وفى عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الطَّربان - حين رمى قوماً بأنهم
يَفْسُون في مجالسهم ، لأنَّ الطَّربان أُنْتُنُ خَلَقَ اللهُ تعالى فَسُوءَةً . وقد عَرَفَ
الطَّربانُ ذلكَ فجعلَه من أَشدَّ (١) سِلَاحِهِ ، كما عَرَفَتِ الحُبَارَى مَا في
١١٨ سِلَاحِهَا من الآلة ، إِذَا قَرَّبَ الصَّقرُ مِنْهَا . والطَّربانُ يَدْخُلُ على الضَّبِّ
جُحْرَهُ وفيه حُسُولُهُ أَوْ بَيْضُهُ ، فَيَأْتِي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ في الجُحْرِ فيسُدُّه
بِيَدَيْهِ ، وَيَحْوِلُ اسْتِهِ فَلَا يَفْسُو ثَلَاثَ فَسَوَاتٍ حَتَّى يُدَارَ بِالضَّبِّ فَيَخِرَّ (٢)
سُكْرَانٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَيَأْكُلُهُ ، ثُمَّ يَقِيمُ في جُحْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ على آخِرِ حُسُولِهِ .
وتقول العرب : إِنَّهُ رَبَّمَا دَخَلَ في خِلَالِ المَجمَةِ فيفسو ، فَلَا تَتَمُّ
لَهُ ثَلَاثُ فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الإِبِلُ عَنِ المَبْرَكِ ، تتركه وفيه قِرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهَا
الرَاعِي ، إِلَّا بِالْجَهْدِ الشَّدِيدِ .

فقال الربيع ، وهجَاهُمْ [أَيضاً] بِرِيحِ التُّيُوسِ :

قَلِيلٌ غَنَاؤُهُمْ في الهِجَاجِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرِ شَدِيدٍ
وَأَنْتُمْ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرُ هَرِيرَ العَقُورِ الرَّصُودِ (٣)
وَأَنْتُمْ ظَرَابِيُّ إِذْ تَجْلِسُونَ وَمَا إِنَّ لَنَا فِيكُمْ مِنْ نَدِيدٍ (٤)
وَأَنْتُمْ تِيُوسٌ وَقَدْ تُعْرِفُونَ بِرِيحِ التُّيُوسِ وَقُبْحِ الحُدُودِ (٥)

قال : ويقال : « أَفْسَى مِنَ الطَّربانِ » ويسمى مَفَرَّقَ النِّعَمِ ،
يريدون من نَتْنِ رِيحِ فُسَائِهِ . ويقال في المثل - إِذَا وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ

(١) ط : « أَحَد » .

(٢) ط : « فَيَحِزُّ » وصوابه في ل و ثمار القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثيل ، وفي ط : « مزيد » وهو تحريف ما في ل و ثمار القلوب .

(٥) ط : « الجلود » وفي الثمار : « وتنتن الجلود » .

شرٌّ فتباينًا وتقاطعا - : « فسا بينهما ظربان » . ويقال : « أنتن من ظربان » لأنَّ الضبَّ إنما يخذع^(١) في جُحره ويُوغل في سِرْبِه لشدة طلب الظربان له . وقال الفرزدق في ذلك :
ولو كنتُ في نارِ الجحيم لأصبحتُ ظرَّابِي من حِمَّان عني تثيرها^(٢)
وكان أبو عبيدة يُسمي الحِمَّاني صاحب الأصم : الظربان^(٣) ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كل حِمَّاني^(٤) ظربانا .
وقال ابن عبدل :

لا تُدْنِ فالكَ من الأميرِ ونَحْه حتَّى يداوِيَ ما بأنفِكَ أهرنُ
إن كانَ للظربان جُحرٌ مُنِنٌ فلجُحر أنفِكَ يا محمدُ أنتن
في شعره الذي يقول :

ليتَ الأميرَ أطاعني فشفيتُه من كلِّ مَنْ يُكفِي القصيدَ ويلحنُ
متكورٌ يَحْثُو الكلامَ كأنما باتتَ مناخرُهُ بدُهْنٍ تُعَرْنُ^(٥)
وبني لهم سِجْنًا فكنتُ أميرَهم زَمَنًا فأضربُ مَنْ أشاءَ وأسجنُ
قل لابنِ آكِلةِ العِصَاصِ محمدٍ إن كنتَ من حبِّ التقرُّبِ تجبُنُ^(٦)
ألقيتَ نفسك في عروضِ مَشَقَّةٍ ولحصدُ أنفِكَ بالمناجلِ أهونُ
أنتَ امرؤٌ في أرضٍ أمكُ فلقلُّ جَمٌّ وفلفلنا هناك الدَّنين

- (١) خدع الضب في جحره : دخل . وفي ط : « ينخدع » وهما بمعنى .
(٢) البيت في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشيء .
(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « يسمى الحِمَّاني صاحب الأصم » فقط .
(٤) في الأصل « حان » والوجه ما أثبت .
(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفي ط : « متكورا » محرفة . وفي ط : « يحسو » محرفة .
(٦) ل : « قد كدت من حب التمزب تمختن » وهو تحريف مافي ط وما في م .

فبحقِّ أَمِّكَ وهى منك حقيقةً
لا تُدْنِ فَاكَ من الأمير ونَحْه
إِنْ كَانَ لِلظَّرِبَانِ جُحْرٌ مَتْنٌ
فَسَلِ الأميرَ وَأَنْتَ غَيْرُ مَوْقٍ
وَسَلِ ابْنَ ذِ كُوانِ تَجِدُهُ عَالِمًا
إِذْ أَنْتَ تَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ عَفْصَةً^(٤)
أَشْبَهْتَ أَمِّكَ غَيْرَ بَابٍ وَاحِدٍ
فَلَنْ أَصِيبَ دِرَاهِمًا فَدَفْتَهَا
فَمَا^(٥) أَرَاكَ وَأَنْتَ غَيْرُ مُدْرِهِمْ
إِذْ رَأْسُ مَالِكٍ لُعْبَةٌ بَصْرِيَّةٌ
وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوْتُ^(٧) محمداً ودخاناً فيه
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أَتَانِي
فَقُلْتُ لَهُ ولم أعجل عليه ،
فَأَعْرَضَ مُكَمِّحًا عَنِّي كَأَنِّي
كَرِيحِ الْجَعْرِ فَوْقَ عَطِينِ جِلْدِ
كَرِيمٍ يَطْلُبُ المَعْرُوفَ عِنْدِي
وَذَلِكَ بَعْدَ تَقْرِيطِي وَحَمْدِي
أَكَلُمُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صَمْدٍ^(٨)

- (١) ط : « لا يحزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغاني ٢ : ١٢ طبع دار الكتب
وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
(٣) من الخزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تحزن » .
(٤) ط : « غصّة » .
(٥) ل : « لهما » وهما سيان .
(٦) المغربية : الشديدة البياض . ط : « معربة » بالعين .
(٧) ل : « فقلت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكته . والبيت فى اللسان (نجا)
بدون نسبة . والتقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .
(٨) المكح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل .
والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « صمد » بالضاد
ولا يتجه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ ^(١) لِيَدْنُو فَمَا يَزْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مُسْتَشْنٍ يَمِينًا أبا بَخْرٍ ^(٢) لَسْتُ خَمَنَ رَدَى
فَلَوْ كُنْتُ الْمَهْذَبَ مِنْ تَمِيمٍ نَخَفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
نَجْوَتُ ^(٣) مُحَمَّدًا فَوَجَدْتُ رِيحًا كَرِيحِ السَّكَابِ مَاتَ قَرِيبَ عَهْدٍ
وَقَدْ أَلْدَعْتَنِي ^(٤) ثَعْبَانِ نَنْنٍ سَيِّلِغٍ إِنْ سَلِمْنَا أَهْلَ نَجْدٍ
وَأَدْنَى خَطْمِهِ فَوَدِدْتُ أَتَى قَرَنْتُ ^(٥) ذَنُوءَهُ مِنِّي بِيُعْدٍ
كَمَا افْتَدَتِ الْمَعَاذَةُ مِنْ جَوَاهُ ^(٦) بَخْلَعَتَهَا وَلَمْ تَرْجِعْ بَزْنَدٍ ١٢٠
وَفَارَقَهَا جَوَاهُ فَاسْتَرَا حَتَّ وَكَانَتْ عِنْدَهُ كَأْسِيرٍ قَدْ ^(٧)
وَقَدْ أَدْنَيْتُ فَاهُ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَاكَ نَفْسِي غَيْرَ عَمْدٍ
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَאו طَأَيْتَ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ ^(٨)
يَذُقْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا زَعَا فَا إِنْ هَمَمْنَا لَهُ بِوَرْدٍ ^(٩)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهُ عَلَى فَوْحًا بِمَثَلِ غَثِيثَةِ الدَّبْرِ الْمَغْدِ ^(١٠)
فَقَاتَ لَهُ : تَنَحَّ بِفِيكَ عَنِّي فَمَا هَذَا بِرِيحٍ قُتَارٍ رَنْدٍ ^(١١)

- (١) الآصرة : الرحم والقراية . وفي ل : « ذى صر » وليس بشيء .
(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الفم . وفي ل : « بحر » والوجه مافى ط .
(٣) ماعدا ل : « نحووت » بالخاء ، وهو تحريف . وانظر ماسبق وكذا المحصص ١١ : ٢٠٩
واللسان (جلد ، نجا) .
(٤) ط : « لدعتنى » .
(٥) كذا فى ط . وفي ل : « فديت » .
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفي ل : « ذعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .
(١٠) الغثيثة : القميح . والمند : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المند » وهو تحريف .
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقلت له » ، وفي ط : « بعيد عنى »
وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاً واسكن فحدثني فإنَّ الصّدق أدنى
 يفوحُ خِرَاكَ منه غير سرْدٍ (١)
 أبَاتَ يَجُولُ فِي عَفْجٍ طَحُور
 لِبَابِ الْحَقِّ مِنْ كَذِبٍ وَجَحْدٍ
 [نَكِهَتْ عَلَى نَكِهَةٍ أَخْدَرَى
 فَأَعْلَمَ أَمْ أَتَاكَ بِهِ مُعْدَى (٢)
 شَتِيمٍ أَعْصَلَ الْأَنْيَابَ وَرَدِ]
 فَإِنِّي كَالَّذِي أَهْدَيْتَ أَهْدَى (٣)
 لَكُمْ شُرُداً يَسْرِنَ مَغْنِيَاتٍ
 تَكُونُ فَنُوتُهَا مِنْ كُلِّ فِنْدٍ (٤)
 أَمَا تَخْزَى خَزَيْتَ لَهَا إِذَا مَا
 رَوَاهَا النَّاسُ مِنْ شَيْبٍ وَمُرْدٍ (٥)
 لَا رَجُوَ إِنْ نَجُوتَ وَلَمْ يُصْبِنِي
 جَوَى إِنِّي إِذَنْ لَسَعِيدٌ جَدِّ
 وَقُلْتُ لَهُ : مَتَى اسْتَطَرَفْتَ هَذَا
 فَقَالَ أَصَابَنِي مِنْ جَوْفِ مَهْدِي
 فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا دَاوَيْتَ هَذَا
 فَتَعَذَّرَ فِيهِ آمَالاً بِجَهْدٍ (٦)
 فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ لَهُ رِقَاءً
 فَتَسَدِيهِ لَنَا فِيمَا سَتْسُدِي (٧)
 فَقُلْتُ لَهُ : وَلَا آلُوهُ عِيَا
 لَهُ فِيمَا أَسْرُّ لَهُ وَأُبْدِي (٨)
 عَلَيْكَ بَقِيَّةٌ وَبَجَعِرِ كَلْبٍ
 وَمِثْلِي ذَاكَ مِنْ نُونٍ كَنَعْدٍ (٩)
 وَحِلْتَيْتِ وَكُرَّاثِ وَثُومٍ
 وَعُودِي حَرَمَلٍ وَدِمَاغٍ فَهَدٍ (١٠)
 وَحَنْجَرَةَ ابْنِ آوَى وَابْنَ عِرْسٍ
 وَوزنَ شَعِيرَةٍ مِنْ بَزَرٍ فَقَدٍ (١١)

- (١) (الطلاء، بالسكسر : الخمر . وفي ط : « فيه غير سرد » .
 (٢) (العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفي ط :
 أبَتَ تَجُولُ فِي عَفْجٍ طَحُونُ فاعلم إذا أتاك به معدى (كذا)
 (٣) ل : « مهد » .
 (٤) (الفند، بالكسر : النوع . وفي ط : « قند » ولا وجه له .
 (٥) ط « خزيت له إذا ما » والوجه ما في ل . ل : « رآها الناس » والوجه ما في ط .
 (٦) كذا .
 (٧) في الأصل : « تسدى » ولا يستقيم بها القول .
 (٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له ، ساقطة من ل . وفي البيت كلمة « عيا » وهي محرفة .
 (٩) كذا في ل . وفي ط : « من لون كعتدى » .
 (١٠) ط : « وحنيت » والصواب باللام كما في ل .
 (١١) في القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفي ل : « قفد » بتقديم التثانف وهو
 تصحيف . وفي ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلى » .

وَكَفَّ ذُرْحُوحٌ^(١) وَلِسَانِ صَقَرٍ وَمِثْقَالَيْنِ مِنْ صَوَّانٍ رَقْدٍ^(٢)
يُدْقُ وَيُعْجَنُ الْمِنْخُولُ مِنْهُ بَبُولٍ آجِنٍ وَبَجَعِرٍ قِرْدٍ
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لِبَرْدٍ^(٣) ١٢١
فَدَخُنْ فَالْكَ مَا عَتَّقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأُظْفَارٍ وَنَدٍّ^(٤)
فَإِنْ حَضَرَ الشَّتَاءُ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ غَيِّكَ أَمْرَ رَشْدٍ^(٥)
فَدَخَرِجْهَا بِنَادِقٍ وَازْدِرِجْهَا مَتَى رُمْتَ الشَّكْلُ أَيْ زَرْدٍ
فَتَقْدِفُ بِالْمِصْلِ عَلَى مِصْلٍ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعِدٍ^(٦)
وَوَيْلَكَ مَا لِيَطْنِكَ مَذْ قَعْدُنَا كَأَنَّ دَوِيَّهُ إِرْزَامَ رَعْدٍ^(٧)
فَإِنَّ الْحِكْمَةَ النَّاسُورُ عِنْدِي دَوَاءً إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سَيْجِدِي
يُمِيتُ الدَّوْدَ عَنْكَ وَتَشْتَمِيهِ إِنْ أَنْتَ سَنَنْتَهُ سَنَ الْمُقْدَى^(٨)
بِهِ ، وَطَلِيَّتَهُ بِأُصُولٍ دِفْلَى وَشَيْءٌ مِنْ جَنَى لَصْفٍ وَرَنْدٍ^(٩)
أَظْطَى مِيتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

- (١) الذرحرخ : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط : « زرحرح » ول : « ذرائح » محرفتان . وفي ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .
(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه وفي ط : « رقد » محرفة .
(٣) في الأصل : « وترميهِ فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .
(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه في ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .
(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ وربما ، ومثله المصمعد والمسمعد . وفي ل : « مصمعد » .
(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .
(٨) السن : الصب في سهولة . والمقدي : ضرب من الشراب غليظ ، وفي ل : « المعد » وفي ط « المقد » محرفتان .
(٩) الدفلى : نبت مر قتل زهره كالورد الآخر وحله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقه كورق لسان الحمل أودق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفي ط « سعدى » موضع « دفلى » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفي ل : « زيد » وليس بشيء .

(أشمار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكر أشعار العرب في هجاء الكلب مجرداً على وجهه ، ثم نذكر ما ذموا من خلالة وأصناف أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشار بن برد :

عددت سويداً إذ فخرت وتولباً ولاسكلب خير من سويد وتولب
وقال بشار أو غيره :

أتذكر إذ ترعى على الحى شاءهم وأنت شريك السكلب في كل مطعم
وتلحس مافي القعب من فضل سورهِ وقد عاث فيه باليدين وبالضم
[وقال ابن اللذئبة :

من يجمع المال ولا يثب به ^(١) ويترك المال لعام جذبهِ
* يهـن على الناس هوان كلبهِ] *

وقال آخر :

إن شربي لا يغب وجهه كواوى كأن كلباً يهارش أكلباً ^(٢)
ولا أقسم الأعطان ^(٣) بيني وبينه ولا أتوقاه وإن كان مجرباً
وهجا [أبو] الأحوص ^(٣) ابناً له فشبّه بجرو كلب فقال :
أقبح به من ولدٍ وأشقى مثل جرى ^(٤) الكلب لم يفقح

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفي ل : « يشبه » وهو تحريف إملائي . وفي البخلاء ١٥٥ : « يشبه » وليس بشيء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابي لاتغيب وجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب ، وفي ط : « الأعكان » .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفي ل : « جرى » .

إِنْ يَرِ سَوْءًا مَا يَقُمْ فَيَنْبِغُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتِحِ^(٢)

١٢٢

وَقَالَ أَبُو حُزَابَةَ^(٣) :

يَا ابْنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لَعَبْرٌ طَلَحَ الْفِدَاءُ^(٤)
 قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ أَنَّكَ أَنْتَ النَّاقِصُ اللَّفَاءُ^(٥)
 حَبَلَقَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَغْمُهُ الْمِزْرُ وَالرَّدَاءُ
 بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَنَّهُمْ زَيْنِيَّةُ جِرَاءُ^(٧)

وَقَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ، وَذَكَرَ قُبَيْحَ وَجْهِهِ [فَقَالَ] :

أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً بَوَاجِهِ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلٍ^(٨)
 فَشَبَّهَنِي كَلْبًا وَلَسْتُ بِفَوْقِهِ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

(١) ط : « إِنْ يَرِ سَوْءًا لَمْ يَقُمْ فَيَنْبِغُ » .

(٢) ط : « خَلْقَةُ الْمُسْتَفْتِحِ » .

(٣) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَفِي ط : « أَبُو خِدَانَةَ » . وَأَبُو حُزَابَةَ هُوَ الْوَلِيدُ ابْنُ حَنِيْفَةَ ، أَحَدُ بَنِي رُبَيْعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . بَدَأَ فِي حَضَرِ وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ ثُمَّ اكْتَتَبَ فِي الدِّيْوَانِ وَضَرَبَ عَلَيْهِ الْبَيْعَ إِلَى سَجِسْتَانَ فَكَانَ بِهَا مَدَّةً وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَمَّا خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأَظْنَهُ قَتَلَ مَعَهُ . وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِعًا فَصِيحًا خَبِيثَ اللِّسَانِ هَجَاءً . انْظُرِ الْأَغَانِي ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ . وَالْمُسْتَبْتَبُ لِلذَّهَبِيِّ ١٦٠ لَيْدَنُ وَتَاجُ الْعُرُوسِ (حَزْب) .
 (٤) الْفِدَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدَلِ . وَفِي ل : « أَنْتَ لَقَبْرٌ طَلَحَ الْفِدَاءُ » وَفِي الْأَغَانِي ١٩ : ١٥٣ : « أَنْتَ لَعَبْرٌ طَلَحَ الْفِدَاءُ » . وَإِنْ عَلَى هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ وَلِي سَجِسْتَانَ بَعْدَ طَلْحَةَ . وَطَلْحَةُ هَذَا هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُلْفٍ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ طَلْحَةُ الطَّلْحَاتِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى سَجِسْتَانَ قَبْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَكَانَ طَلْحَةُ يُحِبُّوهُ ابْنَ حُزَابَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ شَحِيحًا مُسْكًا .

(٥) اللَّفَاءُ ، كَسْحَابُ : الْحَسِيْسُ الْحَقِيرُ . وَفِي ل : « اللَّفَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْحَبْلَقُ : غَنَمٌ صَفَارٌ لَا تَكْبُرُ أَوْ قِصَارٌ الْمَنْزُ وَدَمَامُهَا . وَفِي ط « الدَّعَاءُ » مُوَضَّعٌ « الرَّعَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) الزَيْنِيَّةُ : كَلَابٌ قَصِيْرَةُ الْقَوَائِمِ . وَفِي الْأَغَانِي « بَنُو عَلِيٍّ » الخ .

(٨) كَذَا فِي ل وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ ٤ : ٣٥ بِمَعْنَى خَلْقِهِ غَيْرَ جَمِيلٍ . وَفِي ط : « يَرَاهُ اللَّهُ » .

وقال أبو ذؤبَاب السَّعْدِيُّ^(١) في هَوَانِ الْكَلْبِ :

لِكَيْسَرَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ تَمِيمٍ لِيَالَى فَرَّ مِنْ أَرْضِ الضَّبَابِ
وَأَسْكَنَ أَهْلَهُ بِيْلَادَ رَيْفٍ وَأَشْجَارَ وَأَنْهَارَ عَذَابِ
فَصَارَ بَنُو بَنِيهِ لَهَا مُلُوكًا وَصَرْنَا نَحْنُ أَمْثَالَ الْكِلَابِ
فَلَا رَحِمَ الْإِلَهِ صَدَى تَمِيمٍ فَقَدْ أَرَزَى بَنَا فِي كُلِّ بَابِ
وَأَرَادَ اللَّعِينُ^(٢) هِجَاءَ جَرِيرٍ - وَجَرِيرٌ مِنْ بَنِي كُليبٍ - فَاشْتَقَّ

هِجَاءَهُ مِنْ نَسَبِهِ فَقَالَ :

سَأَفْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كُليبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَبِيثٌ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ
كِلَا الْعَبْدِينَ - قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ لَتَيْمِ الْأَصْلِ مِنْ عَمٍّ وَخَالِ
فَمَا بُقِيًّا عَلَى تَرْكُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ
وقال رجلٌ من هُمْدَانَ ، يُقَالُ لَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ سَعْدٍ^(٣) ، يَهْجُو مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ

ابن مروان بن الحَكَمِ ، وَاشْتَقَّ لَهُ اسْمًا مِنَ الْكَلْبِ فَجَعَلَهُ كَلْبًا فَقَالَ :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمَرْوَانَ فَقَمَلْتُ لَهُ عَادَ الظَّالُومَ ظَلِيمًا هُمُّهُ الْهَرَبُ^(٤)
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكُ الْمَلِكُ إِنْ قَبِلْتُ مِنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا أَدَبُ^(٥)

(١) أبو ذؤبَاب السَّعْدِيُّ : صحابي شاعر ، من سعد العشيرة . له في إسلامه خبر طريف ، وهو من عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو في ط : « ابن دب » وفي ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ في الحيوان ١٠١ : ٦ ونسبها في الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق .

(٢) هو منازل بن زمعة المنقري ، من بني منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض ماني جل مأكله إلا تنفجه عندي إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وحيوته حتى أقول ليل الضيف قد ولدا

(٣) نسبة العسكرية في ديوان المعاني ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن المعاصي .

(٤) ط : « عاد الظليم ظليما » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعاني : « إذ كشفت عنك » . الطبري ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَأَسَةَ الْحِلْمِ فِرْعَوْنَ الْعَذَابِ ، وَإِنْ يُطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبٌ
وقال آخر وجعل الكلب مثلاً في اللؤم : ١٢٣

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ أَلَّامٌ مِنْ كَلْبٍ
وكذلك قول الأسود بن المنذر^(١) ، فإنه قال :

فَإِنَّ امْرَأَةً أَنْتُمْ حَوْلَهُ تَحْفُونَ قُبَيْتَهُ بِالْقَبَابِ^(٢)
يُهِنُ سَرَائِكُمْ جَاهِداً وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
وقال سحيمة بن نعيم :

أَلَسْتَ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرٌ
وقال النجرائي في ذلك :

مِنْ مَنْزِلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهْرُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ
زَوْجَتُهَا فَقِيرَةٌ مِنْ حِرْفَتِي قَلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأَيْتُ جَرَّتِي
أُمَّ هِلَالٍ أَبْشَرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشَرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الضَّرَّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحس » ، وهو من صفات الحرص والإلحاح .
ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . وفلحس : رجل من بني شيان^(٣) كان
حريصاً رغيباً ، ومُلِحِفاً مُلِحِجاً . وكلُّ طُفَيْلٍ فهو عندهم فلحس .
والأرشم :^(٤) الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان يتشمم
الطعام ويتبع مواضعه . قال جرير في بعضهم :

(١) في الأغاني ١٩ : ١٣٠ نسبة البيت إلى لقيط بن زُرارة يعير بني مالك بن حنظلة
في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيراً منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بآن » ، وقيله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيتها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابني شيان » . وانظر أمثال الميداني (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقِيَ حَلَّتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ فَجَاءَتْ بَيْنَ لِلضَّيَافَةِ أَرْشَمًا^(١)
وقال جريرٌ في استِرواحِ الطعامِ^(٢) :

وَبَنُو الْمُهْجِمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ نَطُّ الْأَحَى مُتَشَابَهُو الْأَلْوَانِ
لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانٍ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانٍ
مَتَابُطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَا لُحْدُودٍ لِرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ^(٣)
وقال سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فَنَثْلُ الْكِلا ب لَا يُحْسِنُ السَّكْلُ إِلَّا هَرِيرًا
وَأَمَّا مُعِيرٌ فَنَثْلُ الْبِغَا لَ أَشْبَهْنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا^(٤)
وَأَمَّا هِلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءٌ وَعِطَّرَا كَثِيرَا^(٥) ١٢٤

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بِالْمَرْبَدِ ، فوقف عليه الراعى وابنه جندل ، فقال له
ابنه جندل : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا السَّكْلِ السَّكْلِيِّ ، فإلى متى ؟ !
وضرب بغلته ، فضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : وَاللَّهِ لَا تُنْقِلَنَّ

(١) ل : « أَرْسَمًا » مصحف . وفي ط : « فَي » محرفا . والبيت على الصواب في اللسان
(ضيف ، رشم ، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب
في كل تلك إلى البغيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشده أبو عبيد
هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتلى هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فَأَمَّا » مع الفصل بين البيتين بكلمة
« وَقَالَ » وفي ط : « وَأَمَّا تَمِيمٌ فَثَلَّ الْبِغَالِ » .

(٥) السكباء كسكتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبداه في ل « مَلَابَا » وهو
كسحاب عطر أو للزعفران . والشعر في كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ في هجائه ، فلم يأتِه ما يريد ، فلما كان مع الصبح
انفتح له القولُ فقال :

فغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ولو جُعِلَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ على خَبَثِ الحديدِ إِذَا لَذَابَا
ثم وقف في موقفه ، فلما مرَّ به جندلُ قبض على عنان فرسه ، فأنشده
قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجْنَدُلُ ما تقول بنو نُمَيْرٍ إذا ما الأيرُ في استِ أيلك غابا
قال : فأدبَر وهو يقول : يقولون والله شرًّا^(١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب المثلَ في قُبْحِ الوجه - :
سَفَرْتُ فَمَلْتُ لَهَا هَجَجٌ فَتَبَرَّقَعْتُ فذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعَتْ ضَبَّاراً^(٢)
وضَبَّار : اسم كلب له^(٣) .

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وأراد سفرأ : إنَّ لسكلٍ رُفْقَةً كلباً ، فلا
تسكن كلبَ أصحابك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىَّ كلهم الطاعن^(٤) » . ومن الأمثال
« وقَعَ الكلبُ على الذئب ليأخذَ منه [مثل] ما أخذَ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) في الصحاح : « هج مخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت في

(هجج وهجر) برواية « هبارا » ، وكذلك في اللسان (هجر) ولكن في (هجج

وضبر) : « ضبارا » كما في ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الطاعن » . وانظر أمثال

الميداني ١ : ١٨٣ والتبثيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« السكّلابَ على البَقَرِ »^(١) . ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلِها دَلَّتْ بِرَاقِشُ » . وبراقش : كلبَةٌ قومٍ نَبَحَتْ على جيشٍ مرُّوا ليلاً وهم لا يشعرون بالحيِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها .
قال الشاعر :

ألم ترَ أنَّ سيِّدَ آلِ ثورٍ نُبَاةَ عَضِّه كلبٌ فَنَاتَا^(٢)

(قَتِيلُ السَّكْبَشِ وَقَتِيلُ الْعَنْزِ)

وقال صاحب السكّلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شَيْءٍ ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبّضٌ ولا نبّضٌ^(٣) . وقال عَرَفْجَة بن شريك يهجو أسلم بن زُرْعَة - ووطئت أباه عنزٌ بالمربد فمات - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذْ بَانَ^(٤) مَنَى معشَرِي مكانَ قَتِيلِ الْعَنْزِ أَنْ أَتَكَلَّمَا

فيا ابنَ قَتِيلِ الْعَنْزِ هل أنتَ ثائرٌ بزُرْعَةٍ تيساً في الزَّرِيْبَةِ أَرْغَمَا^(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى^(٦) :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ في طَلَبِ الْعُرْفِ إلى السَّكْلَبِ

(١) في الأصل : « السكّلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك

للميرى في حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهري ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بنابه عضه كلب فَنَاتَا

(٣) في القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .

(٥) الأَرْنَم : ذو الزنمة ، وهي هنة معلقة في حلقة تحت اللحية . وفي ط « أَرْمَا » .

(٦) أبو الهول الحميري شاعر مقل له شمر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم في

الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفي ط « أبو الغول » محرفاً . والشعر في

العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢

والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحق في الأوراق للصولي أخبار الشعراء

قد وَقَّحَ السَّبُّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلْسَّبِّ
 إِذَا شَكَا صَبٌُّ إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ
 أَغْنَى قَتَى يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ^(١)
 قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُقِعَ الْكِلَابُ أَمْثَلَهَا ؟ قال : لا .
 قلت : ولم قال :

وَحِخْتُ هِجَاءَهُمْ لَمَّا تَوَاصَوْا
 كَخَوْفِ الذُّئْبِ مِنْ بُقْعِ الْكِلابِ^(٢) ؟
 قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذُّئْبِ مِنْ سُودِ الْكِلابِ *

أَلَا تَرَى أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْهَجَاءَ قَالَ :
 كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرِ تَحْوُضُ غُمُورَهُ بُقْعُ الْكِلابِ^(٣)
 ويدل على ذلك قول الجَدَلِيِّ^(٤) :

لَعَمْرِي لَجَوُّ مِنْ جَوَاءِ سُوقَةِ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ
 مِنْ الْجَوْسَقِ الْمَلْعُونِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبَى
 يَقُولُونَ لِي صَبْرًا فَقُلْتُ لَطَالَمَا
 أَسَافَلُهُ مَيْثُ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعُ
 وَيَصْبِحَ مَتًّا وَهُوَ مَرَأًى وَمَسْمَعُ
 عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي الْمَنِيَّةِ يَلْمَعُ
 صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وخفت هجينهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري هشام بن عبد الملك .

وفي ط : « بالمتازل » وهو تحريف . والغمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير .

وفي ط : « غمورة » وفي ل : « غموره » وضواهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) . والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٧٨ .

(٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضبي في رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائي كَانَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وكان لى الصَّمانَ والحزنُ أجمعُ^(١)
 وكان لهم أجرى هنيئاً وأصبحتُ بى البازلُ الكوماءُ بالرمْلُ تَضْبَعُ
 أأَجْعَلُ نفسى عِدَلٍ علجٍ كَأَنَّمَا يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبْقَعُ
 قال : فقد بَيَّنَّ كما ترى أَنَّ الأَبْقَعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلم قال الشاعر :

أرسلتُ أسداً على بُقْعِ الكلابِ فقد

أَمسى شَرِيدُهُمْ فى الأرضِ فَلألاً^(٢)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صَغَّرَ شَأْنَ من هَزَمُوا

١٢٦ فقد صَغَّرَ شَأْنَ الممدوح . بل إِنَّمَا قال « أرسلتُ أسداً على سود الكلاب » .

قال : وإِنَّمَا جاء الحديثُ فى قتلِ سُودِ الكلابِ ، لأنَّ عَقْرَها أَكْثَرُ ما تكون
 سوداً ، وذلك من غلبةِ أنفسِها .

وليس فى الأرضِ حيوانٌ من بقرَةٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكلبٍ وإنسانٍ ،
 إلَّا والسُّودُ أَشَدُّها أَسْراً وَعَصَباً^(٣) ، وأظهرها قُوَّةً وصَبْراً .

وقال أبو سعد الخزومى^(٤) فى هجائه دُعَيْلاً :

(١) ط : « وكان لى الكنان » .

(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : مهزومون ، والجمع فلول وفلال . ولأخفش فى هذه
 الكلمة بحث جيد فى اللسان .

(٣) فى لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد الخزومى من عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
 وقد عاصر دُعَيْلاً وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعت الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧
 بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب ما فى ل . ويؤيد ذلك قول
 ابن أبى الشيص فيه (الأغاني ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دُعَيْل :

إن أبا سند فنى شاعر يعرف بالكنية لا بالوالد

يَا ثَابِتَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهَا دُولٌ وَأُخْرٍ بِهَا بَأْنٌ تَنْقَلَا
هَلَا جَعَلْتَ لَهَا كَحُرْمَةِ دِعْبِلٍ فِي اسْتِ [أَم] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دِعْبِلَا

[وقال ابن نوفل] :

وَجِئْتَ عَلَى قَصَوَاءَ تَنْقُلُ سَوْءَةً إِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سَوْءَةٍ لَا تَهَابُهَا (١)
وَتَزْعُمُ أَنَّ لَمْ تَخْزِ سَلْمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتَ بَعْدَ الرِّجَالِ كَلَابُهَا (٢)

وقال الحسن بن هاني يهجو جعفر بن يحيى :

قَفَاً خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَثْقِ (٣)
وَأَعْظَمُ زَهْواً مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِرٍّ (٤) وَأَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقٍ

وقال أبو الشَّمْتَقِ :

أَهْلُ جُودٍ وَنَائِلٍ وَفَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِاللَّيْثِ وَالْعَطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِراً فَأَدْنَى مَكَانِي وَتَلَقَّيْتُ بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ
لَا كَمَثَلِ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّوْ مِ شَبِيهِ السَّكَلِيَّةِ الْقَلْطِيَّةِ
جِئْتُهُ زَائِراً فَأَعْرَضَ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَجْبَةٍ سُوسِيَّةِ (٥)
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرُ بَغْلٍ غَابَ فِي دُبُرِ بَغْلَةٍ مِصْرِيَّةِ

وقال أيضاً :

أَلَا قُولا لِسِرَّانِ الْخِزَارِيِّ وَوَجْهِ الْكَلْبِ وَالتَّيْسِ الضَّرُوطِ (٦)

(١) ط : « جئيت على قصواء » وهو تحريف .

(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .

(٣) ط : « بثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .

(٤) ل : « خر » .

(٥) ط : « سوسية » .

(٦) ط : « ألا قولاً لسرّان » .

له بطنٌ يَضُلُّ الفيلُ فيه ودُبْرٌ مثلُ راقود النشوط (١)
 وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدور سفينةٍ في بثق روط (٢)
 ولحيةٌ حائكٌ من باب قلب (٣) موصلة الجوانب بالخيوط
 له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرَقَّعة جوائبُه يَقُوطُ (٤)
 إذا نهَضَ الكِرَامُ إِلَى المَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِي هَبُوط
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهامةٍ دويَّة (٥)
 لو شئتَ صيرتَه في حالِ فاقتِه حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينه (٦)
 وقال جرير بن عطية ، يهجو الصِّلَتان العبدى (٧) :
 أقول لها والدَّمْعُ يغسلُ كحلها متى كان حكمُ الله في كَرَبِ النخلِ
 فأجابه الصِّلَتانُ فقال :
 تُعَيِّرُنا أنْ كانتِ النَّخْلُ مالنا وودَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نخلِ
 يعيِّرُه جريرُ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النَّخْلِ (٨) .

-
- (١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيح داخله بالفار . والنشوط : سلك يعمُر في ماء وملح .
 (٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية في البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينثقل الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشيء .
 (٣) ل : « قلبا » .
 (٤) ط : « يقوط » وقد كتب هذا البيت تالياً للذي بعده في ط ، ورددته إلى موضعه سابقاً له كما في ل .
 (٥) ط : « في يهامة روية » ، وهو تصحيف . وفي ل : « من سعة » .
 (٦) ل : « حتى يقر » .
 (٧) ل : « قال الصِّلَتان العبدى يهجو جريراً » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .
 (٨) ل : « يعيِّر جريراً وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر (هـ) المراجع السابقة .

وقال وضاحُ اليمى :

وأَكنتمُ السَّرَّ غَضَبَاناً وفى سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ
وأَتركُ القولَ عن علمٍ ومقدرةٍ حتى يكون لذاك النَجْدِ مُطَّلَعٌ (١)
لأَقُوَّتَى قُوَّةَ الراعى ركائبه يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرَّبعُ (٢)
ولا العسيفِ الذى تشتدُّ عَقْبَتُهُ حتى يثوبَ وباقى نعلِهِ قُطْعٌ (٣)

وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة ، وأبوه (٤) من سبى دابق وكاتب
زهير ، وصديق ثمامة ، يهجو أبا سعد (٥) دعى بنى مخزوم ، وبعد أن لقي
منه ما لقي :

فعلتُ نزارُ بك الذى اسأهَلْتَه نفيًا وضرَبًا
فهجوتُ قحطانا لأهْ جَوْهَمَ مكَايدَةً وإِرْبَا (٦)
وأردتُ كما تشفى بهجائهم منهم فترَبًا
ووثقتُ أَنَّكَ مَا سبَيْتَ ، حَمَاكَ لَوْمُكَ أَنْ تُسَبَّا
كالسكاب إن ينبج فليدس جوابه إلا أخسَ كَلْبًا (٧)
خفَضَ عليك وقرَ مكَا نَكَ لا تطفُ شرقًا وغربًا
واكشِفْ قِنَاعَ أَيْبِكَ فالآباءُ ليس تُنالُ غَضَبًا

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .

(٢) الربع : ولد الناقة فى الربيع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحماسة ١ : ٢٦١ . والشعر فى الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفى ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما فى الأغاني ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وأبق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نهبت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدٌ كَطَعْمِ الصَّرْحَدِيِّ تَرَكْتُهُ بِأَرْضِ الْعِدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدٍ لِي الشَّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ طَالَ الشَّرَى فِدَعَانِي
فَوْصَفَهُ كَمَا تَرَى أَنَّهُ يَبْدَى لَهُ الْبَغْضَاءُ .

وقال آخر :

سَرَتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وقال راشد بن شهاب اليشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبْتُ شَمَالَ عَرِيَّةٍ بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزُورِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نعال السكرام (١) :
إِذَا طُرِحَتْ لَمْ يَطْبِ السَّكْلَبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُشَمَّتْ
وقال اللعين في بعض أضيفه (٢) ، يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال

ابن الأعرابي : إنما وصف تيساً :

فَقُلْتُ لَعَبْدِي أَقْتُلَا دَاءَ بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لَهْنٌ زَوَائِدُ (٣)
فَجَاءَا بِخِرْشَاوَى شَعِيرَ عَائِمَاهَا كَرَادِيسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدٍ
وقال خلبد عَيْنِينَ (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :

وَعَيَّرْتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَائِئِنَا وَوَدَّ أَبُوكَ السَّكْلَبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ

(١) للبغدادى كلام في البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له في البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :
إِذَا وَضَعْتَ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلَهَا تَضُوعُ مَسْكَ مَا أَصَابَتْ وَعَبَّرَا
وروايته في اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ما قبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموما قافية يليهما خمسة مكسورات القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى عجزه هكذا :

* وَأَعْفَاجُهُ الْعُظْمَى ذَوَاتُ الزَوَائِدِ *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضاً بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازته زياد لهناسية طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دَعْبِل بن علي :

ولو يُرْزَقُ النَّاسُ عَنْ حِيلَةٍ لَمَا نَالَ كَفًّا مِنَ التُّرْبَةِ
ولو يشربُ الماءُ أَهْلُ العَفَا ف لَمَا نَالَ مِنْ مَائِهِمْ شَرْبَةً
ولكنَّه رَزَقُ مَنْ رَزَقَهُ يَعْمُ بِهِ السَّكْبَ وَالْكَلْبَةَ

باب

(ذكر من هُجِيَ بِأَكْلِ لُحُومِ السَّكْلَابِ وَلُحُومِ النَّاسِ)

قال سالم بن دَارَةَ الغَطَفَانِيُّ (١) :

يَافَقَعَسِي لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَ لَوْ خَافَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ
* فَمَا أَكَلْتَ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ *

وقال الفرزدق في ذلك :

إِذَا أَسْدَى جَاعَ يَوْمًا ببلدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكَلُهُ

١٢٩

وقال مساور بن هند :

إِذَا أَسْدِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلُؤْمٍ فِي الْغِلَامِ

يُحَرِّسُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَجِدْنَ مِنَ الطَّعَامِ (٢)

تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْقِيَاتٍ بِرَأْسِهَا عَلَى وَضَعِ الثَّمَامِ (٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أَنَّ اللَّعِينَ إِنَّمَا قَرَاهُمُ كَلْبًا وَلَمْ يَقْرِهُمْ

تَيْسًا ، وَأَنَّ الصَّوَابَ خِلَافُ مَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ .

وقال مُسَاوِر بن هند أيضًا :

بَنِي أَسَدٍ أَنْ تُمَحِلَ الْعَامُ فَقَعَسُ فَبَشَّرَهَا بِدَهْرِ السَّكْلَابِ وَعَامُهَا

(١) هو سالم بن مسافع . ودَارَةُ أُمِّهِ ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ،

وكان رجلاً هجاءً ، وله ترجمة مشهورة في الخزائن ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ . والشعر في البخلاء .

١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضع الثمام : مثل اللقطة والحوث . وفي ط : « الثمام » وصوابه في ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدي^(١) :
وعيرتنا تمر العراق وبرّه وزادك أير الكلب شيطه الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الذبيري^(٢) في أكلهم لحوم الناس :

إذا ماضيت يوماً فقعسيّاً فلا تطعم له أبداً طعاماً
فإنّ اللحم إنسانٌ فدعه وخير الزاد ما منع الحراماً
وقد هجيت هذيل وأسد وبلعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس ،
قال حسّان بن ثابت يذكر هذيل :

إن سرّك الغدر صرفاً لا مزاج له فأت الرجيع وسل عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيّان
وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل :

وأنتم أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحدٌ بعد^(٣)
تداعوا له من بين خمسٍ وأربعٍ وقد نصل الأظفار وأنسباً الجلد^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن رثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزائن ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . . وفي ط : « المهوس » وصوابه في الخزائن و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدي » وأثبت ما في ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدّم » . وفي البخلاء ١٩٨ : « شخفة بن مخدّم » وفي ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو ما يهجي به . قال : وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعداً

(٤) ط : « نسل » وليس بشيء وصوابه في ل والبخلاء .

ورَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لرئيسكم معاوية الفلحاء يالك ما شكَّد (١)

وقال الشاعر في باهلة :

إِنَّ غَفَاقًا أَكَلَتْهُ باهله تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وكاهله

* وأصبحت أم غفاق ثا كِلَه (٢) *

وهجا شاعر آخر بلعنبر ، وهو يريد ثوب بن شحمة (٣) ، وكان شريفاً وكان ١٣٠

يقال له مجير الطير . فأما مجير الجراد فهو مدليج بن سويد بن مرشد بن خيرى (٤)

فعيّر الشاعر ثوب بن شحمة (٣) بأكل الرجل العبرى (٥) لحم المرأة إلى أن أتى

ثوب (٦) من الجبل فقال :

عَجَلْتُمْ ما صادكم عِلَاجٌ من العُنُوقِ ومن اللِّعَاجِ

* حتى أَكَلْتُمْ طَفْلَةً كالعَاجِ *

فلما عيَّره قال ثوب (٧) :

يا بِنْتَ عَمِّى ما أدراكِ ما حَسْبى إِذْ لا تَجْنُ خَيْثَ الزَّادِ أَضْلاعى (٨)

إِنِّى لَدُو مِرَّةٍ تُخَشِّى بُوادرَهُ عِنْدَ الصَّيَّاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعِ

ومن ظريف الشعر قول أبى عدنان (٩) :

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفساء يالك ماشكد

والصواب في ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من » .

(٢) ط : « غفاقا » و « أم غفاق » بالعين ، وأثبت ما في ل والبخلاء .

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ . وفي ط : « ثور بن شحمة » وفي ل : « ثوب

ابن شحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجار الطير فكان لا يثار

ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير . ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جير » . وانظر خبر مجير الجراد في أمثال الميداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ

الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القيتى » ، وفي البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سيان ، ط : « لاتجر » ل : « لايجز » وتصحيحه

من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبه سوداء تغرى بنايها عُرَاقاً من الموتى مِرَاراً وَتَكْدُمُ^(١)
أُتْرَحَ لها كلبٌ فضنَّتْ بَعْرِقِهَا فهاشَها وهي على العَرَقِ تَعْدُمُ^(٢)
فقفَّ على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيْحُ بن رباح شار الزنجي^(٣) :

مَا بَالُ كَلْبِ بَنِي كُليبٍ سَبَّنا أَنْ لَمْ يُوازِنْ حَاجِباً وَعِقْلا

(قتيل الكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَعٍ وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إِنَّمَا رَفَعَكَ
قَبْرُ^{*} بُثُسْتَر^(٤) فقال شقيق : حينَ وَضَعْتَ قَبْرُ^{*} بِالْمَشَقَّرِ ، يا ابن قتيلِ النساءِ
وقتيل الكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيان قَتِيلُ^(٥) الكلاب ، وذلك أَنَّهُ
لَجَأَ في الرِّدَّةِ إلى قومٍ من عبد القيس ، فكان كلبُهم ينبُحُ عليه فخاف أن
يدلَّ على مكانه فقتله فقتلَ به .

(أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أَسْرَعُ من حَسَةِ كَلْبٍ أَنْفَه » . ويقال :

(١) ط : « تغرى بناها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابهما في ل .

(٢) تعدم : تعض أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذيرجي » ل « وقال السارزنجي » وهذا تحريف كتبت بدله .

ما في رسائل الجاحظ ٦١ ساسي . وفي الكامل ٤١٥ : ليبسك « رباح بن سنح الزنجي » .

وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .

(٤) ط : « بثشير » .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوَةٍ » وهى السكلبة ، وجمعها لِعَاءٌ^(١) . وفى المثل : « ألام من كلبٍ على عَرَقٍ » ، و « نَعِمَ كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : السكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىً ، وإن كان أبقعَ فهو عجمىً .

وقال الأصمعى عن حمّاد بن سلمة عن ابنِ أخْتِ أبى بلالِ مردّاسِ ابنِ أديّة^(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِفُ عيناه ، وقال : إنّنا حوّلنا بعد كم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولما خرج شمر بن ذى الجوشن [الضّبّاني] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أن كلباً أبقعَ يبلغُ فى ٩٣١ دماهم ، فأولّ ذلك أن يقتلهم^(٣) شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُتسلخاً برصاً^(٤) .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمّون الخوارج : كلاب النار^(٥) .

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أديّة » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى الأغاني وجهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر في تشبيهه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب^(١) يصفه بالسرعة في الخضر ،
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضبع وبسط يديه
ورجليه حتى يمس قصصه الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً^(٢) أظفاره ،
وأنه لا يختشئ ريحاً مع ما^(٣) يصيب الكلاب من اللهث . فإن كان كما تقولون
فلم وصفت الشعراء الفرس وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في المنسأ^(٤) لا يلتفت أحد لفته^(٥) ؟
وقال أبو ذؤاد الإيادي في ذلك :

عن لسان كجشة الورل الأحمر مجّ الندى عليه العرار^(٦)
ولم يذكره في شيء . وقال خالد بن عجرة السكلابي^(٧) :
كان لسانه ورل عليه بدار مضية مج العرار
وقال امرؤ القيس :

وخذ أسيل كالمنس وبركة كجؤجو هيق دقه قد تمورا

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه في ل .
(٢) شبا : جمع شبة : وهي الحد . وفي ط : « بساء » محرفاً .
(٣) ل : « لا يختشئ ريحاً مع ما » و ط : « لا يختشئ ريحاً ما » وسويت القول
كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفي ل : « المنسئ » وفي ط : « المنسأ » .
(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .
(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهي
ذبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجشة الورل
الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .
(٧) ط : « حماد عجرد السكلابي » . والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب
وبهذه الرواية :

كان لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرارا

وفي ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره في شيء . وقال عُمَيْقَةُ بن سابق :

عريض الخَدِّ والجِبْهَةِ وَالصَّهْوَةِ والجَنْبِ

ولم يذكره في شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامعتي مذعورة وسطَ رِبرب

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولها بركة كجَوْجُو هَيْقٍ وَلَبَّانُ مَضْرَجٌ بِالْخَضَابِ

ولم يذكره في شيء . وقال خُفَاف بن نَدْبَةَ :

عَبْلُ الذَّرَاعِينَ سَلِيمُ الشَّظَا كَالسَّيِّدِ يَوْمَ الْقِرَّةِ الصَّارِدِ^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سَلِيمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَى شَنِجِجُ الدَّسَا أَقْبَّ كَتَيْسِ الْحَلَبِ الْغَدَوَانِ^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

١٣٢

وَأَرْسَاغُ كَأَعْنَاقِ ظِبَاءٍ أَرْبَعِ غُلْبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الجَعْدِيُّ :

كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَطَاتَانَا كَمَا أَكْبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّمِرُ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال أَبُو دُوَادٍ :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافي ل . وفي ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تعتاده الظباء ، يخرج منه شيء شبيهة باللبن إذا قطع . والغدوان :

النشيط المسرع ، وفي ط : « الغدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعماتين تُتابعان أشق شاحص
ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال ابن الصِّعق (١) :

بمجنَّبٍ مثل العقا ب تخالهُ للضمير قدحا (٢)
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال ربيعة بن جُشم [النمرى] ، وروى لامرئ القيس (٣) :
وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حماتهما منبر
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى :
كأن حماتهما أرنبان تقبضتا خيفة الأجدل (٤)
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك (٥) :
كأن حماتهما كردوس فحل مقلصة على ساقى ظليم
ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال الأعشى :
أما إذا استقبلته فسكأنه جذع سما فوق النخيل مشدب
وإذا تصفحه الفوارس معرضاً فتقول سرحان الغضا المتصوب (٦)
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق يقمصها وظيف أحدب

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة فى الخزائن ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنَّب : الموجع الساقين . وفى : ط « بمجنَّب » وليس بشئ .

(٣) جملة « وروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفى : ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منهُ وجاعرة كأنَّ حماها لما كشفت الجِلَّ عنه أرنب^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعفي^(٢) :

أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثلُ سرحان الغضا
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقُ قُوصٍ الوقع عارية النساء
ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولَّى تقول ملَمَّمٌ ضَرْبُ^(٣)
لأمَّ إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانهُ عَقْبُ
يمشي كمشي نعامةٍ تبعَتْ أخرى إذا هي راعها خطبُ

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أبطالا ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريبٌ تتفُلِ
[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدي :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجدع شذبه نقي المنجل
أما إذا ما أعرضت فنبيلة ضخم مكان حزامها والمر كل^(٤)
أما إذا تشددت فهي نعامة تنفي سناكبها صلاب الجنادل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبه خلقه من خلق النعامة طولٌ وظيفها وقصر

(١) الجِل : غطاء الفرس . وفي ط : « الحبل » محرفا . وفي ل : « هنة وجاعرة » .

(٢) الأبيات في الخزائن ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الغالث على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « صرب » .

(٤) ط : « فقليلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت فنعامة »

ساقيا وعُرى نَسِيها^(١) . ومما يشبه من خلقه خلق الأرنب صغر كعبيها .
ومما يشبه من خلقه خلق الحمار الوحشي غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصه
وسرّاته ، وتمحص عصبه^(٢) ، وتمكّن أرساغه ، وعرض صهوته .

قال صاحب السكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه
خلق السكلب هَرّت شدّقه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار
قصّه^(٣) ، وسبوغ ضلوعه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .
وقال طفيل الغنوي ، يصف الخيل :

تبارى مراخيها الزّجاج كأثّها ضِرَاءُ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ^(٤)
وقال طفيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَائِجٍ وَإِنْ يَلْقَى كَلْبٌ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبُ^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيت والبيتان والثلاثة ، من جميع
أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب السكلب : لعلنا إن تتبعنا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تقدّمت في أمر ولم تُشعر بالذي تعنى ، فنلتقط^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضع منه مواضع
من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفي ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخي - وهن المسرعات واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :
جمع زج . أى تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان الممتخل

وفي ط ، ل : « تبادى » . وفي ط « مراخيها » . وذلك تحريف . انظر الخيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائج : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، والمائج : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل
« كأن على أعطافها ثوب مائج » وفي ط : « كأن على أعطافه ثوب مائج » . وانظر

أدب السكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٢٧ .

(٦) في الأصل : « فلتلقط » .

وترى السكيت أمامه وكأنه رجلٌ مُغاضِبٌ ١٣٤

وقال الشاعر في ذلك :

خُوصٌ تَرَّاحٌ إِلَى الصَّرَاحِ إِذَا غَدَتِ فِعْلَ الضَّرَاءِ تَرَّاحٌ لِلْكَلَابِ^(١)
وقد شبهوا بالسكلب كلَّ شيءٍ .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، السكلب ، والمزنوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها
والذى يهيجها فقال :

كَأَنَّ هَرًّا جَنِيًّا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَفَّ دِيكٌ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٌ^(٢)
فَهَلَّا قَالَ : وَالتَفَّ كَلْبٌ كَمَا قَالَ : وَالتَفَّ دِيكٌ !! وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ :
[و] تَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَنَّ بَدَفَهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعَهَا بِالْأَظْفَرِ^(٣)

وقال الأعشى :

بِجَلَالَةِ سُرْحٍ كَأَنَّ بَدَفَهَا^(٤) هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا

وقال عنتره بن شداد العبسى :

وَكَأَنَّمَا يَبْنَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الْوَحْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَوِّمٌ^(٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبغا نقد في هذا البيت ذكره المرزبانى في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه في العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزاها » ، والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) في الأصل : « دفها الوحشى في هزج » . وانظر التبريزى ١٨٧ .

هَرُّ جَنِيْبٌ كَلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ غَضَبِي اتَقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ^(١)
وقال المثقَّب العَبْدِيُّ :

فَسَلِّ اِهْمَّ عَنْكَ بَذَاتِ لَوْثٍ عُدَاْفِرَةٍ كِمِطْرَقَةِ الْقُيُونِ
وَبِصَادَقَةِ الْوَجِيفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِيِّينِ^(٢)

قال صاحب السكلب : إنما يذكرون في هذا الباب السَّبَاعَ المنعوتة
بالخالب وطول الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والسكلب ليس
يوصف بالخالب ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بن حجرٍ
قال في ذلك :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلب والحدش والخمش والتظفير ، فلما
أراد أن يفزعها ويثورَّها حتى تذهب جافلة في وجهها^(٣) ، أو ناذة ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقَّ المرح والنشاط^(٤) قال :

* وَالتَّفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرٍ^(٥) *

وقال أبو النجم :

لَوْ جَرَّشَنُ وَسَطُهَا لَمْ تُجْفَلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرِزٍّ مَعْضَلٍ^(٧)
[ويروى : تحفل] . ولو قال أوس :

(١) ط : « اتقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المنضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدده :

* كَأَنَّ هَرًا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به التوجع ، كما في اللسان (ررز) عند

إنشاد الرجز . وفي الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفَّ شَنْ برجلِها وخنزير *

لسكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنَّ وقَحُوله ، وأنه ليس مما يلتوى على رجلِها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوثِقٌ تَحْتَ غَرْزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلَمْ بَنَابِيهِ ظَفَرًا
وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَحِلُّ
لِرَجُلٍ [أَنْ] ^(١) يُعْطِيَ عَطِيَّةً وَيَرْجِعَ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطَى وَلَدُهُ .
ومثل الذى يُعْطَى الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ ، حَتَّى إِذَا
شَبِعَ قَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَا يَرْجِعُ فِي هِبَتِهِ إِلَّا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ . وَالْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ » .
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أن أبا بكرٍ أمر
بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أُمِّي تَحْتَ أَبِي بَكْرٍ ،
وكان جروهُ لى تَحْتَ سَرِيرِهِ ^(٣) فقلت له : يَا أَبَتِ ، وَكَلْبِي أَيْضاً ؟ فَقَالَ :
لَا تَقْتُلُوا كَلْبَ ابْنِي ، ثُمَّ أَشَارَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْكَلْبِ — أَى خَذَوهُ مِنْ تَحْتَ
السَّرِيرِ — وَأَنَا لَا أَدْرِى ، فَقَتَلَ .

وإسماعيل بن أمية قال : أَمْتَمَانِ مِنَ الْجَنِّ مُسِيخَتَا ، وَهُمَا
الْكِلَابُ وَالْحَيَّاتُ .

ابن المبارك قال : إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ قَدَرَ نَفْسِهِ صَارَ عِنْدَ نَفْسِهِ
أَذْلًا مِنَ الْكَلْبِ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « قاءه ثم عاد في قيه » .

(٣) ط : « تحت السرير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمه أنه إذا أَسْمَنَتْهُ
أَكَلَك ، وإن أَجَعَتْهُ أَنْكَرَكَ . ومن لؤمه اتَّبَعَهُ لَمَنْ أَهَانَهُ ، وإِلْفَهُ لَمَنْ
أَجَاعَهُ ؛ لَأنَّهُ أَجْهَلُ مَنْ أَنْ يَأْنِسَ بِمَا يُؤْنِسُ بِهِ ^(١) وَأَشْرَهُ وَأَنْهَمُ وَأَحْرَصُ
وَأَلْجُ مَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِمَطْمَعَتِهِ ^(٢) مَا يَذْهَبُ بِمَطَامِعِ السَّبَاعِ .

ومن جهله أيضا أَنَّا لَمْ نَجِدْهُ يَحْرُسُ الْمُحْسِنِينَ إِلَيْهِ بِنَبَاحِهِ ، وَأَرْبَابَهُ
الَّذِينَ رَبَّوْهُ وَتَبَنَّوْهُ ^(٣) إِلَّا كَحِرَاسَتِهِ لَمَنْ عَرَفَهُ سَاعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ لَمَنْ أَذَلَّهُ
وَأَجَاعَهُ وَأَعْطَشَهُ . بَلْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ حِرَاسَةً ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ الْبَذَاءِ
أَوِ النَّحْشِ ، وَشِدَّةِ التَّحَرُّشِ وَالتَّسْرُّعِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ فِي ذَلِكَ :

١٣٦ إذا تَخَازَرْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ كَسَرْتَ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ ^(٤)
أَبْذَى إِذَا بُودِيتَ مِنْ كَلْبٍ ذَكَرَهُ ^(٥) أَسْوَدَ قَزَاحٍ يُعَوَّى فِي السَّحَرِ ^(٦)
وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَكْلٌ مِنْ شَكْلِ الْجَبَنِ ، وَكَالَّذِي ^(٧) يَعتَرِي نِسَاءَ السُّفْلَةِ
مِنَ الصَّخْبِ .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأةٌ ولؤمٌ . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التَّهَيُّبِ

(١) ل : « منه » .

(٢) مطمعته : طمعه . وفي ط : « بمطمعه » .

(٣) ط : « ووأسوه » والوجه ما في ل .

(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .

(٥) أبذى ، من البذاء . ط : « أبزى إذا بوزيت » صوابه في ل . وانظر الأمال

(١ : ٩٦) وأمثال الميذاني (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص

عند الهميري (١ : ٤١٠) .

(٦) القزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط : « فراح » . وفي ط : « تعوى في السحر »

وفي ل : « يغضى في السحر » .

(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنه يفرع من كل شيء وينبحه .
والبردون ربما رمح البردون مبتدئا ، وقلق وصل صهيلا في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على المرموح ، وليكنه يكون جباناً ،
فإذا رأى البردون الذي يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلق رمح . وهذه العلة تعرض للمجنون ؛ فإن المجنون الذي
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلا لأن
المرة أوهمته أنه يريد بسوء ، وأن الرأي أن يبدأه ^(١) بالضرب . وعلى مثل
ذلك يرمى بنفسه في الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيار النظام ، فإننا خرجنا ليلة
في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدمته شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب
الرّعاء، وكره أن يعدو فيغريه ويضربه ^(٢) ، وأنف أيضاً من ذلك — وكان أنفاً
شديد الشكيمة أباء للهزيمة — وكره أن يجلس مخافة أن يشغره عليه ^(٣)
أو لعله أن يعضه فيهرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء ^(٤) . فلما جزنا حده
وتخلصنا منه ، قال إبراهيم في كلام له كثير ، يعدد خصاله المذمومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبغ فاذهب مع السباع ، وعليك
بالبراري والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم !

(١) ط : « أنه يبدأ » .

(٢) يضربه : يغريه . وفي الأصل : « ويضربه » .

(٣) في ط : « يشغره عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولاتنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون . من قولي « إن كنت
سبع » ولم أقل « إن كنت سبعا » ! .

(إفساد الإعراب لنوادير المولدين)

وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يفسد
كلام الأعراب^(١) ؛ لأن سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة^(٢)
وذلك الخرج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دخلت على هذا الأمر - الذي
إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيه^(٣) - حروف الإعراب
والتحقيق والتثقيل^(٤) وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ،
وأهل المروءة والنجابة^(٥) انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته .
ثم قال أبو إسحاق : إن أطعمه اللص بالنهار كسرة خبز خلاه ،
ودار حوله ليلا . فهو في هذا الوجه مرتش وآكل سحت ؛ وهو مع
ذلك أسمع الخلق صوتا ، وأحق الخلق يقظة ونوما ، ينام النهار كله على
نفس الجادة ، وعلى مدق الحوافر ، وفي كل سوق وملتى طريق ، وعلى
سبيل الحمولة^(٦) وقد سهر الليل كله بالصياح والصخب ، والنصب
والتعب ، والغىظ والغضب ، وبالجمى والذهاب ، فيركبه من حب النوم

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه مافى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيل » والوجه مافى ل :

(٥) ل : « والثغاة » .

(٦) الحمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بعر وحمار ونحوه . وفي الأصل : « الحمولة »

بالحاء مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطئته دابةٌ فأسوأُ الخلقِ جزعاً وألأمة
لؤماً ، وأكثره نباحاً وعواءً ، فإن سلم ولم تطأهُ دابةٌ ولا وطئه إنسان ،
فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنه في حالٍ متوقعٍ للبليّة . ومتوقعٌ البليّة في
بليّة . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنه أسوأُهم
جزعاً وأقلهم صبراً ، ولأنه الجانى ذلك على نفسه ، وقد كانت الطرق
الخالية له معرضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

وبعد فإنَّ كلَّ خلقٍ فارقَ أخلاقِ الناسِ فإنّه مذموم . والناس ينامون
بالليل الذى جعله الله تعالى سكناً ، وينتشرونَ بالنهار الذى جعله الله تعالى
لحاجاتِ الناسِ ^(١) مَسْرَحاً .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إنَّ سهره بالليل ونومه بالنهار
خَصْلَةٌ ملوكيّة لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك ألدَّ لكنت الملوك بذلك
أولى . وأمّا الذى أشرتم به من النوم فى الطرق الخالية ، وعبتموه به من
نومه على شوارعِ الطُّرق والسُّككِ العامرة ^(٢) وفى الأسواق الجامعة ،
فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشأنِهِ] . ولولا أنَّ الكلبَ يعلم ما يلقى من الأحداث
والشفهاء وصبيان الكتّاب ، من رضَّ عظامِهِ بألواحهم إذا وجدوه نائماً فى
طريق خالٍ ليس بحضرته رجالٌ يُهابون ^(٣) ، ومشِيخةٍ يرحمون ويزجرون
الشفهاء ، وأنَّ ذلك لا يعتريه فى مجامع الأسواق - لقلَّ خلافه عليك ، ولما
رقد فى الأسواق . وعلى أنَّ هذا الخلقُ إمّا يعتري كلاب الحُرّاس ، وهى

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفى ل : « على مربعات السكك العامرة » .

(٣) فى الأصل « فى طريق ليس خال بحضرته .. الخ » وكلمة « خال » مزحزحة
عن موضعها ،

التي في الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فن أخطأ وأظلمُ مَنْ يكلّف السباعَ أخلاقَ الناسِ وعاداتِ
البهائمِ !! وقد علمنا أن سباعَ الأرض عن آخرها إنما تهيج وتسرح وتلتمس
المعيشة وتتلاقى على السفاد والعظام ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرك بدُّ من سكون يكون بهاماً له .
ولولا صرفُهم^(٢) التماسَ الجِمام إلى الوقت الذي لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لسكانت الطبائع تنقض . فجعلوا النوم بالليل
لضربين : أحدهما لأن الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ،
كان ذلك أنزعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنّه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأنَّ الليلَ موحشٌ مخوف الجوانب من المَواِمِّ والسباع ،
ولأنَّ الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ،
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبرِّهَار^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقداتهم طبائعهم وساقطهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « التفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « فصرفهم » .

(٣) ط : « التبيين » .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) البرهارة : الأدوية التي تجلب من الهند من الخشيش والمقاقير ونحوها ، يقول البحرية

وأهل البصرة ط : البرهارة . أنساب السمعاني ٧١ . وانظر ماسياني في حواشي ٣ : ٤٣٥

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنها تتصرّف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأمّا ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل ، فإن^(٢) الملوك لم تجهلوا فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لسكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرّ المخزون ، وجمعت المقدار الفاضل عن اتساع النهار إلى المقدار الذي لابد للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذت من الليل صدرها صالحاً . فلما طال ذلك عليها أعانها المِران^(٤) ، وخفّ ذلك عليها بالدربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنة ، ويكون مادةً للقوة . وعلموا أنّ العوامّ إذا كانت لاتتناول الشراب ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوء^(٥) ، ووقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسترّ وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) ، وقال الراجز :

* اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ *

وقالوا في المثل : « اللَّيْلُ أَخْفَى ^(٧) لِلْوَيْلِ » .

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ماقى ل .

(٦) ط : « به باقي التدبير »

(٧) ط : « أنفي للويل » . وانظر أمثال الميداني (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجم تلهى المحزون بالسماع ، وتعذلُّ المريض ، وتشغله
عن التفكير ، حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك
قال ابن عسلة الشيباني (١) :

وسماع مُدجَّنةٍ تعلَّنا حتَّى ننامَ تناوُمَ العُجمِ
فصحوت والنمرى يُحسبُها عمَّ السَّكِّ وخالةُ النُّجمِ (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإِنَّمَا يعنى فى البيت الثرىا . ومدجنة : يعنى
سحابة دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساء العرب — وإذا كان نساء العرب
١٣٩ فى الحملة أعقلَ من رجال العجم ، فما ظنُّكَ بالمرأةٍ منهم إذا كانت مقدِّمة
فيهم (٣) — فرووا جميعاً أنَّ أمَّ تأبط شراً قالت : « والله ما ولدته يَتَنّاً ، ولا سقيته
غَيْلاً ولا أبته على مَاقَةٍ » .

فأمَّا اليتن فخرج رجل المولود قبل رأسه ، وذلك علامة سوء ،
ودليلٌ على الفساد . وأمَّا سقى الغيل ، فارتضاع لبن الحبلَى ، وذلك
فسادٌ شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .

(٣) ل : « عندهم » .

(ما ينبغي للأم في سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأفة ، فإنَّ الصبيَّ يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرَّكته في المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبيُّ وتلك الفرعة أو اللوعة أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعللْ ببعض ما يليه ويضحكه ويسره ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسرى فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فرعٍ أو غيظٍ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل في الفساد . والأمُّ الجاهلة والمرقصة الخرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثر منها ذلك الفساد ، وترادف ، وأعان الثاني الأوَّل والثالثُ الثانيَ حتَّى يخرجَ الصبيُّ مائتماً . وفي المثل : « صاحبي متيق وأنا تتيق » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحق الرفيق والزميل ، وقد استفرغه الضَّجر لطول السفر^(١) فقلبه ملآن ، فأوَّلُ شيء يكون في ذلك المتيق من المكروه لم يحتمله^(٢) بل يفيض ضجره عليه ، لا متلاته من طول ما قاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه المملوك)

فاحتاج حُذَّاق المملوك وأصحابُ العناية التامة ، أن يداووا أنفسهم بالسمع الحسن ، ويشدُّوا من متنيهم بالشراب ، الذي إذا وقع في الجوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرَّك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لا يزال زائداً

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

في مكيال الدم ، زائداً في الحركة المولدة للسرور . هذه صفة الملوك . وعليه بنوا أمرهم ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه .

وقال صاحب السكلب : أمّا تركه الاعتراض على اللص الذي أطعمه أيّاماً وأحسن إليه مراراً ، فإنما وجب عليه حفظ أهله لإحسانهم إليه ، وتعهدهم^(١) له . فإذا كان عهده ببر اللص أحدث من عهده ببر أهله^(٢) ، لم يكلف السكلب النظر في العواقب ، وموازنة الأمور^(٣) . والذي أضرر اللص من البيات غيب قد ستر عنه ؛ وهو لا يدرى أجا ليأخذ أم جاء ليعطى ، أو هم أمره أو هو المتكلف لذلك ؛ ولعل أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقوا ذلك منه بالضرب والإجاعة ، وبالسب والإهانة .

وأما سماجة الصوت فالبغل أسمع صوتاً منه ، كذلك الطاووس على ١٤٠ أنهم يتشاءمون به . وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القمارى والدبّاسى ، وأصناف الشفانين^(٤) والوراشين . فأما الأسد والذئب ، وابن آوى والخنزير ، وجميع الطير والسباع والبهائم فكذلك . وإتمالك أن تدم السكلب في الشيء الذي لا يعم . والناس يقولون : ليس في الناس شيء أقل من ثلاثة أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ الناس بعد مختلطون ممتزجون . وربما كان من الناس بل كثيراً ما تجده وصوته أقبح من صوت السكلب ، فلم تخصّص السكلب بشيء عامّة الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عواؤه من وطء الدابة وسوء جزعه من ضرب الصبيان ، فجزع

(١) ل : « وتعهدهم له » وما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت

ما في ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشفانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرس من وقع عذبة السوط ، أسوأ من جزعه من وقع حافر بردون ؛
وهو في هذا الموضع للفرس أشد^(١) مناسبة منه للحمار .
على أن الديك لا يذكر بصبر ولا جزع .

(نوادر ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الديك : حدثني العتيبي^(٢) قال : كان في اليونانيين ممرور
له نوادر عجيبة ، وكان يسمى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكماء يروون له
أكثر من ثمانين نادرة [مامنها] إلا وهي غرة وعين من عيون النوادر :
فمنها أنه كان كلما خرج من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط
والطهور ، ألقى في أصل باب داره وفي دوارته حجراً ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه^(٤) كلما رجع من حاجته ، فكان
كلما رجع^(٥) لم يجد الحجر في موضعه ، ووجد الباب منصفقاً . فكمن
له في بعض الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينما هو في
انتظاره إذ أقبل رجل حتى تناول الحجر ، فلما نجاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « العتيبي » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتيبي ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هي الصواب كما في ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول ، وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « في بعض الأمكنة في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

الياب ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمت أنه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشَّعر ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمسن الذي يشحذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل في السُّوق فقال : أأأكل في السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس في السُّوق أكل من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاماً غايظاً وسطاً عليه ، وفحش في القول ، وتحلم عنه فلم يجبه ، فقبل له : مامنك من مكافأته وهو لك مُعرض ؟ قال : أرأيت لو رحك حمارٌ أكنت ترمحه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبج عليك كلب تنبح^(١) عليه ؟ قال : لا ، قال : فإن السفية إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون كلباً ؛ لأنه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنما هو كلب ، وإنما أنت كلبٌ نَبَّاح ، وما زال ينبج علينا منذ اليوم ، وكلبٌ من هذا ؟ وبالكلب ابن الكلب ، وأخصاً كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصوف من جز كلبه » ، و « أجمع كلبك يتبعك » ، و « أحب شيء إلى الكلب خانقته » ، و « سمن كلبك يأكلك »

(١) ل : « فإن نبج عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ماو ل .

(٣) ل : « وبالكلب ابن الكلبة وأخص كلباً » .

و « أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوَمَلٌ » ^(١) ، و « كَالسَّكْبِ يَرِيضُ فِي الْآرِيِّ فَلَا هُوَ بِأَكْلٍ وَلَا يَدَعُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ » .

(براقش)

وفي أمثالهم في الشؤم : « عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَأَقِشُ » .
وبراقش : كلبة نبحت على جيشٍ مرؤا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى ، فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم ^(٢) .

(الجن والحن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيلُ المكيُّ عن أَبِي عَطَاءٍ الْعُطَارِدِيِّ قال : سمعت ابن عباس يقول : السُّودُ مِنَ الْكِلَابِ الْجِنُّ ، وَالْبُقْعُ مِنْهَا الْحَنُّ . ويقال إِنَّ الْحَنَّ ضَعْفَةُ الْجِنِّ ، كَمَا أَنَّ الْجَنِّيَّ إِذَا كَفَرَ وَظَلَمَ وَتَعَدَّى وَأَفْسَدَ ، قِيلَ شَيْطَانٌ ؛ وَإِنْ قَوَى عَلَى الْبَنِيَانِ وَالْحَمْلِ الثَّقِيلِ ، وَعَلَى اسْتِرَاقِ السَّمْعِ قِيلَ مَارِدٌ ، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ عَفْرِيتٌ ، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ عَبْقَرِيٌّ . كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَاتَلَ فِي الْحَرْبِ وَأَقْدَمَ وَلَمْ يَحْجَمْ فَهُوَ الشَّجَاعُ ^(٣) ، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ الْبَطْلُ ، فَإِنْ زَادَ قَالُوا : بُهْمَةٌ ، فَإِنْ زَادَ قَالُوا : أَلَيْسَ ^(٤) . فهذا قول أبي عبيدة .

وبعض الناس يزعم أَنَّ الْحَنَّ وَالْجَنَّ صِنْفَانِ مُخْتَلِفَانِ ، وَذَهَبُوا إِلَى قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ حِينَ آتَى بَعْضَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ لِيَكْتَتَبَ فِي الزَّمَنِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمَنِي فَأِنِّي لَزَمِنٌ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَائِهِ مُسْتَكِنٌ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتفصيل والمحاضرة ٣٥٥ والميداني ١ : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقا طريفا للمثل في إكليل الهمداني ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يحجم . . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليس » وهو تحريف .

أُبَيَّتْ أَهْوَى فِي شَيَاطِينٍ تُرِنُّ مَخْتَلَفٍ نَجَارُهُمْ حِينَ وَجَنُّ

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي عَنبَسَةَ^(١) عن أبي الزَّيْبِرِ عن جَابِرٍ :^(٢) قَالَ : أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ ، حَتَّى أَنْ الْمَرْأَةَ لِتَقْدُمَ بِكَلْبِهَا مِنَ الْبَادِيَةِ فَتَقْتُلَهُ ، ثُمَّ نَهَانَا عَنْ قَتْلِهَا وَقَالَ : « عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النِّكَتَيْنِ عَلَى عَيْنِيهِ ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ » .

وعن أبي الزَّيْبِرِ عن جَابِرٍ قَالَ : أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكَلَابِ ، فَكُنَّا نَقْتُلُهَا كُلَّهَا حَتَّى قَالَ : « إِنَّهَا أُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ ؛ فَاقْتُلُوا الْبَهِيمِ الْأَسْوَدَ ذَا النِّكَتَيْنِ عَلَى عَيْنِيهِ ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ » .

١٤٢ وعبد الله وأبو بكر ابنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْتَلَ الْكَلَابَ ، فَكُنَّا نَقْتُلُهَا ؛ فَانْتَهَيْتُ إِلَى ظَاهِرِ بَنِي عَامِرٍ ، وَإِذَا عَجُوزٌ مُسْكِينَةٌ مَعَهَا كَلْبٌ وَلَيْسَ قَرِبَهَا إِنْسَانٌ^(٤) فَقَالَتْ : ارْجِعْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا الْكَلْبَ يُؤْنِسُنِي ، وَلَيْسَ قَرِيبِي أَحَدٌ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبِرُهُ ، فَأَمَرَ أَنْ يَقْتَلَ كُلَّهَا فَقَتَلْتُهُ . وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ^(٥) : إِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِ كَلَابِ الْمَدِينَةِ وَقَتَلَ كُلَّ الْمَرْأَةِ قَالَ : الْآنَ اسْتَرَحْتُ . قَالُوا : فَقَدْ صَحَّ الْخَبَرُ عَنْ قَتْلِ جَمِيعِ الْكَلَابِ ، ثُمَّ صَحَّ الْخَبَرُ بِنَسْخِ بَعْضِهِ وَقَتْلِ الْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ مِنْهَا ، مَعَ الْخَبَرِ بِأَنَّهَا مِنَ الْجَنِّ وَالْحَنِّ ، وَأَنَّ أَمْتَيْنِ مُسِيخَتَا ، وَهُمَا الْحَيَّاتُ وَالْكَلَابُ .

(١) ل : « وَيَحْيَى بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ » .

(٢) فِي ل بَعْدَ هَذَا زِيَادَةٌ : « لَوْلَا أَنَّ الْكَلَابَ أُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدٍ بَهِيمٍ . وَعَنْ أَبِي الزَّيْبِرِ عَنْ جَابِرٍ » . كَمَا أَنَّ الْحَدِيثَ الْآتِي فِي ل رَوَى بَعْدَ الَّذِي يَلِيهِ هُنَا .

(٣) مَاعِدَا ل : « أَنْبَانَا نَافِعٌ » . (٤) ط : « يَقْرُبُهَا إِنْسَانٌ » .

(٥) ل : « قَالَ فِي حَدِيثٍ » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان خطبة إلا أمر بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : اقتلوا الكلاب واذهبوا الحمام .

قال : وقال عطاء : في قتل كلب الصيد إذا كان صائداً أربعون درهما ، وفي كلب الزرع شاة .

(ماورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر ^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصيد بأربعين درهما ، وفي كلب الغنم بشاة ، وفي كلب الزرع بفرق من طعام ^(٢) ، وفي كلب الدار بفرق من تراب ، حق على القاتل أن يؤدّيه ، وحق على صاحب الدار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلاً إذا كان في مقدار الفرق .
وفي قوله : وحق على صاحب الدار أن يقبضه ، دليل على أنه عقوبة على اتخاذه ^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لما لكبه . ولو كان عوضاً أو ثواباً ، أو كان في طريق الأموال المحروص عليها ، لما أكرهه على قبضه أحد ، وإسكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلاً . وفي ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهي عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ماورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
فقال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذ رجل وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مَعْرُورَة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

وعن ابن أبي أنيسة^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال : حدثنا هُنيْدَةُ بن خالد^(٦) الخزاعي
قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعود رجلاً من

(١) ط : « طيسلة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفي ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ماعدا ل : « ابن أبي شيبه » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلباً » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق
قال : حدثنا هيرة » .

(٦) ط : « هنييرة » ، وهو تحريف صوابه في ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلما انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلبُ في وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقي هؤلاء من عمل فلان شيئاً ، كلُّ كلبٍ منها ينقص قيراطاً في كل يوم .

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بـكَلْبٍ صيد ولا زرع ولا ضرع ، فإنه ينقص من أجره كلَّ يوم قيراط ، والقيراطُ ^(١) مثلُ جبل أُحُد » .

يونس عن أبي إسحاق ^(٢) عن مجاهد ^(٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمِّ له تهديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إلى الغنم فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكة لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوري عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ الكلاب من الجن ^(٤) وإنَّ الجنَّ من ضَعْفَةِ الجن ، فإذا غَشِيَكُمْ منها شيءٌ فآلقُوا إليها شيئاً أو اطرِدوه ^(٥) ، فإنَّ لها أنفُسَ سوء .

وهُشَيْم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا يَنْهَوْنَنَا عن شيء من اللعب ونحنُ غلمان ^(٦) إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجمع ، والصواب بالخاء كما في ل .

(٥) كذا جاء في الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء . وانظر الجزء الثاني ص ٢٩٢ .

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقتل ^(١) فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قتادة أن أبا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندي من أبي موسى ليس على ما يظنه الناس ، لأنَّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنَّه كره للفرسان ورجال الحرب ^(٢) اتخاذاً ما يتخذونه الفلاح وأصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغهم لحروب العجم ، وأخذهم في تأهب الفرسان وفي دُرْبَةِ رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمر بقتل الديكة ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذاً الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدجاج يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم أركم ورويت أن الحمام مسخ ، ولا أن بعضه من الجن وبعضه من الجن ، ولا أن أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أن عمر إنما ^(٣) أمر بقتل الديكة حين كره الهراش بها والقمار بها . فاعل كلاب المدينة في تلك الأيام كثير فيها العقور ^(٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أن ولادة المدينة ربمما دَمَرُوا على صاحب الحمام ^(٥) إذا خيف قبله

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « وللرجال » .

(٣) في الأصل « لما » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجدة .

القمار^(١) وظنوا أنه الشرف^(٢) . وذكروا عنه الرَّمَى بالبندق وخديعة أولادهم بالفراخ . فما بالسكم لم تُخرجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري^(٣) والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروى بعضهم في الإربانة أنها كانت خيطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتسكون علامة لها ودليلاً على جنس سرقتها . ورويتم في الفأرة أنها كانت طحانة ، وفي سهيل أنه كان عشاراً باليمن^(٤) وفي الحية أنها كانت في صورة جمل ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لا طها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلتم في الوزغة وفي الحكاة^(٥) ما قلتم . وزعمتم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين^(٦) وتأولتم في ذلك أقبح التأويل . وزعمتم أن الكلاب أمة من الجن مُسخت . والذئب أحق بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنه وحشي وصاحب قفار ، وبه يُضرب

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما في ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفي ل : « به التشرف » ، وفي ط : « أنه السرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط : « الجدى » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاة : عظام مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف في مصر بالسحلية الخضاري .

معجم المألوف ١٥٥ . وفي ط : « الخداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحي والجوانب . وفي الأصل : « أعناق » وهو تصحيف نهبت عليه ص ١٥٢ .

وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدى ، والكلب ألوف وصاحب ديار ، وبه يُضربُ المثل .
والذئب خثور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناسُ في الديار
الكلابَ مقامَ السنابير للفأر^(١) . والذئب مضرّةُ كلّه ، والكلبُ منافعُه
فاضلةٌ على مضارّه ، بل هي غالبيةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفةُ جميعِ هذه
الأشياء النافعة .

والناس لم يطبقوا على اتخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفتهاء والعبّاد
والولاة والنّسّاك ، الذين يأمرّون بالمعروف وينهّون عن المنكر ، والمحتسبة
وأصحاب التكلّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النّكير على^(٢)
١٤٥ ما يشاهدونه منها في دورٍ من لا يعصيه ولا يمتنع عليهم إلا وقد علّموا
أنّه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدّهر ، معنى . وإلاّ فالنّاسُ
في جميع أقطار الأرض لا يُجمعون على مسالمة أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا عُذرهم وأبرزوا صفحتهم^(٣) . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عند
قاض بأنّ في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يرُدّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذُ
الكلاب مأموراً به ، لما كان إلّا كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة^(٤) ،
وجميع الذئب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحمير على حكم حمار
عُزير - لكان ذلك حكماً مردوداً .

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » واللواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١
والنّسار ٣٦٢ .

(ما لا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباباً في دهر الأنبياء ونزول الوحي ،
لا يعرض مثلها في غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الأرض
على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يترأى في السكك^(١) في صورة
سراقة المدلجي ، وظهر في صورة الشيخ النجدي . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإن زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع حاماً طياراً
فقال : « شيطان يتبع شيطانا » ، فخبرونا عن يتخذ الحمام^(٢) من بين جميع
سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرمين والبصريين^(٣) ومن بني هاشم
إلى من دونهم ، أترعمون أنهم شياطين على الحقيقة ، وأنهم من نجل
الشياطين ؛ أو ترعمون أنهم كانوا إنساً فمسخوا بعد جنّاً ؛ أم يكون قوله
لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ وعلى
قول عمر : لأنزاع شيطانه من نخزته^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة^(٥) :
فلما أتاني ما تقول ترقصت شياطين رأسي وانتشين من الخمر

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصريين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهزمة : مقدم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مرة أبو الوجيه العسكلي : « وكان ذلك حين ركبني شيطاني »
 قيل له : وأى الشياطين تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمى كل حية شيطانا . وأنشد الأصمعي :

تلاعب مني حصرمى كأنه تميم شيطان بذي خروع قفر^(١)

وقالت العرب : ما هو إلا شيطان الحماطة . ويقولون : « ما هو إلا شيطان »

يريدون القبح ؛ و « ما هو إلا شيطان » ، يريدون الفطنة وشدة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ما قتلنا إلا شيطان برصاً^(٢)

١٤٦ لأن الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان . قال طفيل الغنوي :

* وشيطان إذ يدعوهم ويثوب^(٣) *

وقال ابن ميادة :

فأما أتانى ما تقول محارب تغت شياطيني^(٤) وجن جنونها

وقال الراجز :

إني وإن كنت حديث السن وكان في العين نبوءة

فإن شيطاني كبير الجن

وقال أبو النجم :

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثي وشيطاني ذكر

وهذا كله [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن ربيعة :

أتانى وأهلى بالدماح فعمرة مسب عويف اللؤم حتى بنى بدر^(٥)

(١) تميم : تلوى . وفي ط : « تنج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما في ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخدواء . وصدر البيت كما في اللسان (شطن ، شيط ، خدا) :

* وقد منت الخدواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : « بالرماح » ل : « بالدماح » . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « حتى بنى بدر » .

فلما أتاني ما يقولُ تَرَقَّصْتُ شياطينُ رأسي وانتشيتُ من الخمرِ

(خرافةُ العذريِّ)

وفد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بني عذرة استهوته الشياطين ، فتحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وَخُرافة حقٌّ » .

(حديث عمر مع الذي استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خناسة دخلَ الجنةَ وخرجَ منها ومعه ورقةٌ من ورقِها ، (١) وأنَّ عمرَ سألَ الرجلَ المفقودَ الذي استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم (٢) ؟ قال : الفول والرَّمة . (٣) وسألَ عن شرابهم فقال : الجذف (٤) . وقال الأعشى :

وإني وما (٥) كلفتموني وربكم لأعلمُ من أَمسى أعقَّ وأحوبا
لكالثورِ والجنِّي يضربُ ظهْرهُ (٦) وما ذنبه أن عافت الماءَ مشربا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجذف بالتحريك : نبات يكون بالبين لا يخرج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير .

وفي ط : « الجذف » وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أن الجن خنقت حرب بن أمية ، وخنقت مرداس بن أبي عامر ، وخنقت الغريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عباد ، واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أملياء بالخرافات ^(١) أقوياء على رد الصحيح وتصحيح السقيم ، ورد تأويل الحديث ^(٢) المشهور إلى أهوائكم . وقد ١٤٧ عارضناكم وقابلناكم وقارضناكم .

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فقد آثم ^(٣) » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرع والضرع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلب الضرع إلا ليحرس الماشية وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلب عند طروق الأسد والنمر والذئب وجميع ما يقتات اللحمان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويجهج بها بعض الهجعة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوافى إليها ^(٤) من يذود عنها ، إذ ليس في هذا القياس أنا متى وجدنا دهرأ تكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السرّاق ، وتظهر فيه الثقبوب ، ويشيع فيه التسلق ، فمن إذا أفضى إلى منزل القوم لم يرض إلا بالحرية ^(٥) ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريد حتى يمرّ على النساء مكشّفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يدلاً ألا يرضى أن يتوعّد بذبح الأولاد [و] أن يتقى بالمال ، ^(٦) حتى يذبح ،

(١) ل : « ملأ بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب في ل .

(٣) ط : « فهو آثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يعيش به الإنسان ، أو المال الذي يسلب منه . وفي ط : « بالحرية » .

(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمسكن شيئاً أو أمن قليلاً ، أن يركب الحرّم بالسوءة العظمى
وبالتى لاشوى لها ^(١) . فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورن ليلاً ، ونساء المصريين ^(٢)
يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصريين ^(٣) لا يُرين
ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمسكان كثرة من يستقى ويتحوب ^(٤) للنقب
والتسلق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين ^(٥) والحياطة ،
وأيهما أشبه بالتغريير والإضاعة : اتخاذ السكّاب التى لاتنام عند نوم من
قد دأب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة السراق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أننا لو حللنا ^(٥) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب
الناس ^(٦) ، وبين اتخاذ السكّاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولامتنع
كل محروس من إعطائهم ^(٧) تلك الأجرة ، ولوجد اللصوص ذلك من أعظم
الغنم وأجود القرض ^(٨) . أو ما تعلمون أن هذا الحرّم ، وهذه الحرمات ^(٩) وهذه
العقائل من الأموال ، أحق بالمنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من
حفظ الغنم وحرّم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لاجتمع على قطيع واحد ، والذي يخاف من الذئب
السلة والخطفة ^(١٠) ، والاستلاب والاختلاس . والأموال التى فى حوانيت

(١) يريد بالإصابة التى لا تخطئ .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرمة .

(٧) فى الأصل : « إعطائه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « القرض » .

(٩) ط : « الحرّيمت » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن تُجِب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمَّ يحال دون دون ذلك ^(١) بسيوف الهذ وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لولا ^(٢) أنهم قد أحسُّوا من أنفسهم الجراحة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنَّ قلوبهم أشدَّ من قلوب الأسد لما خرَّجوا ، على أنَّ جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أنَّ السلطان لم يُؤَلَّ ^(٣) إلَّا لما كانهم . و [الكلاب لم تُتخذ إلَّا لِ [الإنذارِ بهم ، وعلى أنهم إن أُنذِرَ بهم قاتلوا قتالَ من لا ينجيه إلَّا القتال ، وعلى أنهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأموناً عليها من أهل الفساد ^(٤) وكان أكثرُ كلابها عقورا ، وأكثرُ فتيانها من بين مُهارشٍ أو مقاميرٍ . والكلبُ العقورُ والكلبُ السكَبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب السكَب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وَجُهَّالُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أنَّ آباءها وأمهاتها ^(٥) كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الخطب . فأحسب أنَّ آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أولى » والصواب في ط .

(٣) ط : « يولم » .

(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أباهها وأمهاتها » والوجه ما في ل .

وأَمَّهَاتِهَا قد كُنَّ يَعْرِفْنَ فَصْلَ (١) مَا بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَنَبِّئِي ، وَأَنَّهُنَّ اعْتَقَدْنَ عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَى تَقْصِيرٍ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنْ مُعَانِدَةٍ بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ حَتَّى فَعَلْنَ ذَلِكَ - كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ هَذِهِ الَّتِي نَقْتُلُهَا هِيَ تِلْكَ الْجَاهِدَةُ لِلنَّبَوَّةِ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرَّبُوبِيَّةِ ، وَأَنَّهُمَا لَا تَتَنَاكَحُ وَلَا تَتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ (٢) أَنْ تَقْتُلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا مِنْ طَرِيقِ الْمَحَنَةِ وَالتَّعَبُّدِ (٣) وَإِمَّا إِذَا (٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَضَى عَلَى جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ الْحَجَرُ عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أَجْرَى مَوْتَ جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ فَعْلٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ، عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا فَتَرَكَ النَّاسُ لِلْعِلَّةِ وَرَوَوْا الْخَبَرَ (٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَلِ ، مُجَرَّدًا غَيْرَ مُضْمَنٍ (٦) . وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخِرَ السَّكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوَّلَهُ ، وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا السَّكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ دَارَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ سَائِعٌ (٧) غَيْرَ مُسْتَنَكَّرٍ وَلَا مَدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل : « فصل » .

(٢) ل : « في البدئ الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مبرز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويتم [في الفواسق ما قد رويتم في ^(١) الحية والحدأة والعقرب
والفأرة والغراب ، ورويتم] في الكلب العقور ، وكيف يُقتلَن ^(٢) في الحل
والحرَم . فإن كنتم فقهاء فقد علمتم أن تسمية الغراب بالفسق ، والفأرة
١٤٩ بالفؤيسة ؛ أن ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق ^(٣) ، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فجرها إلا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه .
وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم :
« من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ^(٤) فلا يقربن مصلانا » وهو على غير
قوله عز وجل ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعض الرُّجَّاز
وذكر ذنباً :

أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالغائطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسَطَ غَنَمِي يَعِيبُ وَصَحْتُ بِالْغَائِطِ يَخْبِيبُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطِّ
في القرطاس ، وإن اختلفت أماكنه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام .
وهذه جملة ، وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل : « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما في ل .

(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنَا بقتل الحيَّة والعقرب ، والمذئب والأسد ، على معنى ينتظم معنيين ^(١) : أحدهما الامتحان والتعبُّد بفكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمِرْنَا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العَصَى لا تُغْنِي فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤَمَّرْ بالقصد إلى قتله ، وإنما الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره ^(٢) . وقد أُمِرْنَا بالقصد إلى قتل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛ لأنَّ جنسها الجنسُ المتلف متى همَّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغى بالسَّيف إلَّا وهو مقبلٌ غيرُ مدبرٍ ، ولنا أن نقتل الحيَّة مقبلةً ومدبرةً ، كما يُقتل الكافرُ مقبلاً ومدبراً ؛ إلَّا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان ^(٣) والعقوبة ، وليس في قتل الحيَّة إلَّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن بحبسها ^(٤) والاحتياط لمنعها ، دونَ قتلها . وإذا ولى الباغى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤنَّسَ منه الزُّورُ . وسبيل الأحناسر والسَّباع وذوات السموم من الهمج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرةً . وقد أُبِيحَ لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل : « معنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جنائياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .

١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسان
قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ السكّاب والحكّاءِ
وأنّ الحمامَ شيطان ، من جنس المزاح الذى كنّا كتبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) ممّن يدعى علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافات وهذه الفطن
الصغار ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشَّنَقْنَقُ والشَّيْصَبَانُ^(٢) وتنسكوير^(٣) ودركاذب^(٤)
ومَن قاتل امرأة ابن مقبل ؟ ومن خانق الغريض^(٥) ؟ ومن هاتف سعد^(٦) ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشَّنَقْنَقُ والشَّيْصَبَانُ - زعموا - : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ
في الجزء السادس . وانظر الثمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشيصبان » محرفاً .

(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفي الرسائل : « دركاداب » .

(٥) الغريض هو عبد الملك ، كان مولداً من مولدى البربر ، وولاه للثريا صاحبة عمر
ابن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغاني ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابي كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالسكامل ، لمعرفة الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ١٥ وزعموا
أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين فلم نخط فواده

وخبّرنا عن بنى أقيش^(١) وعن بنى لبنى ، ومن زوّجها ؟ وعن بنى غزوان
ومن امرأته ؟ وعن سملقة وزوبعة^(٢) ، والميدعان^(٣) ، وعن النقاد ذى الرقبة^(٤)
وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم^(٥) ، وعن أطيّقس اسم كلب
أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنج من سمّاه^(٦) ؟ وأين
بلغ كتابُ شَرطهم ؟ وكيف حدّثوا عن ابن عباسٍ في الفأر والقرد والخنزير
والفيل والأرنب والعنكبوت والجُرّيّ ، أنهنّ كلّهنّ مسخ [وكيف خُصّصت
هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نصدّق بهذا الحديث عن ابن عباس ؟
وكيف صارت الظباءُ مامشية الجنّ ؟ وكيف صارت الغيلان تُغيّر كلّ شيء
إلا حوافرها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشت من ضربتين^(٧) ؟ ولم صارت
الأرانب والكلاب والنعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا
السّواحر ؟ وبأى شيء زوّج أهلُ السّعلة ابن يربوع ؟ وما فرق ما بينه وبين
عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على يد حرمي

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا مردا من قوارير التيجان ١٦٦ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبي في ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ،
وقد عجن دواء أصفر لكل ماثرب له ، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ،
فصار مثالا في البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٥ : « كان
لعبيد الله بن أبي بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاشي ،
وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . في ط : « أشعار بأصفر
سليم » وهو تحريف صوابه في ل ، س و م .

(٦) ط : « أطيّقس » . وفي ل : « من سمّاها » وهو تحريف . وانظر قول السيرى في كلب
أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا في الجزء السادس ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

وأبى منصور^(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه
شفشف^(٢) ؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالى ، وبين شيطان الخضراء^(٣)
وشيطان الحماطة ؟ ولم غلق السمك المالح بأذنايه [والطرى بأذانه]^(٤)
وما بال الفراخ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل
لسانه مما يلي الحلق^(٥) وطرفه مما يلي الهواء ، إلا لسان الفيل ؟ ولم قالت
الهند : لولا أن لسانه مقلوب لتسكلم ؟ ولم صار كل ماضغ وآكل يُحرّك فكّه
الأسفل ، إلا التماسح [فإنه^(٦)] يحرك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان
الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان العالية ؟ وما بال عين
الجرادة وعين الأفعى لا تدوران ؟ وما بيضة العُقر^(٧) وما بيضة الديك ؟
ولم اذتبع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأباتى العقوق^(٨) وما بال لسان سمك
البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء
على وجهه^(٩) ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكره ،

(١) ل : « سمية نصير على يد جرى . . الخ » .

(٢) ل : « سفشف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنايه » . وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكية ، فليس للسمك
أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل : « مما يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة المقرقيل هي التي تمتحن بها المرأة عند الافتضااض
أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهي
أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب ^(١) شِقْشِقَةُ البعير وغُرْمُول الحمار [والبُغْل] وكَيْدُ الكوسج
بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان ؟]
ونخبرني عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل ^(٢) وإذا أُوقِدَت النارُ
أَمَسَكَتْ ^(٤) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة . لنردَّكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر ^(٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائل ، واستطَرَفْتَ هذا المذهب ، فاقْرَأ رسالتي ^(٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهي مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لا يحيط بها ^(٦) إلَّا من أطالَ الكلام . وجملة
ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهي الضُّراء ، وواحدُها ضِرْوَةٌ ^(٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلَّا السَّلُوقِيَّةُ ؛ وهي من أحرار الكلاب
وعتاقها ^(٨) ، والجلّاسية ^(٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيِّها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضئدع . وفي ط : « تنق » ، والنقيق إنما هو لليوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي
الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) في الأصل : « فاقدر رسالتي » والوجه « فاقْرَأ » .

(٦) ل : « لا يحصيا » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل : « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » وصححت كما ترى .

(٩) ط : « الجلّاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهي كرادتها^(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلَوقِيَّةِ ، ولكنَّها تقصِّرُ عن السَّلَوقِيَّةِ بعيداً . وسَلُوقٌ من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة^(٢) :

تَمْتَدُّ السَّائِقُ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَّاحِبِ
وقال الأصمعيّ : سَمِعْتُ بَعْضَ الْمُلُوكِ وَهُوَ يَرْكُضُ خَلْفَ كَلْبٍ وَقَدْ دَنَا
خَطْمُهُ مِنْ عَجَبِ ذَنْبِ الظُّبْيِ^(٣) وَهُوَ يَقُولُ : إِيْهِ فَدَتْكَ^(٤) نَفْسِي !!
وَأُنْشِدُ لِبَعْضِ الرِّجَازِ^(٥) :

* مَفْدِيَّاتٌ وَمَلْعَنَاتُ^(٦) *

قال صاحب الديك : فلمّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللّؤمِ والنَّذالةِ ، والحرصِ والشَّرهِ^(٧) ، والبذاء والتسرُّعِ وأشباه ذلك ، صاروا يشتقُّون من اسمه لمن هجّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

وَاسْتَغْنِ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ قَبْلَكَ لَامِرِيٌّ ذَهَبُهُ^(٨)
يَرِدُ الْحَرِيصُ عَلَى مِتَالِفِهِ وَاللَيْثُ يَبْعَثُ حَيْنَهُ كَلْبُهُ

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كَلَيْفِي لِمَ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ السَّكَاكِبِ

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إِيْهَا » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديّات ومحميات » .

(٧) في الأصل : « الشدة » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليلة وجبة » . وفي ل : « الوجنات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحموده أكثر -
قال عامر بن الطفيل^(٢) :

ومدجج يسعى بشكته حمرة عيناه كالكلب^(٣)
ومن ولد ربيعة بن نزار كلب^(٤) بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ،
ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع
أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من
جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا
الباب كليب^(٥) بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وبرة . ومنه
بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سِكْفِيك من ابني نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع^(٦) ٦٥٢
والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري . وبنوها بنو الكلبة
الذين سمعت بهم - تزوجها خزيمه بن [النعمان] من بني ضبيعة بن
ربيعة بن نزار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عذرة^(٧) الضبعي

(١) في الأغاني (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .

(٢) في الأصل : « كلما » والوجه ما أثبت .

(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٤) ل : « أكلب »

(٥) ل : « كلب » .

(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .

(٧) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد في خزائن الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفي الأمالي (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة)

وفي فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعة) وفي القاموس (شبيل

ابن عروة) وفي ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا

كله ما أثبت من ل ، ومانبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٤ جوتنجن . وقد نهت على ذلك في تصحيح الخزائن . =

صاحب الغريب — وكان شيعياً من الغالية ^(١) ، فصار خارجياً من الصُّفوية — :

بنو كلبية هَرَّارة وأبُوهُمُ خَزِيمَةُ عَبْدُ خَامِلُ الْأَصْلُ أَوْ كَسُ

وَفِي مَيَّةَ [الكلبية] يَقُولُ أَبُوهَا ، وَهُوَ عِلَاجُ بْنُ شَحْمَةَ ^(٢) :

إِنَّ تَكُّ قَدْ بَانَتْ بِمَيَّةَ غَرَبَةً فَقَدْ كَانَ مِمَّا لَا يُمَلُّ مَزَارُهَا ^(٣)

دَعَتْهَا رِجَالٌ مِنْ ضُبَيْعَةِ كَلْبِيَّةٍ وَمَا كَانَ يُشْكِي فِي الْمَحُولِ جَوَارُهَا ^(٤)

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القرى والبلدان والناس وغير ذلك ،

قَوْلُهُمْ فِي الرَّقْعَةِ الَّتِي كَانَتْ بِإِرمِ الكلبية ^(٥) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : حِينَ نَزَلْنَا مِنْ

السَّارَةِ صَرْنَا إِلَى نَجْدِ الكلبية .

وكان سبب خروج مالك بن فهم بن غنم بن دوس إلى أزد شنوءة من

السَّارَةِ ^(٦) أَنَّ بَنِي أُخْتِهِ قَتَلُوا كَلْبِيَّةً لَجَارِهِ ، وَكَانُوا أَعَدَّ مِنْهُ ^(٧) فغضب ومضى ،

فَسَمَّى ذَلِكَ النَجْدَ الَّذِي هَبَطَ مِنْهُ نَجْدُ الكَلْبِيَّةِ .

[وَبَطَشُوجُ بِأُدُورِيَا نَهْرٌ يَقَالُ لَهُ : نَهْرُ الكَلْبِيَّةِ] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشييل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في الغريب ، وكان أولاً رافضياً ثم انتقل إلى السَّارَةِ وبرىء من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شَحْمَةُ » .

(٣) ط : « مِيَالَا يَمَلُّ » وهو تحريف .

(٤) ل : « فِي الْمَحَلِّ » .

(٥) إرم الكلبية : موضع قريب من النجاف بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « مِنْ أَزْدِ شَنْوُوءَةٍ بِالسَّارَةِ » .

(٧) أعد منه : أكثر عدداً . وفي ل : « أُنجِدَ » . وفي ط : « لَجَارِهِ » موضع « لَجَارِهِ » .

عَبَّادُ بْنُ أَنْفِ الْكَلْبِ . وَمِنْ ذَلِكَ أَبُو عَمَرَ الْكَلْبُ الْجَرْمِيُّ النَّحْوِيُّ ^(١) ،
وَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْعِلْيَةِ عَالِمًا ، عَرُوضِيًّا [نَحْوِيًّا] فَرَضِيًّا . وَعَلُوبِيَّةٌ ^(٢) كَلْبُ الْمَطْبَخِ ،
وَكَانَ أَشْرَبَ النَّاسِ لِلنَّبِيذِ ، وَقَدْ رَاهَنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ .

وَالْكَلْبُ : كَلْبُ الْمَاءِ ، وَكَلْبُ الرَّحَى ^(٣) وَالضُّبَّةُ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْكَلْبُ .
وَكَذَلِكَ الْكَلْبَةُ وَالْكَلْبَتَانِ ، وَالْكَلَّابُ وَالْكَلُّوبُ .

وَقَالَ رَاشِدُ بْنُ شِهَابٍ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى :

أَمْكُنْ كَلَّابَ الْقَنَا مِنْ ثَغُورِهَا وَأَخْضِبْ مَا يَبْدُو مِنْ اسْتَاهَا بِدَمٍ ^(٤)

[وَقَالَ] :

فَسَوْفَ يَرَى الْأَقْوَامُ دِينِي وَدِينَكُمْ إِذَا كَلَبْنَا قَيْنٍ وَمِقْرَاضُهُ أَزَمٌ ^(٥)
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

مَا زَالَ مَذْكَانٌ غُلَامًا يَسْتَرُ ^(٦) لَهُ عَلَى الْعَيْرِ إِكَاْفٌ وَثَفَرٌ
* وَالْكَلْبَتَانِ وَالْعَلَاةُ وَالْوَتَرُ *

وَقَالَ أَشْهَبُ بْنُ رُمَيْلَةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بَنِي مَجَاشِعَ بِأَنَّهُمْ قَبِيُونَ : ١٥٣
يَاعَجِبَا هَلْ يَرْكَبُ الْقَيْنُ الْفَرَسَ وَعَرَقُ الْقَيْنِ عَلَى الْخَيْلِ نَجَسٌ ^(٧)
وَلَمَّا أَدَاتَهُ إِذَا جَلَسَ الْكَلْبَتَانِ وَالْعَلَاةُ وَالْقَبَسُ
وَكَانَ اسْمُ الْمَزْنُوقِ فَرَسٍ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ : الْكَلْبُ .

(١) هُوَ صَالِحُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَرْمِيِّ ، مَوْلَى جَرْمِ بْنِ رَبَّانٍ ، أَخَذَ عَنِ الْأَخْفَشِ وَيُونُسَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ،
وَحَدَّثَ عَنْهُ الْمُبَرَّدُ وَمَاتَ سَنَةَ ٢٢٥ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَبُو عَمَرُو » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . انْظُرْ
نَزْهَةَ الْأَلْبَاءِ ١٩٨ وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ٢٦٨ وَوَفِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « عَلْمُوبِيَّةٌ » . مَحْرُوفٌ . وَانْظُرْ الْخِيَوَانَ ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرَّحَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) ط : « مِنْ نَحْوِهِ » .

(٥) ط : « كَلَبْتَ قَيْنٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي ل : « بَدَمٌ » بَدَلُ « أَزَمٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) ل : « تَسْتَبِرُ » .

(٧) ل : « لَحَسَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَأَشْهَبُ يَهْجُو بِهَذَا الشَّعْرَ الْفَرَزْدَقُ . وَانْظُرْ خَبَرَ الشَّعْرِ

فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ ٢ : ٥١٠ بِوَلَاقٍ .

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أَيْامِ هَرَامِيَتِ^(١) إنما كان سببه كلب -
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح :
كلاب النار .

وقد قال جندلُ بن الراعي [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالكَ تُطبل
الوقوفَ على كلبِ بني كليب ؟ !
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عابِكُكُمْ وأصابكم مِنّا عذابُ مُرْسَلُ
إِنَّ السَّماوَ لاسِماوَ فالحقُ بمنابِتِ الزَّيتونِ وابْنِي جندلُ^(٢)
وبأرضِ علكُ في السواحلِ إنَّها أرضُ تَدوبُ بها اللِّقاحُ وتَهزلُ
وقال حُصَيْن بن القَعْقاعِ^(٣) يرثي عُتَيْبَةَ بن الحارث :

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرِ خِنْدِفَ كُلِّها بعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شِهابِ
قَتَلُوا ذُوأَباً بعدَ مَقْتَلِ سَبْعَةٍ فَشَفَى الغَلِيلَ وَرِيَّةَ المِرتابِ
يومَ الحَلِيسِ بذى الفَقارِ كَأَنَّهُ كَلِبٌ بِضَرْبِ جِماجِمِ وَرِقابِ
وقال آخر^(٤) :

لِلَّهِ دَرُّ بنى الحِدااءِ مِنْ نَفَرٍ وَكُلُّ جَارٍ على جِيرانِهِ كَلِبُ
إِذا غَدَوْا وَعِصَى الطَّلَحِ أَرَجُلُهُم كَمَا تَنْصَبُ وَسَطَ البَيْعَةِ الصُّلْبُ
وَإِذا كانَ العُودُ سَريعَ العُلوقِ في كُلِّ زَمانٍ أَوْكَلُ أرضِ^(٥) ، أَوْ

(١) يومِ اهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق
٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س والأغاني ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الأصل : « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

في عامة ذلك قالوا : ما هو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وزير بن] جابر ^(١) حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدر كنه أم كلبته » يعني الحمى .

ومما ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :
* لاقيت مطلاً كنُعاس الكلب ^(٢) *

يقول : مطلاً مقررماً ^(٣) دائماً . وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم كعين الكلب في هي قباع ^(٤)

قال : هذه أرض ذات غبرة من الجذب ^(٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذي يهتدى به إلا وهو كأنه عين الكلب ، لأن الكلب أبداً مُغمضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والمُهي : الظلمة واحدها هاب ، والجمع هي مثل غازٍ وغزى . والقباع : التي قبعت في القتام ، واحدها قابع ، كما يقبّع القنفذ وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرق الجارات بالليل قابعاً قبوع القرنبي أخلفته مجاعره ^(٦)

والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرنبي : دويبة أعظم من الخنفساء .

(١) كان من وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .

(٢) للشعالبي قول في هذا البيت بشار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل القرمطة : مقارنة الخطو .

(٤) ط : « هيا » والصواب في ل . وانظر الميداني (كعين الكلب الناعس) .

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل : « أسلمته مجاعره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر في الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلَّتْ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمَها كلبٌ عَوَى متهِمَّ الأسنانِ^(١)

وقال الشاعر في منظور بن زبَّان :

لبئس ما خَلَفَ الآباءَ بعدهمُ في الأمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظُورُ
ومن هذا الضرب قول الأعرابي^(٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيْنَا لصغرى فَيَّ من أهلها لا يَزِينُها
كَلابٌ لعاب الكلب^(٣) إن ساق هَجْمَة

يَعْدُبُ فيها نَفْسَه وَيُهِنُها

وقال عمرو بن معديكرب^(٤) :

لحَا اللهُ جَرَمًا كَلَمًا ذَرَّ شَارِقَ وجوهَ كِلَابٍ هَارِشَتْ فَازْبَارَتْ

وقال أبو سفيان بن حرب :

واوشئتُ نَجْتَنِي كُؤِمِيتُ طِمِرَّةُ ولم أَجْعَلِ النِّعَاءَ لابنِ شَعُوبِ
وما زال مُهْرِي مَزَجَرَا الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غَدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « إن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير في ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الخزائن ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكري ٤٢ وحامسة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِعٍ
وَقَالَ شَرِيحُ بْنُ أَوْسٍ (١) :

وَعَيَّرْتَنَا تَمَرَّ الْعِرَاقِ وَنَحْلَهُ
وَزَادَكَ أَيْرُ السَّكَلَبِ شَيْطَهُ الْجَمْرُ

وَقَالَ آخِرُ (٢) وَهُوَ يَهْجُو قَوْمًا :

فَجَاءَا بِخَرْشَاوَى شَعِيرٍ عَلَيْهِمَا
كَرَادِيسٌ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَ سَافِدِ

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ الْوَلِيدِ :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا
هَشُّوا وَقَالُوا : مَرْحَبًا بِالْمُقْبِلِ

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ
وَلُغُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلِ

وَقَالَ سَبْرَةُ بْنُ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ ، حِينَ ارْتَشَى ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيِّ ، وَنَفَرَ عَلَيْهِ

عِبَادُ بْنُ أَنْفِ السَّكَلَبِ الصَّيْدَاوِيِّ (٣) فَتَمَالَ سَبْرَةُ :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أَمْلَكَ هَابِلُ
وَالْحَسْبُكُمْ مَسْئُولٌ بِهِ الْمُتَعَمِّدُ

أَحْفِظْتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمَثَلِهَا لَا يُنْشَدُ

شَعَاءَ فَاقِرَةٍ تَجَلَّلُ نَهْشَلًا
دَنْسًا تَغُورُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ

إِنَّ الرِّفَاقَ أَمَالٌ حَكَمَكَ حُبُّهَا
فَلَكَ اللَّقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فَضَحَ الْعَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَ كَأَنَّهُ
كَلْبٌ يَبْصِصُ لِلْعِظَالِ وَيَطْرُدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَاسْكُنْ دُونَهَا
خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابُ شَوْكَتِهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَتَا زَيْفِيَّةَ
غَلِمٌ يَشُورُ عَلَى الْبِرَاقِ أَعْقَدُ

وَقَالَ مَزْدَدُ بْنُ ضَرَارٍ :

وَإِنَّ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ
تَهَرُّ عَلَيْهَا أُمُّكُمْ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقري كما في ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمالي المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف السكلي » ، محرفة .

وفي الأصل : « الصيداني » ، وإنما هو منسوب إلى بني الصيداء . المعمرين ٤٣ .

وليت الذي ألقى فناؤك رحله لتقرّيه بالت عليه الشّعالبُ
وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْر الأعضاء .

وقال :

ياسبرُ يا عبدَ بنى كلابٍ يا أيرَ كلبٍ مُوثقٍ ببابٍ
أكان هذا أوّلَ الثّوابِ يا ورلاً رَقْرَقَ في سرابٍ
* لا يعلّقنّسكُم ظفري ونابِي *

وقال الآخر (١) :

كانَ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلَمَى حجارةٌ خارىٌّ يرمى السِّكِلابَا
وقال صاحب السكلب : ومما اشتقَّ من اسم السكلب في موضع ١٥٦
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائل . ويقال إنّه قيل في رجلين
من بنى ربيعة ما لم يُقَلَّ في أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قولهم : « أعزُّ من كليبٍ وائل » ، والآخر : « لاجرٌ بوادى عَوْف » .
قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّض حوضاً ،
وكان يحمى السكلا ولا يُتسكَّمُ عندهُ إلّا خفصاً ، ويجرى الصيد ويقول :
صيدُ أرضٍ كذا وكذا في جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كتّعه (٢)
فرمما قذّف به في الروضة تعجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقّيه بحريم
الحوض فلا يرده بعير حتّى تصدُرَ إبله .

(١) هو جرير كما في البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٢٩٩ .

(٢) كتّعه بمعنى شدّ قوائمه . وانظر أمثال الميداني ١ : ٤٤٦ وانمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التيمي ^(١) :

أظنَّ ضِرَارُ أُنِّي سَأْطِيعُهُ وَأُنِّي سَأْطِيعُهُ الَّذِي كُنْتُ أُمْنَعُ
إِذِ اغْرورقت عيناه واحمرَّ وجهُهُ وقد كادَ غِيظاً وجهُهُ يَتْبَضَعُ ^(٢)
تَقَدَّمَ فِي الظلمِ الْمُبِينِ عَامِداً ذراعاً إِذَا مَا قُدِّمْتُ لَكَ إِصْبَعُ ^(٣)
كَفَعَلِ كَلِيبٍ كُنْتُ أَنْبُتُ أَنَّهُ يَخْلُطُ أَكَلَاءَ الْمِيَاهِ وَيَمْنَعُ ^(٤)
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَرَانِبِ ضَاحِ وَالْظُبَاءِ فَتَرَعُ
وقال دريد بن الصمة :

لَعَمْرُكَ مَا كَلِيبٌ حِينَ دَلَّى بِحَبْلِ كَلْبِهِ فِيمَنْ يَمِيحُ ^(٥)
بِأَعْظَمَ مِنْ بَنِي سَفِيَانٍ بَغِيًّا وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِيحُ ^(٦)
وقال العباس بن مرداس :

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كَلِيبٌ بِظُلْمِهِ مِنَ الْعَزِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يُنْزَلُ الْكَلْبُ مَائِحَا وَإِذْ يُمْنَعُ الْأَكَلَاءُ مِنْهَا حُلُولُهَا ^(٧)
وقال عباس أيضاً لسكليب بن عهمة الظفري ^(٨) :

(١) هنا ينتهي السقط في ل .

(٢) ط : « يتبضع » .

(٣) ل : « إذا ما أرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحلى) .

(٥) ط : « كلبية فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يترك الكلب » وتصحيحه من ل . وفي ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « عيمة » وفي الإصابة ٧٤٤٨ : « عيمة » .

أَكْلِبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَلَمَ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
تَبْغِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ
وَإِخَالُ أَذْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال الذابغة الجعدي :

١٥٧

كَلِيبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمَسْهَمِ
وقال قَطِرَانُ الْعَبْشِيُّ ، [ويقال الْعَبْشِيُّ ^(٢)] :

أَلَمْ تَرِ جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ لَمْ يَرِدْ حِمَى وَائِلٍ حَتَّى احْتَدَاهُ جَهْلُهَا^(٣)
أَجَرَ كَلِيبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدَتْ وَائِلًا حَتَّى اسْتَخَفَّتْ عَقُولُهَا^(٤)
بَاهُونَ مِمَّا قُلْتَ إِذْ أَنْتَ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا^(٥)
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة ^(٦) :

نَحْنُ أَبَسْنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَخَيَّلَا^(٧)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مَتَذَلِّلَا^(٨)
وقال رجل من بني سدوس :

وَأَنْتَ كَلِيبِي لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سنانها مسنون » .

(٢) كذا . ولعله « العبسي » .

(٣) ط : « اعتداه » .

(٤) ط : « حدث وائلا » .

(٥) ط : « دال » .

(٦) في الأغاني ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام ، وهي

تنسب للأعشى » .

(٧) أبسنا : قهرنا وأذلنا . وفي ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .

(٨) أباناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفي ط : « أنابته بالناب » وليس بشيء .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أم بكرٍ إذ تبدد رهطها وأن أصبحوا منهم شريد وهالك
وإن كلاً حييكَ فيهم بقية لو أن المنايا حالمها متماسك^(١)
كلاب وكعب لايبيت أخوهم ذليلاً ولا تعيى عليه المسالك^(٢)

وقال رجل من بني كلاب من الخوارج^(٣) ، لمعاوية بن أبي سفيان :
قد سرت سيرة كليب في عشيرته لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جساس
لطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد ، أعيافتها الآسى^(٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أول عمل وليه
الحجاج بن يوسف تبالة ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،
وعلى أي سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أراني أميراً
إلا على موضع تسترنى منه أكمة ، أهون بها علي ؟ ! وكرراً راجعا ، فقبل
في المثل : « أهون من تبالة على الحجاج » .

والعامة تقول : هو أهون علي من الاعراب على عركوك^(٥) .

١٥٨

(١) ل : « وإن كلى حييكَ منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيى عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قاتل الشعر هو بشير بن أبي العبيس .

(٤) المائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفي ط : « عاندها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن

عرض » . وفي النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .

هذا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على

النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاج الوفاة وقد ولى قبل ذلك ما ولى ،
وافتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموت اسمه كليب ، وأنت اسمك الحجاج .
قال : فأنا والله كليب ، أئى سمتنى به وأنا صبي . فمات ، و [كان]
استخلف على الخراج ^(١) يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنما كانت تسمى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجعل ،
وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى ^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتفاعل فيه الشدة ^(٣) والصلابة ، والبقاء والصبر ، وأنه يحطم
ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذنباً أو رأى ذنباً ، تأوّل فيه الفطنة
والخبّ والمسكر والكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعْد الصوت ،
والكسب وغير ذلك .

(١) فى الأصل : « الخواارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت
كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدّة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ - ٦

ولذلك صَوَّرَ عبيد الله بن زياد في دِهليزه كلباً وكبشاً وأسدّاً ، وقال :
 كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيرُ إلى ذلك فطارت عليه .
 وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنّما كان يسمّى ابنه بحجر وجبل ،
 وكنب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاًّ سَمَى
 بـِرِذون^(١) ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
 قال الأوّل : إنّما لم يكن ذلك ، لأنّه لا يكاد يرى بغلاً وبرِذونا ،
 ولعلّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيقة لأُمورٍ لعلهم
 يحتاجون إليها يوماً ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبغير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
 كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقاً محموداً . بل كيف صار ذلك كذلك
 ونحن نجده يسمّى بنجم ولا يسمّى بكوكب ! إلّا أن بعضهم قد سمّى بذلك
 عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إِنِّمُتْ فَهَيَّ مَيْتَى لَا مِتَّ إِلَّا هَرِمًا يَا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمّون بأحد ولا بشير
 وأجاء وسلمى ورَضوى ، وصنْدٍ وحَمِيم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا
 رُغُوسَهم من خيامهم . ويسمون بِرُج ولا يسمون بفَلَك ، ويسمون بقَمَر
 وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسمّوا بأرض وسماء ، وهواء ١٥٩
 وماء ، إلّا على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أن جبلاً أبلغ

(١) في الأصل : « سى برذون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لهما « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تَغْنِ وَلَوْ سَقُوا (جبال حنين) ماسقت لغنت

من حجر ، وطودا^(١) أجمع من صخر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .
وقد سَمَّوا بأسد وليث وأسامَة وضرغامَة^(٢) . وتركوا أن يسمَّوا بسبع
وسبعة . [وسبع ^(٣)] هو الاسم الجامع لكل ذى ناب ومخلب .
قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوا بأبّان وسلَمَى .
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت
لها أسماء تركت لثقلها ، أو لعلّة من العلل ؛ وإلّا فكيف سمَّوا^(٤) بسلمى
وتركوا أجاً ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربّما فعلوا ذلك على أن يتفق لواحدٍ ولودٍ
ولمعظمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمّارا ، فيسمّى ابنه بذلك ؛ وكذلك
الكلب والذئب ، ولن يتفق في ذلك الرقت أن يسمع بذكر فرس ولا حجرٍ
أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمّار ، أو ثور ، أو كلب اسم رجلٍ معظم ،
تتابعت عليه العرب تطيرُ إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصّة بعده . وعلى
ذلك سمّت^(٥) الرعية بنينا وبناتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك
صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكلُّ عُمرٍ يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك .
فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليٌّ كالسَّمَاء والأرض والهواء والماء والنار ،
وأسماء أخرى مشتقاتٌ منها على جهة النعال ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) في ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامَة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) ط : « بسما » وصوابه في س .

(٥) في الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبتته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا ، ويسمى عمير ابنه عمران ، ويسمى عمران ابنه معمرا . وربما كانت الأسماء بإسماء الله عز وجل مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمى إبليس بفاسق ، وربما كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء ؛ مثل يوم العروبة سميت في الإسلام يوم الجمعة ، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعود إلى موضعنا الأول إن شاء الله تعالى .

ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان : الحُمْلان والمَسْكُس .
وقال جابر بن حنّ (١) :

أَفَى كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَسْكُسٌ دِرْهَمٌ
وكما قال العبدى في الجارود (٢) :

أَيَا ابْنَ الْمَعْلَى خِلْتَنَا أَمْ حَسِبْتَنَا صَرَارِي نُعْطِي الْمَاكْسِينَ مَكُوسَا (٣)

(١) في الأصل : « خارجي » وهو تحريف عجيب . والبيت في اللسان (مكس) ، وقصيده في المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاف : كما في المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلى ، صحابي كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذي يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انعم صباحاً، وانعم ظلاماً، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم؟

وفال قيس بن زهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعم ظلاماً
أبا ضمرة! قال: نعمت فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عِمَّ صباحاً أيُّها الطَّلُّ البالي وهل يَعِمَّنْ مَنْ كان في العُصْر الخالي
وعلى ذلك قال الأول^(١):

أتوا نارِي فقلتُ مَنُون قالوا سَرَاةُ الجَنِّ قلتُ عِمُّوا ظلاماً
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيّد المطاع: أبيت اللعن،
كما قيل^(٢):

* مَهْلًا أبيتَ اللعنَ لا تأكلُ مَعَهُ *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحَيِّيًا بتحيّة الملوك ويقال له: أبيت
اللعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبد أن يقول لسيدهِ ربِّي، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ
البيت. وكذلك حاشية السيّد والمَلِك تركوا أن يقولوا ربَّنَا. كما قال
الحارث بن حلزة:

ربُّنا وابننا وأفضلُ مَنْ يَم شَيٍّ وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الشَّنَاءُ

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبّي كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب
٣: ٣ بولاق.

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤: ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبيد حين ذكر حذيفة بن بدر :
وأهلكن يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنه وربَّ معدَّ بن خَبْتٍ وعَرَعِرَ
وكما عيّر زيدُ الحَليْل حاتمًا الطائِيَّ في خروجه من طَيِّئٍ ومن حرب
الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول (١) :

وفَرَّ من الحَرْبِ العَوَانِ ولم يَكُنْ بها حاتمٌ طَبًّا ولا متطبِّبًا
وريب حصنا بعد أن كان آبيًّا أبوة حصنٍ فاستقالَ واعتبًا
أَقِمُّ في بني بدر ولا ما يهمننا إذا ماتقَضَّتْ حربُنَا أن تطربا
وقال عوف بن محمَّل (٢) ، حين رأى الملك : إنَّه ربِّي وربُّ السكبة .
وزوجه أمُّ أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقوَّام الملوك السَّدنة وقالوا الحَجَبَة (٣) .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس (٤) بن حبيب
النحوى حين أنشدَه شعر الأسدى :

ومركضة صريحى أبوها تُهان لها الغلامه والغلام (٥) ٩٦١

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر خمسة دواوين العرب
١٠٧ والأغاني (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو السنى يقال فيه : « لاجر بوادى عوف » . أمثال الميداني ٢ : ١٦٧ . وهو
من بني ذهل بن شيبان ، ومن أشراف العرب في الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه .
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محمَّل الخزاعي ، فإن هذا إسلامي كان
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقتصيده المشهورة التي فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجمان

(٣) في الأصل : « بالسدنة وقالوا للجحية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
أخذ عنه أبو عبيدة كما في البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهري : صريح : اسم فعل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامه ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك ، وأسماءه زالت مع زوال معانيها ، كالمرباع والنشيطه وبقى ^(١) الصفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنّه الله تعالى . وأما النشيطه فإنّه كان للرئيس أن ينشط عند قِسمة المتاع العلقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى ^(١) الصفىّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنَم ، وهو كالسيف اللهم ^(٢) والفرس العتيق ، والدرع الحصينة ، والشئ النادر .

وقال ابن عَنَمَة الضبّي ^(٣) حليف بنى شيبان ، فى مَرثيته بِسطام بن قيس :

لك المرباعُ منها والصفايا وحُكْمُك والنشيطَةُ والفُضُولُ
والفُضُول : فضول المقاسم ، كالأشياء إذا قسم وفضّلت فضلة استهاسكت ، كاللواؤة ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرك الجاهليّة والإسلام مُخَضَّم كأبى رجاء العطاردي ^(٤) ، بن سالمه ^(١) ، وشقيق بن سالمه ؛ ومن الشعراء التابعة الجعديّ

(١) كذا ولعلها «نقى» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن غنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبى رجاء ترجمة فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنَّهم في الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سَمَّى الأرضَ التي لم تُخفَر قطُّ ولم تحرث إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَايًّا مَا أَبَيَّنُّهَا وَالتَّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ
ومنه قيل سقاء مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :
ظَلَمَ الْبِطَاحَ لَهُ انْهَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النَّطَافُ لَهُ بُعِيدَ الْمَقْلَعِ
وقال الآخر :

قَالَتْ لَهُ مَيِّ بِأَعْلَى ذِي سَلَمٍ لَوْ مَا تَزَوَّرْنَا إِذَا الشَّعْبُ أَلَمٌ
* أَلَا بَلَى يَامَيِّ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ ^(١) *

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

* أَنَا أَبُو زَيْنَبٍ وَالْيَوْمُ ظَلَمٌ ^(٢) *

وقال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذْلَةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا هَرَّتُ الشَّقَاشِقُ ظَلَامُونَ لِلْجَزْرِ
وقال آخر :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ لَمْ تَنَلْنِي أَذَاتَهُ ظَلَمْتُ رَفِي ظُلْمِي لَهُ عَامِدًا أُجْرُ
وقال آخر :

لَا يَظْلِمُونَ إِذَا ضَيَّفُوا وَطَابَتْهُمْ وَهُمْ لَجُودِهِمْ فِي جُزْرِهِمْ ظَلَمٌ

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) في الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان في الحق أن تنحر نحرًا . وظلمهم الجزر^(١) أيضا أن ينحروها صحاحا سمانا لاعلة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غشوم ؛ وإنما سُميت بهذا لأنها تنال غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشَبَّهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، يقول : قد وضع الشبه في موضعه .

ومن المحدث المشتق ، اسم منافق لمن رآى بالإسلام واستسرى بالكفر أخذ ذلك من النفاق والقاصعاء والدأماء^(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحروا ذلك وتوخوه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثير هذا في الكلام حتى صار التيمم هو المسح نفسه . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت صحبتهم وملابستهم له^(٣) .

وكما سموا رَجِيع الإنسان الغائط ، وإنما الغيطان البطون التي كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاء الحاجة للستر .

ومنه العذرة ، وإنما العذرة الفناء ، والأفنية هي العذرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزُّبْل في أفنيتهن ، سُميت تلك الأشياء التي رَمَوْا بها ، باسم المكان الذي رميت به . وفي الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتِكُمْ » . وقال ابن الرقيّات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « صحبتته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . وانظر ص ٢٥٥ .

كان لا يحجبُ الصديقَ ولا يعْتَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَدِرَاتِ
ولسكنهم لكثرة ما كانوا يُلقون نجوهم في أفئدتهم سموها باسمها .

ومنه النجو : وذلك أنَّ الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة تسرَّ بنجوة . ١٦٣
والنَّجو : الارتفاع من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجو ، كما قالوا ذهب
يتغوَّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرج ، وإلى المنوضاً ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،
وإلى الحش ، وإِنَّمَا الحشُّ القطعةُ من النخل وهي الحِشَّان . وكانوا بالمدينة
إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ
الحش ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلَّ ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب
للخرء ، لأنَّ الاسم الخرء ، وكل شيءٍ سواه من ^(١) ورجيع وبراز وزبل وغانط
فشكله كناية .

ومن هذا الباب الملة ، والملة موضع الخبزة ، فسموا الخبزة باسم موضعها .
وهذا عند الأصمعي خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزايدة
فسميت المزايدة باسم حامل المزايدة . ولهذا المعنى سموا حامل الشعر
والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صداقها . قالوا : وإِنَّمَا كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة .
وقال شاعرهم :

وليس تِلَادِي من وِراثَةِ والدي ولا شَادَ مالي مُسْتَفَادِ النَوَافِجِ
وكانوا يقولون : تَهْنِيكِ النافجة . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصَّدَاقُ .

ومن ذلك أَنَّهُم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقَبَّةِ والخيمة
والخيام^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عايبها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا
يقال ذلك اليوم . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوَّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في البَغْيِ المكتسبة بالفُجُور : قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا
القُحَّابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا السكناية عن من زنت وتكسَّبت
بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إِنَّ السَّعَالَ هُوَ الْقُحَّابُ *

[وقال^(٢)] :

وإذا ما قَحَبْتَ واحِدةً جاوِبَ المِعْدُ منها^(٣) فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايةهم في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا
متاعه وعورته وشواره . والشَّوَارُ : المتاع^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون^(٥)]
الآيِرَ والحَرَ والامْت .

(١) كذا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما في س و م . ومعنى خضف ضرط .

(٤) في القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد^(١) : من ذلك ١٦٤ قوله : « إذا لا ينتطح فيها عَزْزَان » . ومن ذلك قوله : « ماتَ حَتَفَ أَنْفِهِ » . ومن ذلك قوله : « يا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي » ومن ذلك قوله : « كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ النَّمْرا » ، وقوله : « لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » .

(شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَم)

وقال عمر رضي الله تعالى عنه : « شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَم » ، يعني شبه ابن العَبَّاسَ بِالْعَبَّاسِ . وَأَخْزَم : فحل معروف بالكرم .

(ما يكره من الكلام)

وأما الكلام الذي جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثَتْ نَفْسِي وَلَكِنْ لِقَبْلِي لَقِيسَتْ نَفْسِي » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمنُ الظَّاهِرُ إِلَى نَفْسِهِ الخُبْثَ والفساد بوجه من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهي عن قول القائل : استأثر الله بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال^(٢) استأثر الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ - ١٦ وكتاب المغال ٢٢٣ .

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه في ل .

قال النَّخَعِيُّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنّة الله وسنّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّحِفٌ ، للمسجد القليل الذَّرْعُ ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربما صغروا الشيء من طريق الشَّفَقَةِ والرَّقَّةِ ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنا فلانُ أخِيَّ وصُدِّيقِي ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِيٌّ علماً^(١) . وقال الحباب بن المنذر^(٢) يوم السَّقِيفَةِ : أنا جُدَيْلُهَا المحكك ، وعُدَيْقُهَا المرجَّب . وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحميراء ، وكقوله لآبي قابوسَ الملك : أبو قُبَيْس . وكقوله : دبَّتْ إليه دويهيّةُ الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقّة المسلك .

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) في الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٩٦ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخلفاء ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فُعِيلٍ في أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقوله
 الْمُعَيْدِيَّ ، وكنحو سُلَيْم ، وَضَمَيْر ، وَكَلِيب ، وَعُقَيْر ، وَجُعِيل ، وَحُمِد ،
 وَسُعِيد ، وَجُبَيْر ، وكنحو عُيَيْد ، وَعُيَيْدُ اللَّهِ ، وَعُيَيْدُ الرِّمَاح^(١) . وطريق التحقير
 والتصغير إنَّما هو كقوله : نَجِيلٌ وَنَذِيلٌ . قالوا : وَرُبَّ اسْمٍ إِذَا صَغُرَتْهُ كَانَ
 أَمَلًا لِلصَّدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله ،
 وكعب بن جُعِيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . ورُبَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
 وبنيّة ، لا يَتَغَيَّر ، كَنحو الحَمِيّا وَالشُّكَيْتِ ، وَجُنَيْدَة ، وَالْقَطِيعَا ،
 وَالْمَرِيطَاء ، وَالسُّمِيرَاء ، وَالْمَلِيسَاء — وليس هو كقولهم الْقُصَيْرَى ، وفي
 كبيدات السماء والثريا .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا !
 كأنَّه كره قولي أنا .

وحدَّثني أبو عليُّ الأنصاري ، وعبد الكريم الغفاريُّ قالا : حدَّثنا
 عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُيَيْد^(٢) يجلس في داره ، وكان
 لا يَدْعُ بابَه مفتوحا ، فإذا قرعه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحه له . فأتيتُ
 البابَ يوما فقرعته فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ما أعرف أحدا
 يسمَّى أنا . فلم أَقُلْ شيئا وقتُ خلفَ الباب ، إذ جاء رجلٌ من أهل

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد
 المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا
 ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان فقرع الباب ، فقال عمرو : مَنْ هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قِدم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلَمَّا وجدتُ فرجةً أردت أن أُلجَّ الباب ، فدفع البابَ في وجهي بعُنف ، فأقمتُ عنده أياماً^(١) ثم قلت في نفسي : والله إنِّي يومَ أتغضبُّ على عمرو بن عُبيد ، لغيرُ رشيدٍ الرأي . فأُتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لي الباب .

وقال رجلٌ عند الشَّعْبِيِّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما علَّمتُ ؟ وقال الربيع بن خثيم : اتَّقُوا تكذيبَ الله ، ليتَّقَ أحدُكم أن يقولَ قال الله في كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقله .

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : لا يَقل أحدُكم أَهْرِيقُ الماءَ ولكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلاً عن شيءٍ ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خزينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ؛ إذا سئِلَ أحدُكم عن شيءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لا يعلمه قال : لا علم لي بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اَللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْأَقْلَيْنِ ! قال : ما هذا للدعاء ؟ قال : إنِّي سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وكرهه عمر بن عبد العزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضَعُهُ تَحْتَ إِبْطِكَ ، وقال :

هَلَّا قُلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنَكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرَأَتْ فَرَسٌ بِحَضْرَةِ
سَايَمَانَ - ^(١) فَقَالَ : اِرْفَعُوا ذَلِكَ النَّشِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ .

وَقَالَ الْحَجَّاجُ لَأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ^(٢) : عَمَدْتُ إِلَى مَالِ اللَّهِ
فَوَضَعْتُهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦
فَتَلَجَّجَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَذَعًا أَوْ رَفَثًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذِيْلِكَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَمْلُوكِهِ عَبْدِي
وَأَمْتِي ، وَلَكِنْ يَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَلَا يَقُولُ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَرَبَّتِي ،
وَلَكِنْ يَقُولُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَتَائِلِ لِلْكَتَابِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحَصِينِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ : « أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ
عَيْنًا » ، وَ« لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا » .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لَا تُعْرَفُ وَجُوهُهَا ، فَرَأَى
أَصْحَابُنَا : لَا يَكْرَهُونَهَا . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنَ السَّكْرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوُونَ الْأُمُورَ مَعَ عِلَلِهَا وَبِرَهَانَاتِهَا خَفَّتِ
الْمُؤَنَةُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ مَجْرَدَةٌ ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِنْخِبَارِ عَنِ الْبِرْهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا
الْمَنْعُوعِينَ مَشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ اسْتَوَزَرَ عَمْرًا ، وَوَلَّى عَمْرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بَعْدَ مَنِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْأَشْعَبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَاوَمَ فِيهَا الْحَجَّاجُ
وَانْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةً
وِثْلَاةً أَيَّامًا .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لَا تَسْمُوا الْعِيبَ الْكَرَّمَ ؛ فَإِنَّ الْكَرَّمَ هُوَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لَا تَسْبُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ » فما أحسن ما فسر ذلك عبد الرحمن بن مهدي^(١) قال : وجهه هذا عندنا ، أن القوم قالوا : ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك الله » . يعنى أن الذى أهلك القرون هو الله عز وجل ، فتوهم منه المتوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا فى قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « قُلْ وَمَعَكَ رُوحَ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنه رُوحُ الْقُدُسِ أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أن موسى قال : « لَيْتَ أَنْ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » ، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا^(٢) ، ومعه روح سيفرت^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بعلزبول^(٤) ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ، يعنى القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العبدي البصري ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً فى الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) فى رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالة » .

(٣) فى الرسائل : « شيقرة » .

(٤) فى الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس

٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفى الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرُد الليل . فكره ذلك وقال : إن سهيلاً لم يأت بحرّاً ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقول الرجلُ للغيمِ والمسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنهم من خوفهم عليهم العودُ في شيء من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فنعوه من الكلام الذي فيه ١٦٧ أدنى متعلّق .

وروا أن ابن عباسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتمه على فمي ، فإنّما يختم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قُزَح . وقال : قزح شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعريب والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهليّة . وكان أحبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما يقال بيت الله ، وزوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله (١) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيّ بعده» . فلا تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تغيروا ما سمعتم ، وقولوا كما قيل لكم ، والفظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضى الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ، وقال : ليس الإسلام إلاّ لله (٢) عزّ وجلّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس سهل ، وقد كرهه ابن عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨ حيث فسر الشعالبي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسموا الطريق السكة .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبعت جنازة .

كأنه ذهب إلى أنه عني أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة .

والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ،

وهي عندي شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .

وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القفيز

بدنينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .

وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال

يل قولوا : قد قضوا الصلاة ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلوا ؛ لقوله :

﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين

انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف

الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أوّل المنصرفين . وقد كرهه

ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طامث ، وكره مجاهد

قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ،

فلعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿١﴾ فَقَدْ قَالَ النَّاسُ يَوْمَ التَّروِيَةِ ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ ولم ١٦٨
يقولوا عرفة .

(رأى النظام في طائفة من المفسرين

وصور من تسكلفهم في التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاسترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا
أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على
غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن
عندكم عكرمة ، والكلبي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان ،
وأبو بكر الأصبم ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم ^(١) وأسكن إلى
صوابهم ، وقد قالوا في قوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عز
وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها ، بل إنما عني الجباه وكل
ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وجبهةٍ وأنفٍ وثفنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه
ليس يعنى الجمال والنوق ، وإنما يعنى السحاب .

وإذا سئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلَحَ مَنْضُودٌ ﴾ قالوا : الطلح هو الموز .
وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن
الناس غيروه ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

(١) في الأصل : وبتفسير .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾^(١)
قالوا : يعني أنه حَشَرَهُ بِلاَ حِجَّةٍ .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ في جهنم .
ثم قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل في كلام العرب معروف ، وكيف
كان في الجاهلية قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق :
وادٍ في جهنم ، ثم قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرَةُ^(١)
بلغه اليمين .

وقال آخرون في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من وصلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هِيَ : سَلٌ سَبِيلًا إليها
يا محمد . فَإِنَّ كَانَ كَمَا قَالُوا فَأَيْنَ مَعْنَى تُسَمَّى ، وعلى أىِّ شَيْءٍ وقع قوله
تُسَمَّى فَتُسَمَّى ماذا ، وما ذلك الشئ ؟

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْمٌ لَّمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أَنَّ كلام الجلد من أعجب العجب !
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ كَاذِبًا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ : إِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ
كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أَنَّ في الجوع وما ينال أهله من الدَّلالة
والعجز والفاقة ، وأنه ليس في الحاجة إلى الغذاء — ما يُسَكِّفِي بِهِ في الدَّلالة
على أَنَّهُمَا مخلوقان ، حتَّى يدعى على الكلام ويدعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) في القاموس : المِطْطَرَةُ : الحجرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿وَنِيَابِكَ فَطَهَّرُ﴾ : إنه إنما عنى قلبه . ٦٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللحياني : (الجبار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جباراً في الضخم والقوة ، فتأول قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ قال : ويكون جباراً على معنى قتالا ، وتأول في ذلك : ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ، وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ﴾ أى قتالاً بغير حق . والجبار : المتكبر عن عبادة الله تعالى ، وتأول قوله عز وجل : ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾^(١) ، وتأول في ذلك قول عيسى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ أى لم يجعلنى متكبراً عن عبادته ، قال الجبار : المسلط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أى مسلط فتقهرهم على الإسلام . والجبار : الله .

وتأول أيضاً (الخوف) على وجوه ، ولو وجدته في ألف مكان لقال : والخوف على ألف وجه ، وكذلك الجبار . وهذا كله يرجع إلى معنى واحد ؛ إلا أنه لا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل .

(تكلف بعض القضاة في أحكامهم)

وقال رجل لعبيد الله بن الحسن القاضي^(٢) : إن أبى أوصى بثلاث ماله في الحصون . قال : اذهب فاشتر به خيلاً ، فقال الرجل : إنه إنما ذكر الحصون ! قال : أما سمعت قول الأسعر الجعفي :

(١) في الأصل : « ولم أك » وليس في الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العبدي ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفي بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمت على تجنبى الردى^(١) أن الحصون الحيل لا مَدَرُ الْقُرَى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالهيل .

وخبرنى النُوشروانى قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدى بثلاث
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر^(٢) :

بُنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ
قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادنى شراً .

وقالوا في قوله : مَاسَاءَكَ وَنَاءَكَ : [نَاءَكَ] : أبعدك . قالوا : وساءك^(٣)
أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيْنَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلّف .
وقال ابن قتيبة^(٤) :

وَحَالُ أَثْقَالٍ إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ عَلَى الْأَصْلِ لَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَكَلِّفُ
وقال الله وهو يخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتى القوم إلا من الطمع ، ومن شدة إعجابهم بالغريب
من التأويل .

(١) في ط : « الورى » وهو تحريف ما في س .
(٢) هذا البيت الآق مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم
يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطى في شرح شواهد المغنى ٢٨٧ .
لكن وجدت البغدادى في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله
هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وناطك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكفين
ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قمتة » وصوابه : « ابن قتيبة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم
يكن ، وأجهل الناس بما كان (١) !
وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لَتَسَّالْنِ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠
الماء الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدثّة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليّة ، قولهم فى
الإسلام لمن لم يحجّ : صرورة .
وأنت إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على
خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضبّي (٢) :

لو أنّها عَرَضَتْ لَأَشْمَطَ رَاهِبٌ عَبْدَ إِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَبَتِّلٍ
لَدُنَا (٣) لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهْمٌ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزُلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ فى مراتب العبادّة ، وهو اليومَ
اسمٌ للذى لم يحجّ إمّا لعجزٍ ، وإمّا لتضييعٍ ، وإمّا لإنكار (٤) . فهما مختلفان
كما ترى .

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبّي ، من مخضرى الجاهلية والإسلام ، وهو من
شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفى نحو سنة ٢٠ .

(٣) هى فى شعر شبيه بهذا للتأبقة « لربنا » .

(٤) فى الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألهمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهم هذه النعمة أحقُّ بالاشتقاق
وأوجبُّ طاعةً . وكما أن له أن يبتدىء الأسماء ؛ فكذلك له أن يبتدئها
مما أحب . . . قد سمي كتابه المنزل قرآنًا ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجود للشمس كفرًا ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفرًا
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيمانًا ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجارحة التي ^(١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقبا . فواحدة أن يسمى السجود كفرًا ، وإذا كان كفرًا كان جحودًا
وإذا كان جحودا كان شركًا ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به ^(٢)] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي ^(٣) :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تَمَّ حَوْلَ مَجْرَمٍ
وَلِئَمَّا أَخَذَ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ مِنْ نَبَاحِ الْكِلَابِ .

(١) في الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظبي إذا أسنّ ونبئت لقرونه شُعبٌ نَبَّحٌ ، وهو قول أبي دُوَاد (١) :

وقصرى شَنِجَ الأنسا ء نَبَّاح من الشعب

يعنى من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَح بين الشعب نَبْحاً كأنه نَبَّاحُ سَلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَآيِرِهَا
وبَيَّضَهَا هُزْلُ المَسْوَدِّ غَيْرَهَا كما ابيضَّ عن حَمْضِ المَراحِمِ نَبِيْهَا (٢)
لأن الظبي إذا هُزِلَ ابيضَّ ، والبَعرُ يَشِيبُ وجهه من أكل الحَمْضِ .
وكذلك قال ابن الجأ (٣) :

* شَابَتْ وَلَمَّا تَدُنْ مِنْ ذَ كَائِمَا (٤) *

كما قال الآخر :

أَكَلْنُ حَمْضاً فَالْوُجُوهُ شَيْبُ شَرِبْنُ حَتَّى نَزَحَ القَلِيبُ
وقد تصير النَّاقَةُ الحمراء إذا أَتَمَّتْ حَبَشِيَّةً . ولذلك قال الشاعر :

* حمراء لاحتَبَشِيَّةُ الإمام *

وما أشبه ذلك بقول العبدى (٥) :

وداويتُها حَتَّى شَدَّتْ حَبَشِيَّةً كَأَنَّ عَلِيَّهَا سُنْدُسًا وَسَدُوسًا

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما فى اللسان (نبح) . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفاً على الوجه الآتى فصححته منه :

وقصرى سح الأتسا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيت فى المعانى الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بنى تيم بن عذمناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لجج الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر ثم استحالَت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتبية ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علوالسن . وفى الأصل : « من ركاها » . وانظر المعانى الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتضاب . ٤ . والمفضليات ١٤٣ . وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألفت شعرها وطرت ،
تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدِيُّ^(١) :

هَبِطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بِطُنْ خَبْتٍ تَظَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْخُصُومِ
كَأَنَّ عَرِينَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبِطٍ وَرُومٍ^(٢)
نُبَاحُ الْهَذْمِ الْحَوْلِيِّ فِيهِ كَنَبِاحِ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْمَقِيمِ^(٣)

ويقال إِنَّ الْهَذْمَ يَنْبَحُ . وربما جعلوا الْهَذْمَ ، (الذي ينبح) ،
الحَمَامَ الذَّكَرَ . قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها - :
وإذا استترنَ أَرَنَّ فِيهَا هُذْمٌ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضَبَتُهُ بِجِسَادٍ^(٤)

وقال طُفَيْلٌ فِي النَّبُوحِ وَالْجَمَاعَاتِ^(٥) :

وَأَشْعَثُ تَرْهَاهُ النَّبُوحُ مُدَقِّعٌ عَنِ الزَّادِ مَا جَلَّفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٍ^(٦)
وقال الْجَعْدِيُّ^(٧) :

فلما دَنَوْنَا لَصَوْتِ النَّبَاحِ وَلَا نُبْصَرُ الْحَيِّ إِلَّا التَّمَاسَا
وقال ابن عبدل :

آلَيْتُ إِذْ آلَيْتُ مُجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتَا مَابِهِ بَحْجُ
لَا يُدْرِكُ الشَّعْرَاءُ مَنَزَلَتِي فِي الشَّعْرِ إِنْ سَكَتُوا وَإِنْ نَبَحُوا

وقال عمرو بن كلثوم : ١٧٢

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجري في حماسته ونشرها (٢٨٩ - ٢٩١) .

(٢) في الأصل : « عريك » و « تلاح » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .

(٣) هذه في ط . وليست في س .

(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .

(٥) في الأصل : « الجماعات » .

(٦) المحتل : السبيء الحال ، ورواية اللسان : « بمن حرف الدهر » . وفي الأصل :

« خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما في المخصص ٢ : ١٣٦ .

(٧) هو النابغة الجعلى . وانظر الأغاني (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كَلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وقال بعض العلماء : كلاب الحي شعراؤهم ، وهم الذين ينبجون دونهم ،
ويحمون أعراضهم . وقال آخرون : إن كلاب الحي كل عقور ، وكل
ذئ عيون أربع ^(١) .
وأما قوله ^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ بَنِي مَقِيدَةِ الْحِمَارِ ^(٣)
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ ^(٤)
فالطواعين ^(٥) هي عند العرب رماح الجن . وفي الحديث : « إن
الطاعونَ وَخَزَ مِنَ الشَّيْطَانِ » .

وقال أبو سلمى ^(٦) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ أَرْمَاحِ رَمَنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ
وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحَ
رُزْنُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كُلَّمَا كَلَبُ مِنَ النَّاسِ نَبَحَ

(١) كذا .

(٢) الشعر في الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدي » يقوله للحارث الغساني
وفي آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .

(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون في الحرة . اللسان (رمح)
حمر .

(٤) ط : « رماح الحي » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة في التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « والطواعين » .

(٦) الرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ وسيماد في ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كُلِّي جَاهِدًا مِنْ ورائِكُمْ وَأَغْنِي غَنَائِي عَنْكُمْ أَنْ أُؤَنِّبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كُلِّي لِيَبْعَدَ تَعْرِهَا ^(١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابُهَا

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَأِنِّي وَالشَّكَاةَ لَأَلِ لَأَمَّ كَذَاتِ الضُّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زبيد ^(٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيًّا كَلَابَهُمْ وَكَفَكَفْتُ عَنْكُمْ أَكُلِّي وَهِيَ عُقْرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣٣ قال صاحب السكلب : قد علمنا أنكم تتبعم على الكلب كلَّ

شيء هُجِيَ به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد

رأينا الشعراء قد هَجَّوْا الأصنافَ كُلَّهَا ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ وَلَا سَبْعٌ ،

وَلَا بَهِيمَةٌ وَلَا طَائِرٌ وَلَا هَمَجٌ وَلَا حَشْرَةٌ ، وَلَا رَفِيعٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا وَضِيعٌ ،

(١) تعر ، كنع : صاح . وفي ط : « تعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لسنا فصيحاً بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية .

الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزائن ٤ : ١٤٣ والسجستانى

فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم السكى وزبيد بهيئة الصغير .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِم بِالْحَمُولِ ، فَكَفَاكَ بِالْحَمُولِ دِقَّةٌ وَلَوْماً وَقِلَّةٌ
وَنَذَالَةٌ . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِذٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

فَأُبْلِغْ إِيَّاساً أَنَّ عِرْضَ ابْنِ أُخْتَيْكُمُ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حَسَنَهُ أَوْ تَبَذَّلَ^(١)

فَإِنْ تَكُ ذَا طَوَّلٍ فَإِنِّي ابْنُ أُخْتَيْكُمُ

وَكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَالِ مَغْتَلٍ^(٢)

فَكُنْ أَسْداً أَوْ ثَعْلَباً أَوْ شَبِيهَهُ

فَهُمَا تَسْكُنُ أَنْسَبَ لِيكَ وَأَشْكَلَ

فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ^(٣)

وَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِيْبَالُ أَشْبَلِ

وَلَنْ تَجِدَ الْآسَادَ أَخْوَالَ ثَعْلَبٍ إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلَوْدُ بِمَدْخَلِ

فَهَذَا مِنَ الثُّعْلَبِ . وَقَالَ مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ^(٤) :

وَإِنَّ كِنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهْرُ عَلَيْهَا^(٥) أُمُّكُمْ وَتَسْكَالِبُ

وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِيرُهُ بِأَلْتِ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

فَقَدْ وَضَعَ الثُّعْلَبُ كَمَا تَرَى بِهَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي كَفَاكَ بِهِ نَذَالَةٌ . قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

فَمَا عَادَتْ بَذَى يَمْنِ رُءُوساً وَلَا ضَرَّتْ لِفَرْقَتِهَا زِرَاراً

(١) فِي الْأَصْلِ : فَاصْبِرْ خَشْيَةً وَتَبَدَّلْ « ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ عِيُونَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مَغْتَلٌ » وَالصُّوَابُ « مَغْتَلٌ » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْمَذَلِّينِ أَوْ « مَعْتَلٌ » كَمَا فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَى وَاعْتَلَى : ارْتَفَعَ .

(٣) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « ثُعَالِبٌ » .

(٤) فِي ط : « مَزْرُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَزْرَدُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الشَّيْخِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْنَا » .

كَعَنْزِ السَّوِّءِ تَنْطَحُ مِنْ خِلَاهَا^(١) وَتَرَأُّمٌ مِنْ يُحِذُّ لَهَا الشَّفَارَا

وهذا قول الشاعر في العنز . وقال ابن أحرر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي سَهْمٍ وَجَامِلِهِمْ كَالْعَنْزِ تَعْطِفُ رَوْقَهَا فَتَرْتَضِعُ
وقال الفرزدق :

عَلَى حَيْنٍ لَمْ أَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً وَلَا نَابِجًا إِلَّا اسْتَقَرَّ عَقُورُهَا
وَكَانَ نُفْعٌ إِذْ هَجَانِي لِأَهْلِهِ كَبَاحِثَةٍ عَنْ مُذْيَةٍ تَسْتَثِيرُهَا
فهذا قولهم في العنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثرَ خيراً
من شاة .

وقال الخريمي^(٢) :

يَا لِلرِّجَالِ لِقَوْمٍ قَدْ مَلَّتْهُمْ أَرَى جَوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
ذَنْبٌ رَضِيعٌ وَخَنْزِيرٌ تُعَارِضُهَا عَقَارِبٌ وَجِنَّةٌ بِحَيَّاتٍ^(٣) ١٧٤
مَا ظَنُّكُمْ بِأَنَاسٍ خَيْرٌ كَسَبَهُمْ مُصْرَحٌ الشُّحْتِ سَمَوَهُ الْأَمَانَاتِ
فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد عَجْرَدٍ فِي بَشَّار :

قَدْ كَانَ فِي حَيٍّ غَزَالَةٍ شَاغِلٌ لِلْقَرْدِ عَنْ شَتْمِي وَفِي ثُوبَانَ
أَوْ فِي سَمِيعَةٍ أُخْتِهَا وَشِرَادِهَا لِحُجُونِهَا مَعَ سِفْلَةِ الْمَجَانِ
أَوْ بَيْتِ ضَيْقِ عَرْسِهِ وَرَكُوبِهَا شَرُّ الْبِغَاءِ بِأَوْكَسِ الْأَثْمَانِ^(٤)

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق في ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : « الخريمي » وهو « الخريمي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤ .

(٣) أصل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر تحريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضاً :

ولكن معاذ الله لست بقاذفٍ بريئاً لسواقٍ لِقومٍ نوائحٍ
وما قلتُ في الأعمى لجهلٍ وأمه ولكن بأمرٍ بيني لي واضحٍ
سأعرضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمه ولست عن القرد ابن بردٍ بصافحٍ

وقال الآخر :

لما أتيت ابني يزيد بن خثعم أرى القرد والخنزيرَ مُحْتَبَيْنِ
أمامَ بُيوتِ القومِ من آل خثعم وراءَ قَيْسِحَاتِ الوجوهِ بَطَانِ
وقال العتّابي :

اسجدْ لقرْدِ السوءِ في زمانِهِ وإن تَلَقَّاكَ بِخَنْزَوَانِهِ^(١)

* لا سيّما ما دام في سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رِيَّاحَ اللُّؤْمِ من شَحَّةٍ^(٢) لا يَطْمَعُ الخنزيرُ في سَلْحِهِ
كفّاه قُفْلٌ ضَلَّ مِفْتَاحُهُ قد يَثْسُ الحَدَّادُ مِنْ فَتْحِهِ
وقال خلف بن خليفة^(٣) :

فسبحانَ من رَزَقَهُ واسعَ يَعْصِي به القِرْدَ والقِرْدَةَ

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر

اللسان (قرا ص ٣٦) والمغرب للجواليقي ٢٢٧ .

(٢) في ط : « شه » وهو تحريف صوابه في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل ، كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمري لو مُجِعَ كُلُّهُ لَكَانَ مِثْلَ هِجَاءِ النَّاسِ لِلْكَلبِ ،
وكذلك لو جمع جميع ما مُدِحَ به الأسدُ فما دُونُهُ ، والأُمثالُ السَّائرةُ الَّتِي
وَقَعَتْ فِي حَمْدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، لَمَّا كَانَتْ كُلُّهَا فِي مَقْدَارِ مَدِيحِ الْكَلْبِ . فَهَذِهِ
حُجَّتُنَا فِي مَرْتَبَةِ الْكَلْبِ عَلَى جَمِيعِ السَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ .

١٧٥ ولَمَّا قَالَ مَعْبُدٌ فِي قَتْلِ الْكَلْبِ ، وَتِلَاوَةِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَإِنْ
كَنتَ إِتِمَامًا جَعَلْتَ الْكَلْبَ شَرَّ الْخَلْقِ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، فَقَدْ قَالَ عَلَى نَسَقِ هَذَا
الْكَلَامِ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَأَنَّا نَعَامٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فَالَّذِي قَالَ فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ أَعْظَمَ ، فَاسْقِطَ
مِنْ أَقْدَارِهَا بِقَدْرِ مَعْنَى الْكَلَامِ . وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنَّ تُشْرِكَ بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي الدِّمِّ
فَإِنَّكَ مَتَى أَنْصَفْتَ فِي هَذَا الْوَجْهِ ، دَعَاكَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُنْصِفَهَا فِي تَتَبُّعِ مَا لَهَا
مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْأُمْتَالِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآيَاتِ ، كَمَا تَتَبَّعْتَ مَا عَلَيْهَا .

(الشرف والحول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلاً بيننا يكون عدلاً : إذا استوى
القبيلان في تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء^(١) والفرسان
والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء
[في] الأرحاء^(٢) وكان الآخر قليل الذرء^(١) والعدد ، ولم يكن فيم خير
كثير ولا شر كثير ، خلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرقوا في معظم
الناس^(٣) ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم المثل في قلة ونذالة إذا لم
يكن شر ، وكان محلهم من القلوب محل من لا يغيظ الشعراء^(٤) ، ولا يحسد
الأكفاء ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرض عامر وجاوزتما الحيين نهذاً وخنعمًا
نزيعان من جرم بن ربان إنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز مخجما^(٥)
وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذرء^(١) وكان فيهم خير كثير وشر
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهجو ويضرب بهم المثل ،
ولعل أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) الذرء : النسل . وفي الأصل : « الذرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القبيلة المستقلة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرحاء » .

وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرقوا » وفي م : « عرقوا » ، وصوابها ما أثبت من س .

(٤) أي يغيظهم الشعراء . وفي الأصل : « من لا يغيظ الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن ريان » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرٍّ ، أمثلَ حالاً في العامة ،
مَن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيما إذا جاؤروا من يأكلهم
١٧٦ وحالفوا من لا ينصفهم ، كما لقيت غنيّاً أو باهلة .

ولو أن عبساً أقامت في بني عامر ضعيفاً ما أقامت ؛ لذهب شطراً
شرفها ؛ ولكن قيسَ بن زهير لما رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه :
الذلُّ في بني غطفان خير من العزُّ في بني عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بني أعمامهم ، فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئاً من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاضمهم ، بأكثر من
قدره ، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحملوا عليهم ، فوق الذي كانوا فيه من بني أعمامهم ، حتى يدعُوهم
ذلك إلى الندم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرجوع ، حميةً واتقاءً (١) ،
ومخافة أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام (٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم ، ومن شدة الصولة عليهم .

(بكلِّ وادِ بنو سعد)

وقد خرج الأضبط بن قُريع السَّعْدِيُّ من بني سعد ، فجاورَ ناساً ،
فلما رأى مذهبيهم وظلمهم ونهكهم (٣) ، قال : « بكلِّ وادِ بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل : « وتهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عباس بن ربيعة الرُّعْلَى سَيِّدَ بَنِي سُلَيْمٍ ، وقد ناله ضيِّمٌ في بعض
الأمر ، فأبى الضيِّم ، فلما حاولَ مفارقتَهُمْ [إلى] بَنِي غَمٍّ عَزَّ عَلَيْهِ ^(١)
فقال في كلمة له :

وَأُمُّكُمْ تُزَجِّجِي التَّوَامَ لِبَعْغِهَا وَأُمُّ أُخَيْكُم كَرْزَةُ الرَّحْمِ عَاقِرُ
وزعموا أَنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر ^(٢) ، وخبر عن هذه القصَّة في يومٍ
من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ ^(٣) بالطلاق : إِنَّهُ لَعَرَبِيٌّ
فِي الْحَقِيقَةِ لَغِيَّةٌ أَوْ لِرِشْدَةٍ !

(قبائل في شطرها خير كثير)

وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقدمة الميلاد التي في شِطْرِهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وفي الشطر الآخر
شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وثعلبة .
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِيٌّ ^(٤) وباهلة ، واليعسوب والطفافة
فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، والمبتلى والملقَّى والمحروم والمظلوم ،
مثل ^(٥) باهلة وغَنِيٌّ ، ممَّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتىَّ كأنَّهم
آلة ^(٦) لمدارج الأقدام ، ينسكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماشٍ .

(١) في الأصل : « فلما حاول منافرتهم بني غم أعز منه » .

(٢) في الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشيء .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .

(٤) في الأصل : « يحيى » وإنما هو « غنى » وسيكرر الحديث عن غنى وباهلة .

(٥) في الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليعسوب والطفافة ، وهاربة البقاء^(١) وأشجع الخنثى
ببعض الذكر . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم .
وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلا]^(٢) بغنى وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالاً ممن
فيه الخير الكثير وبعض الشرِّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر^(٣) :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ مبتدئا

بِبُخْلِ أَشْعَثَ وَاسْتَثْبِتَ وَكُنْ حَكَمًا^(٤)

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم

ولا تعدُّ لها لؤمًا ولا كرمًا^(٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خزاعة ظلما عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرِّقْبَانِ^(٦) الأسديّ :

(١) هاربة البقاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربة)

مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيص) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبيل بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) في ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغاني . والرواية فيها :

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *

والمطلب الذي يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان وإلياً على مصر . وقد كان ولي دعبلا

على أسوان ، فلما سمعه يهجو بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل : « ولا تغركها » وليس بشيء وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرِّقْبَانِ » وفي س : « وقال في مثل ذلك الشعر الرِّقْبَانِ »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرِّقْبَانِ ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القائل ٢ : ٢١١ . وانظر

اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بِحُسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحُمُ الْخَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ

وكما قال الشاعر في علباء بن حبيب حيث يقول :

أَرَى الْعِلْبَاءَ كَالْعِلْبَاءِ لَا حُلُوٌّ وَلَا مُرٌّ
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ
فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ أَشَدِّ الْمُهْجَاءِ .

والحمول اسمٌ لجميع أصناف النقص كلها أو عامتها ، ولكنه كالسرور
عند العلماء . وليس ينفعك العامة إذا ضرتك الخاصة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرٍّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففي
عُكل وتيم ومزينة من الشرف والفضل ، ما ليس في ثور ، وقد سلم ثور إلا
من الشئ اليسير ، مما لا يرويه إلا العلماء ، ثم حذت البليَّة وركد الشرُّ ،
والتحف المهجاء على عُكل وتيم ، وقد شعثوا بين مزينة شيئاً ، ولكنهم
حبَّهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهبأ لهم من الإسلام ، حين قلَّ حظُّ تيم فيه .
وقد نالوا من ضبَّة ، مع ما في ضبَّة من الخصال الشريفة ؛ لأنَّ الأب متى
نقص ولده في العدد عن ولد أخيه ^(١) فقد ركبهم الآخرون بكلِّ عظمة ،
حتى يروا تسليم المربع إليهم حظاً ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم
في النوائب ؛ وحتى ربَّما كانوا كالعضاريط والعُسفاء ، والأتباع ، وفي الأتباع
والدخلاء ، ثم لا يجدون من ذلك بداً ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلواهم ،
فاستباحوهم ، فرأوا أن النعمة أربحُ لهم .

(١) في الأصل : « متى نصر ولده في العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ
في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرَّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمُهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك
حيث لا يرفعون رءوسهم من الذلِّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلف^(٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضُبَّة ، وأسد وغطفان
فإن هؤلاء أقوياء لم يُنْهَكوا كما نُهِكت باهلة وغنيٌّ ، لحاجة القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسهم إن تذكروا^(٣) على حال ؛ فقد لقيت ضُبَّة من سعدٍ ، وعبسٌ
من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما^(٤) لقوا .

وقد رأيت مشقَّةً ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
بني ذبيان .

وعيينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغةَ
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة .

انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ما » .

وقد سلمت ثور وابتليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خثيم^(١) وسُفيان الثوري ، لما علمت العامة أنَّ في العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولشريف واحدٌ ممن قبلت^(٢) تيم أكثر من ثور وما ولد .

وكذلك بلعنبر ، قد ابتليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميين وجاهليين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلا الخمش^(٣) والتشتف .

وربَّ قومٍ قد رضوا بحُمولهم مع السلامة على العامة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قممِ رعوسهم حجارةَ القذف ، بأبياتٍ يسيرها شاعر ، وسوطٌ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إِنْ مَنَافًا فَفَقَّحَةٌ لِدَارِمٍ^(٤) كَمَا الظَّيْمُ فَفَقَّحَةُ الْبَرَاكِيمِ

وقال الشاعر^(٥) :

وَجَدْنَا الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ

فما الميسم في جلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

(١) في الأصل : « خثيم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) في الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجه .

(٣) الخمش بمعنى الخدش . وفي الأصل : « الخمس » .

(٤) في الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزيد الأعجم أوردها العيني ، ونقلها عنه البغدادي في خزنة

الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهي - وفي البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أنني وأبا حميد كما النشوان والرجل الحليم
أريد حياته ويريد قتلي وأعلم أنه الرجل اللئيم
فإن الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والعدد
والفعل ، مثل مُنِير ، يصير أهله إلى ما صارت إليه مُنِير وغير مُنِير ، فما ظنُّكَ
بالظُّلُم وبمَناف وبالحِطَّات ، وقد بلغ مضرَّة جرير عليهم حيثُ قال :
فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْماً آخَرِينَ :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهَجَاءُ بَنِي مُنِيرٍ
وَحَتَّى قَالَ أَبُو الرُّدَيْنِيِّ :

أَتَوَعِدُنِي لِتَقْتُلَنِي مُنِيرٌ مَتَى قَتَلْتَ مُنِيرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذَكَرَ بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكى العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من
أَوَّلِ كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شهاب^(١) ، وكما بكى علقمة بن عُلاثة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخدَّاش^(٢) بن زهير . وما زال يهجو
من غير أن يكون [رآه ، ولو]^(٣) كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و]^(٤) الذي
يقع في النفوس من تفضيله ومحبة [و]^(٤) من إجلاله والرقّة عليه — أمسك . ألا

(١) الذي أبكاه هو محرز بن المكبر العبدي ، وانظر الحديث في البيان ٤ : ٤١ - ٤٢ .

(٢) في الأصل : « لخراش » .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .

(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النبيت وغسان بن مالك بن عمرو بن تميم^(١) ، ليس يعرفهم بالعجز والقلّة
إلاّ دغفل بن حنظلة^(٢) ، وإلاّ النخّار العذريّ وإلاّ الكيس النمرى^(٣) ،
وإلاّ صُحار العبدى ، وإلاّ ابن شريّة وأبو السّطّاح^(٤) وأشباههم ومن شابه
طريقهم والاقتباس من مواريتهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عربى تسمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ما عليه
وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل
الحاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ما تبلى به القبائل فيصيبها بالحمول)

وبليّة أخرى : أن يكون القبيل متقدّم الميلاد ، قليل الذلّة قليل
السيادة ، وتبيهاً أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام ،
فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلّ من رآهم أو سمع بهم ،
أضعاف الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .
ومن شؤم الإخوة أنّ شرفهم ضعة إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنّ
شرفهم شرف من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم
وجرير بن دارم . فلو أنّ الفقيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جاراً ، كان
خير أله .

(١) فى الأصل : « نمر » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النمرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أبى السطّاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وما ساقى فى ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعُضتْ قُرَيْشٌ - لما جاءتْ به من الخصال الشريفة الثَّامَّة ؛
مِنْ أركانِ كنانة - سَنَامِ الأرضِ وجبلها ^(١) وعينها التي تبصر بها ، وأنفها
التي بها تعطس ، فما ظَنُّكَ بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير
ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوين إذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال ؛ في الجود
والإفضال ، أو في الفُرُوسَة ^(٢) أو في البيان ، فإن كان الآخر سَطًّا من
الرجال ، قصدوا بحسن مآثره في الطبقة السفلى لتبيين البراعة في أخيه ،
فصارت قرابته التي كانت مفخرةً هي التي بلغت به أسفل السافلين .
وكذلك عَزَّة بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرةً في عَزَّة
ومرةً في ضَبِيعَة أضجَم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو دَّ كثير من هؤلاء
القبائل التي ساحت على الشعراء أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرُ
ماللعنزيين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه ^(٣)] القبائل
خيرها وشرها لكانوا سَوَاءً ^(٤) .

١٨٠ وقال صاحب السكاب : ذكرتَ عيوبَ السكاب فقلتَ : السكاب
إذا كان في الدار محقَّ أجور أهل الدار حتى يأتيَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور
إذا أخذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
أن يأتيَ على آخرها . وقلتَ : في السكاب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .

(٢) الفروسة والفروسية : الخدق بركوب الخيل .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) في الأصل : « سعاد » وليس بشيء .

والدخيل ، يمنعهُ النَّوْمَ لَيْلاً وَالْقَائِلَةَ نَهَاراً ، وَأَنْ يَسْمَعَ الْحَدِيثَ . ثُمَّ الَّذِي عَلَى سَامِعِ النَّبَاحِ مِنَ الْمُؤَنَةِ مِنَ الصَّوْتِ الشَّدِيدِ .
ولو لم يكن في الكلب ما يؤذِي بِشَدَّةِ صَوْتِهِ إِلَّا بِإِدَامَةِ مَجَاوِبَةِ الْكِلَابِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ مِمَّا يَنْغُصُ الْعَيْشَ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أُرْطَاةُ بْنُ سَهْيَةَ فِي بَعْضِ افْتِخَارِهِ :

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنًا إِذَا أَغْدَفَ السَّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاكِلُ^(١)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثَقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلٌ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي ، مِنْ تِلَادٍ تَحُوزُهُ يَدُ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَالِلُ
وقال ابن هرمة :

وَمُسْتَنْبِحٌ نَبَّهْتُ كَلْبِي لَصَوْتِهِ وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي الْيَفَاعِ فَجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوْتِ قَدْ مَسَّهُ الضَّوْى بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الْغَرَارِينِ قَاضِبِ
فَرَحَّبَتْ وَاسْتَبَشَرَتْ حَتَّى بَسَطَتْهُ^(٢) وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كُلَّ آتِبِ
وقال آخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْكُمُ كَلْبَهُ

دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِخُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِخُ^(٣)

(١) ط : « إلى الضيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكلم كلبه : يشد فاه خوفاً من أن ينبخ » فيدل عليه . والبيت للراعي كما في العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الخطيئة ، وانظر ماسياً في نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرد بن ضرار :

تشأت غلاماً أتقى الذمَّ بالقري إذا ضاف ضيف من فزارة راغب
فإن أب سارٍ أسمع الكلب صوتَه

أتى دون نبح الكلب ، والكلب دائب

وقال بشار بن برد :

سقى الله القباب بتلّ عبدى وبالشرقين أيام القباب^(١)

وأياماً لنا قصرت وطالت على فرعان نائمة للكلاب

وقال رجل من بني عبد الله بن غطفان^(٢) :

إذ أنت لم تستبق ودّ صحابة على دخن أكثرت بثّ المعائب^(٣)

وإني لأستبق أمراً السوء عُدّة لعدوة عريض من الناس جانب^(٤)

أخاف كلاب الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

وقال أحيحة بن الجلاح^(٥) :

ما أحسن الجيد من مليكة والّا بأت زانها ترائبها

يا ليتني ليلة إذا هجع ال ناس ونام الكلاب صاحبها

وقلت : وفي الكلب قذارة^(٦) في نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة سُلّاحه

ويؤله ، على أنه لا يرضى بالسُلّاح على السطوح ، حتى يحفر ببرائنه وينقب

بأظافره ، وفي ذلك التخریب .

(١) في الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب في حاسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر في الخزانة ٣ : ٣٢١ .

(٦) في الأصل : « قذرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الهوكف ، وفي الزكف من منع النوم ومن
إفساد حرّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتفزع
الولدان ، وشقّ الثياب ، والتعرّض للزوّار ؛ ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع
المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجحه وتهيجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقرهم
والوثوب عليهم^(١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرّم والأزواج ، والسّراريُّ
والخطيّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقْبِع
وإما قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أشطّ^(٢) وأنعظ بحضرتنّ ، ولعلهنّ
يكنّ مغيّبات^(٣) أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساء عند غيبة فحلهنّ ، وإذا
عجز عن أن يعمهنّ .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئ بن الحرث البرجمي أمّ أناس من العرب ، أن الكلب
الذي كان يسمى قُرْحَان^(٤) ، كان يأتي أمهم ، حتّى استعدوا عليه ، وحبسه
في ذلك عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي رماهم به

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشط الرجل : أنعظ . وفي الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيّبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » في الخزائن ٤ : ٨٠ بولاق والثقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثله ، لما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتى مات في حبسه ^(١) . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تَجَشَّمُ نَحْوِي وَفَدُّ قُرْحَانَ شُقَّةً تَظَلُّ بِهَا الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَزَوَّدْتُهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَتَاجِ الْمَرْمَزَانِ أَمِيرُ ^(٢)
فَأَمَّكُمْ لَا تَرَكُوهَا وَكَلَبَكُمْ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرُ ^(٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقوبيُّ أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا يَكُونُ كَلْبَةً مِنْ كِلَابِ الرِّعَاءِ ، وَمَرَّ بِذَلِكَ الزُّبِّ الْعَظِيمِ فِي ثَفَرِهَا - وَالثَّفَرُ مِنْهَا وَمِنَ السَّبْعِ ، كَالْحَرِّ مِنَ الْمَرَاةِ وَالطَّبْئَةِ مِنَ الْأَتَانِ وَالْحَجَرِ ، وَالْحَيَاءِ مِنَ النَّاقَةِ وَالشَّاةِ - فزعم أَنَّهُ لَمْ تَعْقِدْ عَلَيْهِ ، وَلَا نَدْرَى أَمْكَنَتْهُ أَمْ اغْتَصَبَهَا نَفْسَهَا .

وَأَمَّا النَّاسُ فِي مُلْحِ أَحَادِيثِهِمْ : أَنَّ رَجُلًا أَشْرَفَ عَلَى رَجُلٍ وَقَدْ نَاكَ كَلْبَةٌ فَعَقَدَتْ عَلَيْهِ ، فَبَقِيَ أَسِيرًا مُسْتَحْزِيًا ^(٤) يَدُورُ مَعَهَا حَيْثُ دَارَتْ . قَالَ : فَصَاحَ بِهِ الرَّجُلُ : اضْرِبْ جَنْبَيْهَا . فَأَطْلَقَتْهُ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَخْزَاهُ اللَّهُ أَيْ نِيَّاكَ كَلْبَاتٍ هُوَ !

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابطاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابطاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لا يكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبري ٥ : ١٣٧ : « بيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبرني من لا أردُّ خبره ، أنه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ،
فإذا هو بسوادٍ في ظلِّ القمر في أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى
رأسَ إنسانٍ يدخل في القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظلِّ (١) القمر ،
فتأمل في ذلك (٢) فإذا هو بحارس يملك كلبة . قال : فرجته وأعلمته أنني
قد رأيته ، فصبَّحني من الغد يقرع الباب على ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما
جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنك ستركب البحر أو تمشي على وجهك إلى
البراري . قال : جُعِلْتُ فداك ، أسألك أن تستر علي ، ستر الله عليك ،
وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت وملك ، فما اشتيت من كلبة ؟ ! قال :
جُعِلْتُ فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولانجل (٣) ، فهو يملك إناثَ
الكلاب (٤) إذ كنَّ عظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضه ؟
قال : لو رامَ ذلك منها غيرُ الحارس التي هي له وقد باتت معه فأدخلها
في كيسائه في ليالي البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنه إن أراد [أن] (٥)
يوعبه كله لم تستقر له . قال : ونسيتُ أن أسأله : فهل تعقد على أيور
الناس كما تعقد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعد ثلاثين سنة ، فقال :
لا أدري لعلها لا تعقد عليه ، لأنه لا يُدخِلُه فيها إلى أصله ، ولعل ذلك أيضاً
إنما هو شيء يحدث بين الكلاب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع
الالتحام . قال : فقلت : فطيب هو ؟ قال : قد نكحت عامةً إناثِ
الحيوانات فوجدتهن كلهنَّ أطيبَ من النساء . قلت : وكيف ذلك ؟ قال :

(١) في الأصل : « ظلمة » والوجه ما أثبت .

(٢) في الأصل : « فتأمل إنسان في ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا دار الماء في صلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فربما التزمت السكبة وأهويت إلى تقبيلها . ثم قال : أما إن الكلاب أطيبت شئ أفواهاً ، وأعذب شئ ريقاً ؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام ، ولو ذهبت أن أنيكها من خلف وثنيت رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظن بي أني أريد غير ذلك فتسكدم في ووجهي . قال : فقلت : فإني أسألك بالذي يستر عليك ، هل نزعته عن هذا العمل منذ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة ؟ قال : ربما حننت إلى ذلك فأحتبس^(١) بعهدك . قال : وقلت : وإنك لتحن إليها ؟ قال : والله إني لأحن إليها ، ولقد تزوجت بعدك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعود شيئاً لم يكذب صبر عنه ! قال : فقلت له : هل تعرف اليوم في الحراس من ينيك السكلبات ؟ قال : نعم ، خذ محموليه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارساً الحمائي فإن فارساً كان حارساً وكان قيم حمام ، وكان حلقياً ، فزعم أنه ناك الكلاب خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبح وتشنج ، حتى كان لا ينيكه أحد . قال : فلم يزك يحتال لسكلب عنده حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتى قتله اللصوص ، ثم أشرف على فارس^(٢) ، هذا المحتسب الأحذب ، وهو ينيك كلبه فرماه بحجر فدمغه^(٣) .

قال : فالسكلاب كما ترى تتهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك الرجال ، وليس شئ أحق بالنفي والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل : « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمغه : أصاب دماغه .

من السباع العادية الوحشية في راحة ، إلا في الفَرْط ^(١) فإن لها عُراماً على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامة ^(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بعير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمح حمار ، ولعل ذلك يكون في الدهر المرة والمرتين ، ولعل ذلك أيضاً لا ينال إلا عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالسلاح تذهبون ، وإلى قشَريّطين السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى نتن السلاح وقدر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسنورُ أكثر في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ » . فإذا كان ذلك في السنابير مغتفراً ، لانقاعهم بها في أكل الفأر ، فنافع الكلاب أكثر ، وهي بالاعتقاد أحق . وفي إطلاق ذلك في السنور دليلٌ على أنه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاضه ، فلعمري إنه ما ينبغي للغيور أن يُقيم الفرسَ ولا البرذونَ والبغلَ والحمارَ والتيسَ في المواضع التي تراها النساء . والكلبُ ١٨٤ في ذلك أحسنُ حالا . وقد كرهه ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والديكةَ والدجاجَ والبطةَ خاصة ؛ لأن له عند السفاد قضييا يظهر ، وكذلك التيس من الظباء ، فضلا عن تيوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم يجري في وجوه كثيرة

(١) للفَـرط : الندرة . وفي ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أن للحام^(١) خاصّة من الاستشارة^(٢) ، والسكّم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس^(٣) مثله ، ثمّ التقبيل والتغزل والتنّفّس^(٤) ، والابتهاج بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأثني للذكر و [عدم]^(٥) إمكانها لغير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء ممّا ذكرتم^(٦) . فلم أفردتم الكلب بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرمول واحدٍ منها ، حقّرت بعلمها أو سيّدتها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبّئها ساعة الغفلة ، ويُحدّث لها التمتّى لما لا تقدّر عليه ، والاحتقار لما تقدّر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُّ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإن كنتم تذهبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان^(٧) عند العبث والتعرّض ، والتحكّك والتهيج^(٨) والتحريش ، فلو أن الذى يأتى صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العبث - والصبيان أقسى الخلق وأقلهم رحمة - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حذيفة ، نَحْرَجُوا^(٩) إلى أقبح ممّا يخرج إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمّت وحسنت .

(٣) فى الأصل : « الناس » .

(٤) فى الأصل : « والتنفس » .

(٥) زيادة يقتضيا الكلام وليست فى الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه فى س .

(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ما أثبت .

(٨) فى الأصل : « والتهيج » ، والوجه : « التهيج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدنا كلباً وثبَّ على صبيٍّ فعقره من تلقاء نفسه ، وإنَّه ليردُّ عليه وهو في المهد ، وهو لحمٌ على وضمٍّ ، فلا يشمه ولا يدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمَّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبه ، ولا في الأرضِ مجوسىٍّ يموت فيُحزَن على موته ويحمل إلى النأووس إلاَّ بعد أن يُدنى منه كلبٌ يشمه ، فإنَّه لا ينجى عليه في شمه عندهم ، أحيى هو أم ميّت ؛ للطافةِ جسِّه ، وأنَّه لا يأكل الأحياء^(١) . فأما اليهود فإنَّهم يتعرَّفون ذلك من الميت ، بأن يدهنوا استه . ولذلك قال الشاعر^(٢) وهو يرى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميّتٌ مسحوا استه بدهنٍ وحفُّوا حوله بقرامٍ

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جنایاتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنایات الديكة أعظمُ من جنایات الكلاب ؛ لأنَّ عبد الله بن عثمان بن عفَّان ، ابن بنت ١٨٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنَّما مات من نقرِ ديكٍ في دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتلُ الديك لعثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونه من جنایات الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابنِ حَسَكَة بن عَتَّاب^(٣) ، أو عين ابن أخته .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما في اللسان (حم) . وقبل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكر لشمِّ بني الطماح أهلِ حمام

(٣) في الأصل : « عباد » صوابه في الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

وقد قر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهد فاعور ، ثم ضربته الحجرة فمات .

ووثب ديك فطمع بصيصته عين^(١) بنت لثمame بن أشرس ، قال ثمامة : فأتاني الصريح ، فوالله ما وصلت إليها حتى كمد وجهها كله واسود الأنف والوجنتان وغارت العينان . وكان شأن هذا الديك - فيما زعم ثمامة - عجباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقال لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسألته عن الديك ، فزعم أنه قد وجه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا في ذلك . فلم أبرح حتى اشتريته ؛ وكنت أصونه وجعلته في مكنة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنتي هذه لتتظر إليه ، فكان هذا جرائي منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتى وطئ في ذوابته ثم أقبل ينقر دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان لا تطأه الدجاج^(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإن له يداً تشج^(٣) وأخرى تأسو ، بل ما يدفع الله بحراسته ويحلب من المنافع بصيده^(٤) أكثر وأغمر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .

(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً مشهوراً . وانظره في الكامل ٧١٠ ليسك . وفي الأصل أيضاً « لا تطؤها » وتصحيحه من الكامل ،

(٣) في ط : « تسبح » وهو تحريف ما في س .

(٤) ط : « بيهده » وتصحيحه من س وم .

الغامر لا المنصور ، والفاضل لا الفضول . والذئب يفتق العيونَ و ينقر الأدمغة
ويقتل الأنفس ، ويشج ولا يأسو ؛ فشره صرف وخيره ممزوج . إلا أن
يزعموا أنه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى
البرهان . و [من] ^(١) عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من
الصوص ، ومنع السباع من الماشية ، وموضع تقع الكلب في المزارع -
وذلك عيان ونفعه عام وخطبه عظيم - بما يدعى من حراسة الدكة
للشيطان ؛ لم يكايل ولم يُوازن ولم يعرف المقايسة ، ولا وقف قط على معنى
المقابلة ^(٢) ودلّ بذلك على أن مبلغ رأيه لا يجوز رأى النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة ^(٣) :

ألم أكُ جارَكم فتركتموني لِكلي في دياركم عواء ١٨٦
وقال الشاعر :

وإني امرؤ لا تشعُر ذؤابتى من الذئب يعوى والغراب المحجل
وقال الشاعر ^(٤) :

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت في ديوانه بشرح السكري من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِيَّانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذُّئْبُ مَحْزُونًا كَأَنَّ عَوَاءَهُ عَوَاءُ فَصِيلٍ آخَرَ اللَّيْلِ مُخَلِّ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمِنْهُلٍ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهُ يَعْوَى بِهِ الذُّئْبُ وَتَزُقُو هَامُهُ
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُثْفَةَ يَهْجُو زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ .

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذُئْبٌ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْحَصَى حَوْلَ زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ (١) :

وَمَعْرُسٌ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ (٢)
قَدْ بَثَّ وَهْنًا وَأَرْقَى ذُئْبُ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ جِدْلُ
فَتَرَكْتَهُ يَعْوَى بِقَفَرَتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفْرَةٍ شَكْلُ
بَتْنُوفَةٍ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لِحَبِّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلُ (٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ (٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذُئْبٌ فَطَرَّبَ عَادِيًا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَشَارٍ سَخِيمَهَا (٥)

(١) كَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَحُكَّامِهِمْ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٦٩١٨ وَالْأَغَانِي ١٢ : ٤٣-٤٧ .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ .

(٣) يَجْزَعُهَا : يَقْطَعُهَا ، وَفِي ط : « لِحَبِّ » وَصَوَابُهُ بِالْخَاءِ كَمَا فِي س وَ م .

(٤) مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ : شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَهُ تَرْجِمَةٌ فِي الْخَزَائِنَةِ ٢ : ٤١٩ بُولَاق .

(٥) ط : « مُسْتَشَار » .

إِذَا هُنَّ لَمْ يَلْحَسْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمَا هُلِسَتْ أَجْسَادُهَا وَلَحُومُهَا^(١)

١٨٧

وَقَالَ الْأَحْمِرُ السَّعْدِيُّ^(٢) :

عَوَى الذَّنْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذْ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وَقَالَ آخَرُ^(٣) :

وَعَاوِ عَوَى وَاللَّيْلُ مُسْتَحْلِسُ النَّدَى

وَقَدْ زَحَفَتْ لِلغُورِ تَالِيَةَ النَّجْمِ^(٤)

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ بَاغِيًّا أَوْ زَائِرًا ، أَوْ مَن يَلْتَمِسُ الْقَرْىَ ،

وَلَمْ يَرِ بِاللَّيْلِ نَارًا ، عَوَى وَنَبَحَ ، لِنَجْيِهِ الْكَلَابَ ، فَيَهْتَدِي بِذَلِكَ إِلَى مَوْضِعِ النَّاسِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَمُسْتَنْبِحُ أَهْلِ الثَّرَى يَلْمَسُ الْقَرْىَ

إِلَيْنَا وَمِمْسَاهُ مِنَ الْأَرْضِ نَازِحٌ

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهِمَّ :

وَمُسْتَنْبِحٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارَى الشَّتَاءِ طُرُوقُ

فَهَذَا مِنْ عَوَاءِ الْفَصِيلِ وَالذَّنْبِ وَالْكَلْبِ .

(١) فِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِي ٣٩١ :

إِذَا هُنَّ لَمْ يُولُغْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمَا هُلِسَتْ أَبْدَانُهَا وَلَحُومُهَا

(٢) ط : « الْأَحْمَرُ » وَصَوَابُهُ فِي س . وَهُوَ شَاعِرٌ مِنْ لُصُوصِ الْعَرَبِ .

(٣) الْبَيْتُ لِحَمِيدِ الْأَرْقَطِ كَمَا فِي الْبَحْثِ ٢٠٠ .

(٤) ط : « لِلغُورِ » وَصَوَابُهُ فِي س . وَفِي الْأَصْلِ : « مُسْتَحْلِسُ النَّدَى » وَصَوَابُهُ فِي الْبَحْثِ ٢٠٠ .

٢٠٠ . اسْتَحْلَسَ النَّدَى : تَرَكَهُ .

(ما قالوا في أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلفه ، وجبه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطثرية (١) :

يا أمَّ عمرو أنجزى الموعدا وارعى بذلك أمانةً وعهودا
ولقد طرقت كلابَ أهليكَ بالضُّحَى حتَّى تركتُ عقورهنَّ رُقودا
يضرِبْنَ بالأذنانِ مِن فرحِ بنا متوسِّداتٍ أذرعاً وخدودا
وقال الآخر (٢) :

لو كُنْتُ أَجِلُ خمرًا يومَ زرتُكم لم يُنكرِ الكلبُ أنَّى صاحب الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المسكِ يفعمني والعنبرُ الورْدُ أذكيه على النارِ (٣)
فأنكر الكلب ريمى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزَّقِّ والقارِ
وقال أبو الطَّمَحان القينى في الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار
الشَّمخى (٤) :

سأمدحُ مالِكاً قى كلِّ رَكبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رَذُلٍ

-
- (١) في الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه مأثبات . والشعر في البخلاء ٢٠٣ .
(٢) الشعر في البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو في الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال في العرب . ترجم له أبو الفرج في أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .
(٣) فعنه الطيب وفعمه : ملا خياشيمه . وفي الأصل : « ينعمى » ، وصوابه في البخلاء ٢٠٢ . وفي الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغنى » بالعين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .
(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار في الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

فما أنا والبيكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وُبُزَلٍ
وقد عَرَفْتُ كلابَهُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ ونَسِيتُ أَهْلِي
تَمَّتْ بِكَ مِنْ بَنِي شَمَخٍ زِنَادٌ لَهَا، أَشْتَتَ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلٍ

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عَنيفٌ بَتَسْوَاقِ الْعِشَارِ وَرَعِيهَا وَلَكِنْ بَتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رَفِيقُ
سَنِيدٍ يَظَلُّ السَّكَلْبُ يَمَضُغُ ثَوْبَهُ لَهُ فِي دِيَارِ الْغَانِيَاتِ طَرِيقُ
وقال الآخر :

بَاتَ الْحَوِيرُثُ وَالسَّكَلَابُ تَشْمُهُ وَسَرَتْ بِأَبْيَضٍ كَالْهَلَالِ عَلَى الطَّوَى
وقال ذو الرمة :

رَأَيْتُنِي كَلَابُ الْحَيِّ حَتَّى أَلِفَنِي وَمُدَّتْ نُسُوجَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي ^(١)

وقال حسان بن ثابت :

أَوْلَادَ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
بَيْضُ الْوُجُوهِ نَقِيَّةٌ حُجْرَاتُهُمْ شَمُّ الْأَنْوُفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وَبَوَّاتُ ^(٣) بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبٍ الْمَبَاءَةِ وَالْمُسْرَحِ
كَفَيْتَ الْعُقَاةَ طِلَابَ الْقِرَى وَنَبَّحَ السَّكَلَابَ لِمُسْتَنْبَحِ ^(٤)

(١) في الأصل : « رأيت » والوجه « رأيت » كما في البخلاء ٢٠٢ . وفي الديوان ٤٩١ : « أتنى » .
وفي ط : « على رحل » وصوابه في س والديوان .

(٢) الحجة : معقد الإزار . وفي الأصل : « حجراتهم » وليس بشيء .

(٣) في الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بواته في المنزل : أنزلته به .

(٤) في الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه في الحيوان ١٣٥ : ٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الْمَطْيِ أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفِيحِ
ولو كُنْتَ فِي نَفَقِ زَانِعٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ (١)

وفي مثل ذلك ، وليس في ذكر إلف السكّاب ، ولكنّه مما ينبغي
أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال
أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَايَاتُ مُتَسَوِّكٌ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذَرَاكَا
وقال البزّار الحلّي ، في المعنى الأول :

أَلِفَ النَّاسِ فَمَا يَنْبَحُهُمْ مِنْ أَسِيفِ يَبْتَغِي الْخَيْرَ وَحُرَّ (٢)
وقال عمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةِ (٣)
فَبَابِكَ أَلِينُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ آهَلُهُ عَامِرَةٌ
وَكَلْبُكَ آنَسَ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بَابِنْتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيهِ نَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
فَبِنِكَ الْعَطَاءُ وَمِنَّا الشَّنَاءُ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ
وقال هلال بن خثعم (٤) :

إِنِّي لَعَفٌُّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « ولو كنت في نفع » والوجه ما في س و م .

(٢) في الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه في البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المزار الحماني .

(٣) للشعر في الأغاني ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان .

(٤) كذا نسب الشعر في البخلاء ٢٠٢ . ويرى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجري في الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكن لها زَمْجوراً ولم تأنسْ إلى كلابها
وما أنا بالداري أحاديث سرّها ولا عالم من أيّ حوكٍ ثيابها^(١)
وإن قرّابَ البطن يكفيك ملوّه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفانة ، وكان
أسره ثوب بن شحمة العنبري مجير الطير^(٢) :

إذا ما بجيلُ الناس هَرَّتْ كلابُهُ وشقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عقورُها
فإني جبانُ السكلبِ بيتي موطاً جواد إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضميرُها
ولكن كلابي قد أقرّتْ وعودت قليل على من يعتريها هريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب السكلب : إن كثيراً من هجاء السكلب ، ليس يراد به
السكلب ، وإنما يراد به هجاء رجلٍ ، فيجعل السكلب وُصلةً في الكلام
ليبلغ ما يريد من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتفق الناس به من أسباب
السكالب . ولذلك قال الشاعر^(٣) :

من دون سيبك لونٌ ليل مظلمٌ وحفيف نافجةٍ وكلبٌ مُوسدٌ^(٤)
وأخوكَ محتملٌ عليك ضغينة ومُسيفٌ قومك لائمٌ لا يَحمدُ

(١) في الأصل : « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار .

(٢) في الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ . وانظر الحيوان

٤ : ٨٢ وديوان المعاني ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجيء بقوة . وفي الأصل : « نافخة » وإنما الخفيف للريح . وتصحيحها
من النوادر لأبي زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضيفُ عندكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلُ أحبُّهُما إليك الأسودُ
فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ في من عيبٍ فإني جبانُ السكِّبِ مهزولُ الفصيلِ
فهو لم يرد مدح السكِّبِ بالجبن ، وإنما أراد نفسه حين قال :

١٩٠

* وحفيف نافجة وكلب موسد^(١) *

فإن كان السكِّبُ إنما أسره أهله ، فإتِّمَّ اللومُ على من أسره . وإنما
هذا الضرب كقوله^(٢) :

قوم إذا استنبَح الأضيافُ كلِّهم قالوا لأُمَّهم بُولى على النَّارِ
ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، ولكن حَقَّرَ أمرهم وصَغَّرَهم .
وقال ابن هرمة :

وإذا تنوَّرَ طارقٌ مستنبَح نَبَحَتْ فَدَلَّتُهُ على كلابي^(٣)
وقال ابن مهية :

جلبنا الخيلَ من شُعْبَى تَشَكَّى حوافِرَها الدوابِرَ والنُّسُورا
فلما أن طَلَعْنَ بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلِّبُهُم ليفيق حتَّى يُهَارِشَ كلِّبُهُم كلِّبا عَقُورا
ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل : « نافخة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما هجيننا بشعر هو أشد علينا
من هذا البيت ! » . ديوان المعاني ١ : ١٧٥ .
(٣) في الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يَحْسِبُ المَجْدَ فُرْصَةً إِلَى أَهْلِهِ أَوْ ذِمَّةً لَا تُخَفَّرُ
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ السَّكْرِمِ نَبَاحُهُ كَرِيهُ إِلَى الكَوْمَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحَيِّ يَتَّبِعُهَا شَحْمٌ يَزِفُ بِهِ الدَّاعِيَ وَتَرَعِيبُ
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ
دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ^(١)
وقال الآخر :

وَتَكْعَمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى
وَنَارُكَ كَالْعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ^(٢)
وقال أعشى بنى تغلب :

إِذَا احْتَلَّتْ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو عَلَى الْأَطَوَاءِ خَنَقَتِ الْكِلَابُ
فَالسَّابِ مَرَّةً مَكْعُومٌ^(٣) ، وَمَرَّةً مَخْنُوقٌ ، وَمَرَّةً مُوسَدٌ وَمَحْرَشٌ ، وَمَرَّةً
يَجْعَلُهُ جَبَانًا ، وَمَرَّةً وَثَابًا ، كَمَا قَالَ الرَّاعِي فِي الْحَطِيطَةِ :

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْحَطِيطَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ
وَقَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ
وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه في م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) في الأصل : « وتطعم » صوابه في اللسان (كم) .

(٣) في الأصل : « مغموم » ، والوجه ما أثبت .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَبِيثٍ قَرِيبَتَهُ أَلا كُلُّ عَبَسَى عَلَى الزَادِ نَابِجٌ^(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلا إلى فتى إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الكلبُ نَابِجٌ *

وقال الآخر :

* أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ تَابِجٌ *

وقال الفرزدق :

* إِذَا مَا أَبَى أَنْ يَنْبَحَ الكلبُ أَوْقَدًا^(٢)) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذا يدلُّ على أَنَّهُمْ يَتَشَفَّقُونَ بِذِكْرِ الكلبِ ، وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، لَا عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي ذَكَرُوهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ :

وقال الآخر ، وهو جرير^(٣) :

ولو كنت في نَجْرَانَ أَوْ بَعْمَايَةَ إِذْنُ لَأَتَّانِي مِنْ رَبِيعَةٍ رَاكِبٌ^(٤)

(١) البيت في العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعي . وقد رواه تاليسا البيت السابق ، برواية :

* أَلا كُلُّ عَبَسَى عَلَى الزَادِ نَائِجٌ *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ، ولست أدري لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئین . والأبيات في ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : خلاف بالين . وعماية : جبل بالبحرين . وزواية الديوان : « ولو كنت في غمدان » .

يُشير الكلابَ آخرَ الليلِ وطَّوهُ كَضَبَ العَرَادِ حَطَّوهُ متقارب^(١)
 فباتَ يُمَسِّنِنَا الربيعَ وضَوْبَهُ وَيَنْظُرُ من لُقَاعَةٍ وهو كاذب^(٢)
 فذكر تقاربَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنه مع ذلك قد أثار^(٣)
 الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها
 ودقَّة حسِّها .

وفيا ذكروا من حالة الكلاب لسبب القربى من البرد ، والذي يلقي ،
 وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأَجَحَرَ الكلبَ مُبَيَّضُ الصَّقِيعِ بِهِ
 وَأَلْجَأَ الحَيَّ من تنفاحه الحَجَرُ^(٤)

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . وللعرب تقول : قيل للضب وردا
 وردا ، فقال :

أصبح قلبي صردا لايشتهى أن يردا
 إلا عرادا عردا وصليانا بردا
 وعكثنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت
 في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفي تاج العروس :
 « وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول : إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على
 شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول في الحجر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحَيَّ
 يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة في الخزانة ٢ :
 ١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الخطيئة :

إذا أبحر الكلب الصقيع اتقنه

بأباج لا خور ولا قفرات^(١)

وقال ابن هرمة :

وسلى الجار والمعصب والأض ياف وهنا إذا تحيوا لديا^(٢)

كيف يلقوننى إذا نبج الكلا ب وراء الكسور نبها خفيا

ومشى الحالب الميس إلى النأ ب فلم يقر أصفر الحى ربا

لم تكن خارجة من تراث حادث ، بل ورثت ذاك عليا

وقال الأعشى :

وتبرد برّد رداء العرو

س فى الصيف رقرقت فيه العبرا^(٣)

وتسخن ليلة لا يستطيع مع نباحا بها الكلب إلا هريرا

وقال الهذلى^(٤) :

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها

لا ينبج الكلب فيها غير واحدة من الشتاء ولا تسرى أفاعيها

(١) أبحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أبحر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الخطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتمصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى على الصواب فى الجزء الثانى

(٣) ط : « فيها البعبرا » وصوابه فى س و م .

(٤) انظر ماسياتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق (١) :

إذا اجمَرَ آفاقُ السَّماءِ وَهَتَّسَكَتْ

كُسُورَ بُيُوتِ الحَيِّ نَكَبَاءُ حُرْجَفْ

وَجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا يَزِفُ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُحَفُ (٢)

هَتَّ كَتِ الْأَطْنَابِ كُلُّ ذِفْرَةٍ لَهَا تَأْمَكُ مِنْ عَاتِقِ النَّيِّ أَعْرَفُ (٣)

وَبَاشَرَ رَاعِيهَا الصَّلَى بِلَبَانِهِ وَكَفَّ لَحْرَ النَّارِ مَا يَتَحَرَّفُ

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيَرِبُضَ فِيهَا ، وَالصَّلَا مَتَكْنِفُ (٤)

وَأَصْبَحَ مَيِّضُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى سَرَواتِ النَّيْبِ قُظْنٌ مُنْدَفُ (٥)

تمَّ الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التي مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) في الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفي ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتأملك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحي لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع في موضع يدفنه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفي الأصل :

« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع التلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما في الديوان .

(٦) في نهاية س « تم المصحف الأول ويتلو المصحف الثاني من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخداع الحُبّ .
	٨	: « شك العضاه » .
	١٣	: « قد ابتلى أيضا بأن أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
	١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رمادك » .
	١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١٢-١١	: « ويجعلونها متخيرة غير مسخرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر (٢٥٦)] : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر ما يكون : جُمَيْل حُرّ » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد [والذئب والأسد » .
	٧	: « مايكون سلاحه سُلَاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
١١		: « مشهوران بالحبل » .
١٦		: « والبند » بدل « البينب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .
١٠		: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
١٠		: « ويزر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
١١		: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .
١١		: « ويفح » بدل « ويعج » كما اقترحت في الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأنبه النوعين ذكرا » .
٨		: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ - ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما ينخر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
١٠		: « ثم لم يوجد لهم » ، كما فى ط ، ل .
١٢		: « وصاحب الحسد والمشاففة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
٦		: « وجعل الفكر تنشئ » .
١٢		: « مارأيت فى أثناؤه من مزح » .
١٦		: « لأن يكون علّة للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

ص	س	
٣٨	١	: « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصل » .
٥ - ٦		: « إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث .
		الطول من الكد » ، مع إسقاط مافي أثناء الكلام .
١٤		: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ - ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهلك بوادره » .
١٣		: « أو روضة تتقلب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
٦		: « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقنسم » .
٧		: « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
٨ - ٩		: « حين هذه الخصال لم يلبس جديدها ، ولم يقل غربها » .
		وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب لبس ،
		إذا كثر لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
٤١	١	: « بعد الذي أبصرت من يسه » .
٥		: « أدبت عرسي » .
٨		: « في طلبها ليلة » .
١٢		: « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
٤٢	٢	: « أحسن مواتاة » .
٨		: « والمذاهب القديمة » .
١٩		: « لازمة لطبائعهم » .
٤٣	١	: « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

- ص س
- ٣ : « معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
- ٤ - ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .
- والتكملة التي في س٧ لم ترد في النسخة :
- ٤٤ ٤ : « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
- ١٠-١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
- ١٥ : « ومعرفاً لمواقع سد الخلطة ودفع الشبهة » .
- ١٦ : « الأشباح المثل » .
- ٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
- ١٤ : « تكمل بجنسه الذي » .
- ١٧ : « والساكنة الثابتة التي لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
- ٤٦ ٤ : « والذائق [في ذلك] نصيباً » .
- ١٠ : « هذه الآلة لكان » .
- ٤٧ ٢ : « مجرى البيان ؛ وألحق البيان [بالقرآن] » .
- ١٠-١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .
- ٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .
- ٦ : « إلى الحاجة باللفهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
٩		: « لبطل الطَّرب كله » .
١٢		: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نهبت في الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميج الذى لا يستزيدك » .
	١٢-١١	: « إن افتقرت لم يحقرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
٨ - ٩		: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
١٥		: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
٩		: « وانقطاع المادة من قبله » ، وهو الوجه .
١٠		: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
١١		: « القينى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن فى نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
١٠		: « به هذا الظن [كله] » .
١١		: « كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

- ص س
- ١٢ : « أنفق قليلا وأكسب كثيرا »
- ٥٥ ٢ : « ولا بد من أن تصير كتبه » .
- ٣ : « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
- ١٤-١٣ : « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبي للمال ، وبغضى للمغرم ، لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
- ٥٦ ٥ : « أو كتب أرفاق ورياضات » .
- ٨ : « فى التبيين » .
- ١٤ : « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .
- ١٧ : « وقد رأيتم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .
- ١٨ : « ملوكنا » .
- ٥٧ ٨ : « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
- ١٢-١١ : « بعمود السبح ، والإخبار عن شلقون الهمامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
- ٥٨ ١ : « على الناس الإطاعة » .
- ٢ : « الاستبصار والمحنة » .
- ٥ - ٦ : « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط « لا » .
- ٨ - ٧ : « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليب » .
- ٩ - ١٠ : « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزئيدهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .

ص	س	
٥٩	٥	: « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشيء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا يزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقعت في الحاشية .
٦١	٢-١	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذى كان سعى بهم » .
	٣	: « عثرتم بها ، [قال] : فقلت » .
	٧	: « ما أشد صبايته » .
	١١-١٢	: « لقد ضيَّع درهماً من تجوّد » .
	١٣-١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف » . وكلاهما صحيح ؛ فإن الرقوق جمع الرِّق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء . والجلد الرقيق يكتب فيه .
	١٨	: « قط أثخن ولا أنبل » . والثخانة : الحلم والرزانة والنقل فى المجلس .
٦٢	٦	: « ولا أمتع من كتاب » بالتاء ، كما توقعت فى الحاشية :
	٧	: « [قال] فقل له : فقد جاء » ، مع سقوط التكملة التى فى نهاية السطر .
٦٣	٣	: « إذا غزوا » .

ص	س	
٤		: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
٦		: « إذا تذكرت منى » .
٧		: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخططن » .
٥		: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
٦		: « وقال الحزين الكندى » .
١١		: « ماتنقضى عبراتى » .
١٤		: « فى نواح » ، و « لم تَعْلَلْ لهم » ، أى لم تتعلل بعلّة .
١٥		: « تنلقط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
١٠		: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
٢		: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
٨		: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هذا الموضع ، وإنما ورد
		بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١		: « حده لحسامه » .
١٣		: « فى الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
٢		: « مخلولف السن » .
١١		: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

- ص ١٥ : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٦-٤ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحرى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحرى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو الناقى » .
- ١٠ : « هو الناقى » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .
- ٦٩ ٣ - ٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيفار » بدل « وكل إنفاق » . والإيفار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [حق] الحلف والهدنة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .
- ٧٠ ٧ - ٦ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

- ص س
- ٨ : « أو بها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في امتيقاء مآثرها ،
وحصر مناقبها » .
- ٤ - ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ،
وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت
العجم » .
- ٦ : « مثل كردينذاذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد وما رد » .
- ٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام
خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار
مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٧٥ ٢ - ٣ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنشور » مع
سقوط « والكلام المنشور » بعده .
- ٤ : « المنشور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعاشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧٦ ٦ - ٧ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٥ - ٤	: « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٧ - ١٦	: « لم يجد المعين والرافد [بدءاً من] التقصير » .
٧٩	٢ - ١	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك » .
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	٢ - ١	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه المدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « في سير البُخْتِيَّة » ، كما في ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما في ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدوا من معرفة ذلك شدوا » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مثوتهم في تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل » .
	١٦	: « ولو ألقينا » .

ص	س	
٨٦	١-٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة » .
	٦	: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان في كل حال إنسانا يدرسه » . صواب
		ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ،
		كما في اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧
		بتحقيقنا ففيه : « ويُدْرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
	١٥	: « فظن أنه باب بعض العمال » ، كما في ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغب ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله في النسخة عبارة
		لا يدرى صلتها ، وهي : « الفترة المانعة من البلوغ في الفهم
		وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
	١٢	: « إلى التواويس فالماخور » :
٩٥	٩	: « علما بأولها » . وس ١٢ : « في العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكْتَسَب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

- ص س
- ٣ : « التكملة التي تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان في مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
- ٩٩ ٨ : « وصاحب المال بعرض فساد » .
- ١٦ : « تسكن النفس ويثلج الصدر »
- ١٧ : « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة .
- ١٠٠ ١٠ : « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
- ١٠١ ١ : « مابعد كلمة « حظاً » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
- ٤ : « طريق تد نهج له » .
- ١٢١ ٧ : « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الحرم .
- ١١ : كلمة « المرى » ليست في النسخة .
- ١٢٢ ١ : كلمة « الخنثين » ساقطة من النسخة .
- ٢ - ٣ : « كأنها تمررة فقال اليعقوبى » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .
- ٤ - ٥ : « إلا بالخصاء دون الإخصاء » .
- ١٣ : « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
- ١٢٣ ١ : « وقال يوما » .
- ٢ - ٣ : « لا يحمل إلا التمر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه لا يحمل إلا الخلال » .

ص	س	
٦		: « والخصى » بدل « والخصيتين » .
١١		: « وقد زعم لنا ناس » .
١٢		: « إنما ولدوا له بعد أن نزعتم بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .
١٨		: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة .
١٢٤	١	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :
		ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه
		« محرز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما في ل .
٧		: « فقد يزعمون أنهم »
٨		: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصي » .
٩		: « بفرط قوته » .
١٢		: « و [من] رقة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢	: « وإن كان الخصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
٣		: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأربنى وأرمى بمعنى .
٧		: « وهى الكبرة »
٩ - ١٠		: « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهرًا »
١٢		: « هجرانى للملابسة النساء »
١٥		: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١	: « موت الخاطر »
٢		: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س	
٨		: « من الخطار »
٩		: « والدواعى لاتطوره »
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروقي »
٥		: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن »
١٨		: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة »
٤		: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع »
٥		: « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل »
٦		: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم »
٧		: « فإذا برأ وهو محبوب القضيب ذو بيضة واحدة »
٩		: « موضع الخاص من بيوتهم »
١٠		: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] وخصب العيش منعا »
١١		: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم »
١٢-١٣		: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان محرجا مطردا »
١٣٠	١	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
٤		: « مجامع [جلد] الخصية »
٦		: « وتتحشّف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
٩ - ١٠		: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل »
١٥ - ١٦		: « [و] قال أبو زيد : خصيت الدابة أخصيه خصاء ، ووجأته أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

- ص ١٣١ س ١ : « أما الخصاء فهو سِلّ الحَصِيَّتَيْن . والوجاء : أن توجأ العروق والحُصَيَانِ » . يقال خُصِيَ كما يقال خُصِيَة .
- ٢ - ٣ : « حتى تسقط الحَصِيَّتَانِ والحُصَيَانِ . الواحد خَصِيَة . ويقال ملست الحَصِيَّتَيْنِ أَمْلِسُهُمَا » .
- ٨ : « وَقَدِيًّا غَدِيًّا » . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١ - ١٢ : « وأكثر السَفَادِ يورث الضعف والهزال » .
- ١٣٢ س ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
- ١٤ : « وإذا كمنوا الكمان »
- ١٣٥ س ٣ : « عادات » بدل « عادة »
- ٥ : « الهرمى » موضع « الهرمين » .
- ١٣٦ س ١ : « على طول الركوب » .
- ١٨ - ١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »
- ١٣٧ س ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم » .
- ٦ - ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
- ١٣٨ س ٥ : « إلا رديا قصير العنق » .
- ٧ - ٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب »
- ١١ : « وهُزِلَا ، بدل « وهزالا »

- ص س
- ١٥ : « [وهى الصرصرانية] » زيادة كلمة « هى » على ما فى ل :
- ٧ ١٣٩ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً »
- ٩ - ١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ،
وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حمرا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
- ٦ - ٤ ١٤٠ : « وهم يزعمون أن فيروز بن تباد طلب حمراً أخدريا
فطاوله ، فليجّ به الاعتزام » مع سقوط ما بين ذلك من
ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
- ١ ١٤١ : سقطت كلمة « لدرست »
- ٤ : « و [من] تركهم التشاغل » .
- ٥ : « حبب إلى هذا »
- ٦ - ٧ : « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخر هذا لأن يكون
من سواس الأسد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط
كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا
ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
- ٧ ١٤٢ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس
مع شدة غلمته »
- ١٠ : « فضلا على أن يكون بينهما نتائج »
- ٢ ١٤٣ : « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

- ص س
- ٩ : « اشترى مرك »
- ١٠ : « بشئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
- ١٣ : « للناقة من الحوش فيسفدها »
- ١٦ : « فمنهم من جمحد البتة أن تكون الزرافة » . ومما لحظته
- أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان :
- « وهى الزرافة والزرافة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »
- ١٤٤ ٣ : « من شأن الوردانى والراعى »
- ٥ : « بسماع الغرائب »
- ٥ - ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوحى حظا سلمت الكتب »
- ١٤٥ ٩ : « يحيى بن الجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
- ١٤٦ ١ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له
- حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
- ٨ : « أراد هو التبديد به » بدل « بعينه »
- ١٤ : « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أولم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يتقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
٩		: « عظاما كان أم غيره » ، [و] مصمما كان أم أجوف » .
١١		: « في شدة شفرته وناره » .
١٤		: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الخمار » بدل « الخمارين » .
٢		: « لبعض من [نسكره] ذكره » .
٤		: « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !
٩		: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لا والله لأعرفه » ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
١٥		: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
٤		: « في تركيبه و [في] إنسالة » .
٧		: « لها عظيم » .
١٣		: « المجاش » موضع « المجانيق » ، كما في ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطبخوا واشتوا و [ملأوا ، و] ملأوا وادّخروا » .
١٥١	١٢-١٣	: « قليل الإناث » ، ولا يكدر أيضا يجمعن البيض » .
	١٢-١٣	: « وإذ قالوا في الزرافة ما قالوا فلا تأمنهم » .
١٦		: « الذي دعا إلى القول في الزرافة تركيب اسمه » ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجعلوا المثل والمجاز ، [وحلوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وحن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطاناً » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذي يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٨ ، ٢	: « وبئال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبذ »

- ٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
- ٩ : « فقد كانا من المعمرين »
- ١٠ : « ونمیز الصدق فيه من الكذب »
- ١٦ : « إيثار المخفس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
- ١٥٩ ١ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
- ٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .
- ٩ : « والحبي الشريف » .
- ١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
- ١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »
- ٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتل .
- ١٣ : « ومن جنس البط »
- ١٦١ ٤ : « فتؤدّى ، وتصاب فى الهواشة فرد » .
- ٦ : « أن نعمّها بالحرق بالنار » .
- ٧ - ٨ : « من ألف بغير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .
- ١٥ - ١٦ : « فيما يرد على المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

- ص س
- ١٦٢ ٣ : « لا تملك الشيء » ، كما في ل .
- ١١-١٢ : « فإن [كان] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب في ذلك معروف » .
- وهو الصواب
- ١٦٣ ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
- ١٧ : « ثم زاده على قيمته » .
- ١٦٤ ١-٢ : « المعروفين بابتياح متاع اللصوص » .
- ٢ : « من شهد السعانيين » ، وهو تصحيح ماورد في ل :
- « السعانيين » . والسعانيين : عيد من أعياد النصارى .
- ٣ : « وأصحاب المخارجات » كما في ط .
- ٧ : « وخطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
- ٩ : « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قبل مارية ، و [أنه] استخدمه » .
- ١٨ : « أجمل منه وأشرف وأخدم لم يزد »
- ١٦٥ ٣ : « لا يحل اطراده ونفيه » .
- ٦-٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
- ٩ : « تدبيراً أو حكمة » .
- ١٦٦ ٦ : « مطرداً » مكان « مطروداً »
- ٨-٧ : « فالفاجر لا يكون المبغي عليه » ؛ وهو الوجه .
- ٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك المساء لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

- ص س
- ١٦٧ ١ : « شئ يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
- ٧ : « وتعظيم البعولة »
- ٩ : « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ما عندها »
- ١٦٨ ٥ : « الصاحب السوء »
- ١١ : « ومتى ألقى إلى الفتيات شئ من أمور النساء » ، وهو الوجه .
- ١٢-١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شئ من أمور الغلمان » .
- ١٥-١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة »
- ١٦٩ ١ : « داعية إلى الميراثية !! »
- ٢-٤ : سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
- لا تحقرن من الأشرار ذا صغر فالذئب ليس بأمون على الغم
ولا عجوزا على أهل فتفسدها ولا خصيًّا على مال ولا حرَمـ
- ٩ : « فصادف قلبي فارغا فتمكننا » .
- ١٧٠ ١-٢ : « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سماعها ثم قال : قد والله يامولائي وسيدتي ، أشرت ليلى » .
- ١٤ : « أشد لها إشغالا » .
- ١٥ : « ملهى في النساء » .
- ١٦ : « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

- ص س
١٧١ ١ : « غير متكشف »
- ٦ - ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
- ١٧٢ ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
- ١٠ - ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثقل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
- ١٣ : « ممن كان يخلفه »
- ١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .
- ١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة
- ٦ : « الماشى المعبى »
- ٩ : « من الشنو والبغضة »
- ١٢ : « وتلقحه الجنايات » ، وهو الأوفق .
- ١٤-١٥ : « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
- ١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب التنفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
- ٢ : « أن يحج [البيت] » .
- ٩ : « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
- ١١ : « ولرضى منهم بالمسألة » .
- ١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصي » .
	١٢	: « فلا سنان ينك ولا يدعني أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والا لا أقلع أو أخصى »
	١٠	: « بلغتنى ركب النساء » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدود » .
	١١	: « أرى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١٣، ١١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	٣، ١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	٢، ١	: « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السمع » .
	٦، ٥	: « عن عرض بذى سيب » ، وهو الوجه .
		والسبب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، أى عن شق وناصية لا يبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .

ص	س	
	٨	: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
١٥		: « التكملة كذلك في النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: « كأن شبا طرفه » .
	١١	: « في ديسم الغيري » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
١٨٤	٦	سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها « وزعم » .
	٧	: « لا يَلْقَنَ ولا يَأْلَف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يَصْئى . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تصئى به » .
	١٥	: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
	٥	: « منون قالوا سراة الجن » .
	١٤	: « ولم تقل جى » .
	١٥	: « أو ملك الأعجم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
	٤	: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غبرى » .
	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين ، فقال : فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركب من الناس والنسئاس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيَّنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن مَيْم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسْلِمَ الحبل » .
	١٠	: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال
١٩٢	٦	: « فهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .
	٨	: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجنابة على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

ص	س	
	١١	: « وتركوا طرادہ » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه في الأرض [أبداً] يتشم » .
	١٣	: « وفي أموالهم » . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ . وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات : « وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزواج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا ينازع إلى دجاجه وطروقه »
١٩٦	١	: « ولو لم يخلق » .
	٧-٨	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
١٥ و ١٤		: « لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .
١٩٧	٩-١٠	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت » .

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول السكيت » .
	٤	: « لدى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفى » .
	١٨	: « صغار ومن ديك تنوس غبا غبه » كما في ل .
٢٠٠	١	: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل في حبالك » كما في ل .
	٥	: « سقطت كلمة » فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلت وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « في البدن ، وكما ينمى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
١٥ و ١٤		: « ولا بد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدر من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

- ص س
- ٦-٧ : « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مراًفاً ، وآخر يطلب الملك » .
- ٢٠٣ ٣ : « وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخِي ، وَسَخُو يسَخُو ، وَسَخًا يَسْخُو ، لغات ثلاث .
- ٢٠٤ ٤ : « والمكروه بالمحبوب » .
- ٦ : « ومتى بطل التخيّر ذهب التميز » .
- ١٣ : « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
- ١٥ : « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
- ٢٠٥ ١ : « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
- ٤ : « ولأهل التميز والروية » .
- ٥ : « والسبع من لطم الدم » .
- ١٠ : « والملمس اللين » .
- ٢٠٦ ٣ : « منافعها هنيئة » .
- ١١ : « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .
- ١٣ : « والأسباب المتقيدة » .
- ١٥ : « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .
- ١٦ : « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
- ٢٠٧ ١ : « أعز عليه من الحداة ، وأن الغزال أحب إليه » .
- ٣-٤ : « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .
- ١١ و ١٠ : « وإن أتى بالغث » .

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلِّ »
	٩	: « شئ من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج »
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » ، أى الائتدام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصبغ به من الإدام ، وفي قوله تعالى « وصَبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود بشجرتيها و [على] ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التي بعدها
	١٤	: « وأخذنا في ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، ونفسدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
	٥	: « وإهانة اللثام »
	٦	: « وذكر [طول] ذمائها » ، وهو الوجه .
	٦	: « وشدة مُنْهْا ومعاهد الذمار ! »
	٨ - ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » :

- ص ص
- ١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها
وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها »
صوابها « أجزائها » بالراء المهملة
- ٢٢٤ ١ : « وسياستها ، والتي لا تلقن منها »
- ٦ : « فمن يك عنه »
- ٧ : « تظل الكلاب العاويات »
- ٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .
- ١٢-١٣ : « وقال الخريمي ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب
بغداد » .
- ٢٢٥ ٥ : « ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] » .
- ٧ : « خلق بليّ كامن »
- ١١ : « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يبلغ » .
- ١٢-١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج الجنون ،
فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم » .
- ٢٢٦ ٣ : « وكصنان عرقها »
- ٦ : « وضرب بالكلب في ذلك مثلاً فقال » .
- ٩ : « إنها امرأة حسناء »
- ١٠ : « بذى لسانها »
- ١٧ : « وقال [في] مثل ذلك » .
- ٢٢٧ ١ : « بغبر المبيد » .
- ٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعِقى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ،
وقد أورد الخبر في اللسان (ققق) وقال : « القَقَّة :
العِقى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّة ، إني لأنزع يدي من
جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشخر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدده تلقاء خيشومه » .
- ٢٢٨ ٢ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغض الغريض »
- ١١ - ١٢ : « لهُ أشد من الأسد ، وهو أجرى من الليث الغادى » .
- ٢٢٩ ١ : « وبأن أنفه فى أسلوب »
- ٧ : « نماء لمجد أب أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [مسلوخ] التمسكود وبين المصلوب اليابس
كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى
معجم استينجاس ١٤٢٧ أن التمسكود هو المملوح
- ٢٣٠ ٣ : « فسماك بالقحر » .
- ٤ : « ويمذى فى لبان »
- ٧ : « ولو أنى أشاء قد ارفأنت » نعماته ويفهم ما أقول » ، وهو
الوجه ، ارفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فإعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحرر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيها » .
	٧	: « حيضاً بيئنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهره » . وقَبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم » ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقاً لما أثبتته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنُق الحمر » ، والأعُنُق والعُنُق كلاهما جمع للعناق ، وهي الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣-١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لحبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل « سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذناها [محسياً] » كما في ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : آدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	س	
١٣		: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .
٣		: « يلتقم العذرة ، وزهما لا استطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
٥		: « لا يطيب مالاً ولا ممقوراً » .
١١		: « وقد بلغ من شهرة الرخمة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموها كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشهوتها للعذرة .
١٤		: « رزق الأنوقين قرنبا وجعل » .
		وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

الصواب	الخطأ	س	ص
من البيان	من البنيان	١٠	٤٥
لا يعتقه	لا يعتقه	٦	١٦٥
من حمى ركبتة	من حمى كبتة	٢	١٧٣
ولا ذات	ولا ذات	١	٢٣٤
أكلباً	أكلباً	١٣	٢٥٤
تَرَاحُ	تَرَاحُ	٣	٢٧٧
لِلنَّبِيِّ	النَّبِيِّ	٢	٣٣٥
ولا كرمأ	ولا كرمأ	٩	٣٦٠
مُضِرٌّ	مُضِرٌّ	١	٣٦١

استدراك وتذييل

- ص ٧٤ س ١١ في العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أواراة الثاني، وكان ذلك في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أواره) .
- ١٤٩ س ١١ (مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت في صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :
- « دهش السكان في ضواحي أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إخصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث في بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .
- كتبه

عبد الستار محمد خير

أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء

١٧٧ ذكر ما جاء في خصاء الدواب

٢٢٠ باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معايها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس
